
اغتنام
فعل الخيرات
في المواسم والمناسبات



اسم الكتاب: اغتنام فعل الخيرات في المواسم والمناسبات

إعداد الأخ: أبي عبدالرحمن موفق بن أحمد بن علي الفاضلي

رقم الإيداع: ١٦٩٩٠/٢٠٢٠.

نوع الطباعة: لون واحد.

عدد الصفحات: ٣٦٠ .

القياس: ١٧X٢٤.

تجهيزات فنية:

مكتب دار الإيمان للتجهيزات الفنية

أعمال فنية وتصميم الغلاف أ / عادل المسلماني .

٢٠٢٠

الإدارة



١٧ شارع خليل الخياط - مصطفى كامل - الإسكندرية.

تليفاكس: ٥٤٥٧٧٦٩ - ٥٤٤٦٤٩٦

المبيعات



١٩ شارع خليل الخياط - مصطفى كامل - الإسكندرية.

تليفاكس: ٥٤٥٧٧٦٩ - ٥٢٢٢٠٠٢

E-mail

dar_aleman@hotmail.com

دار الإيمان المتحدة

أمام مستشفى الصوفي - أسفل مدارس اليمن الحديثة

مقابل بنك سبأ - شارع رداع - محافظة ذمار

جوال: ٧٧٥٣٠٩٩٣٥



تأليف أبي عبد الرحمن
موفق بن أحمد بن علي الفاضلي

تقديم فضيلة الشيخ
طارق بن محمد الخياط العدني

تقديم فضيلة الشيخ
أبي أحمد علوي الأحمدي



دار الإيمان
الإسكندرية


بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الشيخ طارق البعداني



الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

أما بعد:

فقد قرأت رسالةً نافعةً لأخينا الداعي إلى الله المبارك ، أبي عبد الرحمن موفق بن أحمد بن علي الفاضلي، المسماة بـ(**اغتنام فعل الخيرات في المواسم والمناسبات**).

فأوصي نفسي وسائر المسلمين باغتنام هذه الخيرات.

قال تعالى: ﴿ قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٥٨﴾ ﴾

[يونس : ٥٨].

فأسأل الله أن ينفع بهذه الرسالة وبكاتبها الإسلام والمسلمين ، وأن يوفقه لمزيد من الخير، وأن يعيذه من الفتن المضلة، وأن يعينه على مواصلة السير في هذا الطريق، فإن الاستمرار في طلب العلم فيه بركة وخير، والانشغال عنه فيه ضير ومذهِب لبركة العلم ، وكذلك مما يذهب بركة العلم الإقبال على الدنيا والركون إليها والتحزب ، فإن ضرره عظيم على الفرد والمجتمع، وفقنا الله وإياكم وسائر المسلمين لفعل الطاعات واغتنام الخيرات.

كتبه

أبو عبد الله طارق الخياط

اليمن ـ مدينة إب ـ دارالشرف ـ مسجد التوحيد

بتاريخ ١٣/٤/١٤٤٠هـ ليلة الخميس

مقدمة الشيخ علوي الأحمدي



الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذبالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، وأشهد أنْ لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلَّمَ تسليماً ، أما بعد:

فقد روى الإمام مسلم ـ رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ في صحيحه من حديث معقل بن يسار ـ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ ـ أن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «العبادة في الهَرْج كهجرةٍ إليَّ»، فالعاقل يهتم بما خُلق لأجله خصوصًا في مواسم الخير التي تضاعف فيها الأجور وتحط فيها الأوزار، كما قال الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ فَٱسْتَبِقُواْ ٱلْخَيْرَٰتِ ﴾ [البقرة: ١٤٨].

والواجب أن يحرص العبد على إحسان العمل؛ بأن يكون على توحيد وسنة، بعيدًا عن الشركيات والبدع والمخالفات ، فالقليل من العبادة على سنة خير من الاجتهاد على هوًى وبدعة.

هذا وقد قرأت ما كتبه أخونا الفاضل موفق بن أحمد الفاضلي في **(اغتنام فعل الخيرات في المواسم والمناسبات)** فألفيته كتابًا نافعًا يزخر بآيات القرآن العظيم، وأحاديث النبي الكريم عليه أفضل الصلاة والتسليم وكلام أهل العلم من الجديد والقديم.

فجزى الله مؤلفه خير الجزاء، ونفع به الإسلام والمسلمين، إنه ولي ذلك والقادر عليه، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

يا مَن ينافسُ في عُلا الجنـــاتِ ويودُّ مغـفـرةً لِـذي الـزلاتِ

ها قد بدا عَلَمُ الرِّهانِ فسارِعَنْ في مطْلبِ الغفرانِ والحسناتِ

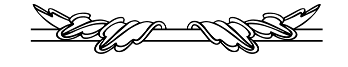
واقرأ كــتابًا نافعًــا في بـابـهِ يُدعى اغتنامَ الفعـلِ للخيـراتِ

في موسمٍ يُرجَى عظيمُ ثوابِـهِ مِـنْ رِبِّنا ذي الفضلِ والبركاتِ

كتبه /

علوي بن أحمد الأحمدي

٤/جمادى الأولى/١٤٤٠ هـ



مُقَدِّمَة

الحمد لله رب العالمين، ولا عدوان إلا على الظالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله ولي الصالحين، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله إمام الأولين والآخرين، وسيد الأنبياء والمرسلين، وقائد الغر المحجلين، وشفيع رب العالمين، بعثه الله رحمة للعالمين؛ ليخرجهم من الظلمات إلى النور، فشرح الله به الصدور، وأمات به الشرور، وهو البشير النذير، والسراج المنير، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين.

أما بعد:

فيقول الله عَزَّوَجَلَّ في محكم التنزيل: ﴿ **مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ** ﴿١٦٠﴾ ﴾ [الأنعام: ١٦٠].

فمن فضل الله على الناس ولكن أكثر الناس لا يعلمون، أن جعل لهم الأعمال الصالحة بأضعاف أضعافها، فيعملون ويسارعون في الخيرات، ويتزودون للدار الآخرة؛ ليفوزوا بالدرجات، ويسلموا من الدركات، فجعل الحسنة بعشر أمثالها إلى أضعاف كثيرة، ومن نوى خيرًا كُتب له خيرًا وإن لم يعمله، بل ومن رحمته أنه جعل السيئة بمثلها فقط، ولم يجعلها بعشر بمقابل أن الحسنة بعشر أمثالها، ولولا ذلك لم يدخل الجنة أحد لكثرة ذنوب العباد.

فقد روى البخاري ومسلم عَن ابْن عَبَّاس - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - عَنْ رَسُول اللَّه -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فِيمَا يَرْوِي عَنْ رَبِّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى قَالَ: « **إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ الْحَسَنَات وَالسَّيِّئَات ثُمَّ بَيَّنَ ذَلِكَ فَمَنْ هَمَّ بِحَسَنَة فَلَمْ يَعْمَلْهَا كَتَبَهَا اللَّهُ عِنْدَهُ حَسَنَةً كَامِلَةً وَإِنْ هَمَّ بِهَا فَعَمِلَهَا كَتَبَهَا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عِنْدَهُ عَشْرَ حَسَنَات إِلَى سَبْعمِائَة ضِعْف إِلَى أَضْعَافٍ كَثِيرَةٍ وَإِنْ هَمَّ بِسَيِّئَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كَتَبَهَا اللَّهُ عِنْدَهُ حَسَنَةً كَامِلَةً وَإِنْ هَمَّ بِهَا**

فَعَمِلَهَا كَتَبَهَا اللهُ سَيِّئَةً وَاحِدَةً».

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِذَا أَحْسَنَ أَحَدُكُمْ إِسْلامَهُ فَكُلُّ حَسَنَةٍ يَعْمَلُهَا تُكْتَبُ لَهُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا إِلَى سَبْعِمِائَةِ ضِعْفٍ وَكُلُّ سَيِّئَةٍ يَعْمَلُهَا تُكْتَبُ لَهُ بِمِثْلِهَا**». متفق عليه واللفظ للبخاري.

ومن رحمته أن جعل السيئة بمثلها وربما غفرها بكرمه ومنِّه.

فقد روى مسلم عن أَبِي ذَرٍّ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ قَالَ: قَالَ: رَسُولُ اللَّهِ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ –: «**يَقُولُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَأَزِيدُ، وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَجَزَاؤُهُ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا أَوْ أَغْفِرُ، وَمَنْ تَقَرَّبَ مِنِّي شِبْرًا تَقَرَّبْتُ مِنْهُ ذِرَاعًا، وَمَنْ تَقَرَّبَ مِنِّي ذِرَاعًا تَقَرَّبْتُ مِنْهُ بَاعًا، وَمَنْ أَتَانِي يَمْشِي أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً، وَمَنْ لَقِيَنِي بِقُرَابِ الأَرْضِ خَطِيئَةً لاَ يُشْرِكُ بِي شَيْئًا لَقِيتُهُ بِمِثْلِهَا مَغْفِرَةً**».

ومن فضل الله على الناس ولكن أكثر الناس لا يشكرون، أن زادهم من فضله مواسم مباركة، فجعل لهم أزمنة مباركة، وأمكنة مباركة، وأعمالا مباركة، تضاعف فيها الحسنات، وتزيد فيها الدرجات، وتكفر فيها السيئات فوق ما يتصوره العباد، وفوق ما يزيد على مضاعفة الحسنة بعشر أمثالها، ومع هذا ترى كثيرًا من الناس غافلين عن هذا، وزاهدين عن السباق في هذه التجارة العظيمة.

فإن لله تعالى نفحات رحمانية، ومواسم خيرية، في أماكن وأزمنة مخصوصة، وأعمال عظيمة، لا تبلغها أعمالهم في غيرها، جعلها الله رحمة لعباده، فمن أصاب شيئا منها نال خيرًا كثيرًا، فينبغي على المسلم أن يتحرى هذه المواسم، وأن يتفرغ للعبادات فيها، وسيرى أجرها وذخرها في الدار الأخرى، فيرفعه الله بها الدرجات العلى، فقد روى الطبراني عن أنس ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ مرفوعًا» افعلوا الخير دهركم، وتعرضوا لنفحات رحمة الله، فإن لله نفحات من رحمته يصيب بها من يشاء من

عباده وسلوا الله أن يستر عوراتكم وأن يؤمن روعاتكم »[١] .

وقد جمعت هنا ما تيسر من هذه المواسم الخيرية ، والأعمال المباركة، وسأشير في هذا البحث المتواضع إلى هذه المواسم والمناسبات والأعمال التي تتضاعف فيها الأجور والحسنات، وسأنتقي الأهم منها والأكثر أجورًا، وإلا فإن باب الخير واسع لا يدخل تحت الحصر، والموفق من وفقه الله تعالى لطاعته فسابق في عبادته ، واغتنم هذه المواسم في مرضاته.

وأسميت هذه الرسالة :**(اغتنام فعل الخيرات في المواسم والمناسبات)** وسأنبه على بعض الأخطاء والتخصيصات لبعض الأوقات والأماكن التي اعتقد بعض الناس الفضل فيها، وخصوها بعبادات بدون دليل اعتمادا على أحاديث ضعيفة أو اجتهادات مخالفة للسُّنَّة، ويكفي العبد ما ثبت في السُّنَّة ففيه الخير الكثير لمن وفقه الله ، ولن يحصي العبد ذلك، ولكن المقاربة والسداد.

قال ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: « الاقتصاد في السُّنَّة خير من الاجتهاد في البدعة»[٢].

وبما أن عمر الإنسان قصير، والأعمال كثيرة، فبإمكانه أن يختار من هذه الأعمال مايرفعه الله بها الدرجات العالية، ويسكنه المنازل الرفيعة، ويغفر له الذنوب الكثيرة، مع الإخلاص والاحتساب بإذن الله رب العالمين.

وقد قسمت هذه المواسم إلى ثلاثة أقسام ، وهي:

الأول :الأزمنة المباركة.

الثاني:الأمكنة المباركة.

الثالث:الأعمال المباركة.

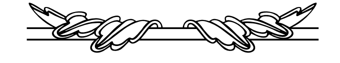
---

(١)حسن:حسنه الألباني في السلسلة الصحيحة (٤ / ٥١١)برقم(١٨٩٠) .
(٢)انظر اعتقاد أهل السُّنَّة – للالكائي – (١ / ٥٥)

فحري بالمؤمن أن يغتنمها بما يقربه إلى الله ، ويفوز برضوانه ، وينجو من سخطه ونيرانه.

فنسأل الله العظيم أن يعيننا على طاعته، وأن يجنبنا معصيته ، وأن يوفقنا لما يحبه ويرضاه ، وأن يجنبنا مايسخطه ويأباه، والحمدلله رب العالمين.

المؤلف



منهجي في تأليف الرسالة

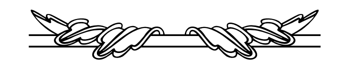


استعنت بالله تعالى ثم قمت بذكر الأعمال المباركة، أو الأماكن المباركة، أو الأزمنة المباركة، ، وأحث على المسارعة بالخيرات فيها، ثم أذكر فضائل هذا الزمان أو المكان أو العمل ، وأذكر الأجور المترتبة على ذلك، ترغيبا للقارئ لأجل اغتنامه في طاعة الله والمسارعة بالخيرات فيه، وأسرد الأدلة من الكتاب والسُّنَّة، والآثار والأقوال من كلام السلف وأهل العلم من مفسري القرآن وشراح الأحاديث في ذلك مشيرًا إلى المصادروالمراجع غالبا لمن أراد الرجوع إلى الفائدة من مصدرها .

وأما الأحاديث فقد التزمت ألا أورد فيها إلا ما صح عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، معتمدا في ذلك بعد الله تعالى على تخريجات الألباني ـ رَحِمَهُ اللَّهُ ـ وتحقيقاته وعزوه إلى كتب السُّنَّة ، لما له من باع وقدم سبق في هذا الفن الذي خدم فيه الإسلام والمسلمين، وقد صارت غالب الكتب عالة على تحقيقاته ، وكذلك ما تيسر من تحقيقات الإمام الوادعي ـ رَحِمَهُ اللَّهُ ـ فهو خيرخلف لخير سلف ، فله قدم راسخة في هذا الفن وكثير من الفنون، والفضل لله ثم له في نشر السُّنَّة في البلاد اليمنية في هذا الزمان، حتى انتشرت دعوته في كثير من البلدان واستفاد كثير من الناس من دعوته،فرحم الله الشيخين رحمة واسعة، وقد يسر الله بالرجوع في بعض الأحاديث إلى كتاب الصحيح المسند مما ليس في الصحيحين للإمام الوادعي، فأذكر حكم العلامتين الألباني والوادعي على الحديث ليزداد القارئ طمأنينة في صحة الحديث، وما كان في الصحيحين أو أحدهما فإني أكتفي بعزوه إليهما أو إلى أحدهما، لأن هذين الكتابين تلقتهما الأمة بالقبول، وهما أصح الكتب بعد كتاب الله تعالى، فلا يلتفت إلى من تنقصهما أو قدح فيهما من الشواذ، وأما ما كان خارج الصحيحين فإني أعزوه

إلى كتب السُّنَّة الوارد فيها كلها أو أكثرها، ثم أذكر حكم الألباني والوادعي أو أحدهما على الحديث.

وكنت أكتفي بذكر أحد المخرجين للحديث ، وما بقي أذكرهم أو أكثرهم في الحاشية مع حكم العلامتين الألباني والوادعي على الحديث، وأما ما أخرجه الشيخان: البخاري ومسلم أو أحدهما ، فكنت أكتفي بذكرهما أو أحدهما مع الحديث دون ذكرهما في الحاشية، وكذلك أقوال المفسرين أكتفيت بذكر التفسير مع الآية المراد تفسيرها دون الإشارة إلى المصدر أو الصفحة؛ لمعرفة موضع الآية وسهولة الرجوع إليها وإلى تفسيرها، وأما مصادر أقوال أهل العلم فكنت أذكرها أو أكثرها في الحاشية ولله الحمد والمنة.



مدخل وتمهيد:

روى الحاكم عن ابن عباس ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ـ قال قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لرجل وهو يعظه: « اغتنم خمسًا قبل خمس، شبابك قبل هرمك، وصحتك قبل سقمك، وغناك قبل فقرك، وفراغك قبل شغلك ، وحياتك قبل موتك»[(١)].

حث النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الرجل على الغنائم الخمس بقوله :(اغتنم..) وهومن الغنيمة، يحثه على اغتنام هذه الفرص الخمس، قبل أن تعقبها خمس تحول بين العبد وبين غنيمته، وقد كان السلف الصالح يغتنمونها بالطاعات ، وكانوا يسمون أيام الشتاء بـ (الغنيمة الباردة) لطول لياليه وقصر أيامه، فيغتنمون لياليه بالقيام وتلاوة القرآن ، ويغتنمون قصر أيامه وبردها بالصيام.

وجاء في الحديث « الصوم في الشتاء الغنيمة الباردة » .[(٢)] .

وأعظم غنيمة في الدنيا هي اغتنام الأعمال الصالحة في هذه الأبواب الخمسة، وأعظم غنيمة في الآخرة هي جنة عرضها السماوات والأرض أعدت للمتقين، وقد دل النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على أبوابها، فينبغي على العبد أن يسارع ويدخل في هذه الأبواب قبل أن تغلق دونه.

فأولها: الشباب، فيغتنم العبد شبابه في طاعة الله، من إقام الصلاة، وقيام الليل، وصيام النهار، والجهاد في سبيل الله ، وحفظ القرآن ونحو ذلك ، قبل أن يهجم عليه الهرم والكبر فيعجز عن العمل، ولهذا أخبر المصطفى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن الشاب الصالح من السبعة الذين يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله كما في الصحيحين عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

---

(١)صحيح: صححه الإمام الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في صحيح الترغيب والترهيب – (٣/ ١٦٨)(٣٣٥٥) وهو عند البيهقي .

(٢)رواه أحمد وغيره وحسنه الألباني في « السلسلة الصحيحة (٤ / ٥٥٤)(١٩٢٢) .

وثانيها: الصحة، فيغتنمهاالعبد بطاعة الله، قبل أن يقعده المرض، فيتمنى صحة ساعة واحدة ليقوم بها الليل، أوعافية يوم واحد ليصوم فيه لله تعالى، ولهذا فإن العبد يتحسر يوم القيامة على كل ساعة لم يذكر الله فيها، فقد روى أبو داود عن أبي هريرة ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ قال قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَنْ قَعَدَ مَقْعَدًا لَمْ يَذْكُر اللهَ فِيهِ كَانَتْ عَلَيْهِ مِنَ اللهِ تِرَةٌ، وَمَنْ قَامَ مَقَامًا لَمْ يَذْكُر اللهَ فِيهِ كَانَتْ عَلَيْهِ مِنَ اللهِ تِرَةٌ، وَمَنِ اضْطَجَعَ مَضْجَعًا لَمْ يَذْكُرِ اللهَ فِيهِ كَانَتْ عَلَيْهِ مِنَ اللهِ تِرَةٌ**»[(١)] .

ومعنى ترة:أي حسرة .

وثالثها: الغنى، فيغتنمه العبد في أبواب الخير، فيتصدق وينفق ما استطاع، قبل أن ينزل به الفقر، فيقول ياليت لي مالا فأنفقه في سبيل الله، ولهذا فإن أول ما يتمنى العبد عند الموت أن يرجع إلى الدنيا ليتصدق، لما علم من فضل الصدقة، قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَأَنفِقُواْ مِن مَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَآ أَخَّرْتَنِيٓ إِلَىٰٓ أَجَلٖ قَرِيبٖ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠﴾ ﴾ [المنافقون : ١٠] .

رابعها: الفراغ ، فيغتنم العبد فراغه في ذكر الله وفي فعل الخيرات قبل أن يشغل بمسئولية أو نحوها ، فيتمنى الفراغ؛ ليعوض مافات أو يصلح ماأفسد، وسيندم على صحته وفراغه غاية الندم ، كما في صحيح البخاري عَن ابْنِ عَبَّاس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ، قَالَ : قَالَ : النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: « **نِعْمَتَانِ مَغْبُونٌ فِيهِمَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ الصِّحَّةُ وَالْفَرَاغُ**».

خامسها: الحياة ، وهي آخر باب، وهي خلاصة جميع الأبواب وخاتمتها، فليغتنمها العبد قبل أن يأتيه هاذم اللذات ومفرق الجماعات، فيقول :﴿ رَبِّ ٱرْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّيٓ أَعْمَلُ صَٰلِحٗا فِيمَا تَرَكْتُۚ ﴾ [المؤمنون : ٩٩ - ١٠٠] .

---

(١)صحيح : انظر صحيح الترغيب والترهيب - (٢/ ١٠٠)(١٥١٢) ، والسلسلة الصحيحة (١/ ١١٧) (٧٨) ، ورواه أحمد وابن أبي الدنيا والنسائي وابن حبان

فقد كَانَ ابْنُ عُمَرَ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ـ يَقُولُ : «**إِذَا أَمْسَيْتَ فَلاَ تَنْتَظِرِ الصَّبَاحَ ، وَإِذَا أَصْبَحْتَ فَلاَ تَنْتَظِرِ الْمَسَاءَ وَخُذْ مِنْ صِحَّتِكَ لِمَرَضِكَ وَمِنْ حَيَاتِكَ لِمَوْتِكَ**». رواه البخاري.

قال المناوي رَحِمَهُ اللَّهُ في قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

(اغتنم خمسًا قبل خمس) أي: افعل خمسة أشياء قبل حصول خمسة أشياء :

(حياتك قبل موتك) يعني اغتنم ما تلقى نفعه بعد موتك فإن من مات انقطع عمله ، وفاته أمله وحق ندمه وتوالى همه، فاقترض منك لك.

(وصحتك قبل سقمك) أي: اغتنم العمل ، حال الصحة فقد يمنع مانع كمرض فتقدم المعاد بغيرزاد.

(وفراغك قبل شغلك) أي: اغتنم فراغك في هذه الدار قبل شغلك بأهوال القيامة التي أول منازلها القبر، فاغتنم فرصة الإمكان لعلك تسلم من العذاب والهوان.

(وشبابك قبل هرمك) أي: اغتنم الطاعة حال قدرتك قبل هجوم عجز الكبر عليك، فتندم على ما فرطت في جنب الله.

(وغناك قبل فقرك) أي: اغتنم التصدق بفضول مالك قبل عروض جائحة تفقرك فتصير فقيرا في الدنيا والآخرة، فهذه الخمسة لا يعرف قدرها إلا بعد زوالها.

ولهذا جاء في خبر سيجيء:«نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس الصحة والفراغ»[١]. اهـ.

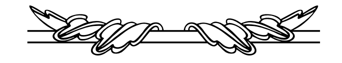
ولهذا يكون أكثر أماني أهل النار، أن يرجعوا إلى الدنيا ليتزودوا من الأعمال الصالحة ، وأكثر ما يندمون على تفويتهم لهذه الفرص وهذه الغنائم من الأعمال

(١)فيض القدير (٢ / ٢١).

الصالحة والأوقات الفاضلة والأمكنة المباركة، قَالَ تَعَالَىٰ مخبرا عن حالهم ومنتهى آماهم: ﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ فَقَالُوا۟ يَٰلَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٧﴾ ﴾ [الأنعام : ٢٧] .

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ ۚ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ ۖ فَذُوقُوا۟ فَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ﴿٣٧﴾ ﴾ [فاطر : ٣٧] .

فاغتنم الخيرات في جميع الحالات وفي سائر اللحظات، وسخر الحياة لما بعد المات، وإياك والغفلة والتمادي ، وإياك والتسويف ، فإن الأمر جد ، فانتقل بخير ما بحضرتك قبل الحسرة والندامة ، وقبل أن تشاهد أهوال يوم القيامة، نسأل الله العافية والسلامة.



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الباب الأول

اغتنام الأزمنة المباركة



إننا في هذا الباب بإذن الله تبارك وتعالى سنذكر ما ثبتت بركته من السَنَة الهجرية، ابتداء بالأشهر، ثم الأيام ، ثم الساعات، وسنذكر الشهور التي ثبتت البركة فيها على غيرها كشهر رمضان، ثم نذكر الأيام والليالي التي ثبتت البركة فيها كأيام عشر ذي الحجة، والعشر الأواخر من رمضان، ثم نذكر الساعات التي ثبتت البركة فيها كأوقات الإجابة كما يلي:

الفصل الأول: اغتنام الأشهر المباركة:

وسنذكرها حسب ترتيبها في السَنَة كالتالي:

١ـ شهر الله المحرم.

٢ـ تنبيهات على شهر رجب.

٣ـ شهر شعبان.

٤ـ شهر رمضان.

المبحث الأول

اغتنام شهر الله المحرم

فضَّل اللهُ تعالى شهر محرم ، وجعل له مزية وفضيلة على كثير من الشهور، ولذلك نسبه النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى الله بقوله :(شهر الله المحرم) كما سيأتي، وذلك لشرفه وفضله ، وجعل للصيام فيه فضيلة عظيمة، وهو من الأشهر الحرم التي يجب تعظيمها، ويكون ذلك بالاجتهاد بالأعمال الصالحة فيها ، واجتناب ماحرم الله فيها، وجعل الظلم فيها أقبح من غيرها.

قَالَ تَعَالَى: ﴿ إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ مِنْهَآ أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ فَلَا تَظْلِمُوا۟ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ وَقَٰتِلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً كَمَا يُقَٰتِلُونَكُمْ كَآفَّةً وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٣٦﴾ ﴾ [التوبة : ٣٦].

والأشهر الحرم قد بينها النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كما في حديث أَبِي بَكْرَةَ ـ رَضِيَ الله عَنْهُ ـ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ قَالَ : « **الزَّمَانُ قَدْ اسْتَدَارَ كَهَيْئَته يَوْمَ خلَقَ الله السَّمَوَات وَالأَرْضَ، السَّنَةُ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا، منْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ، ثَلاثَةٌ مُتَوَاليَاتٌ: ذُو القَعْدَةِ وَذُو الحِجَّةِ وَالُمحَرَّمُ، وَرَجَبُ مُضَرَ، الَّذِي بَيْنَ جُمَادَى وَشَعْبَانَ** » رواه البخاري ومسلم.

فانظر كيف ابتدأ الله تعالى السَنَة بشهر حرام وهو شهر الله المحرم ، وهو أول أشهر السَنَة ، وختمها بشهر حرام، وهو ذو الحجة، وجعل في وسطها شهرًا حرامًا، وهو رجب، ليداوم العبد على الخيرات وتعظيم الحرمات في عامه كله، فينبغي على

العبد أن يبدأ عامه بخير وأن يختمه بخير، فأعظم بالبداية وأكرم بالنهاية إذا كانتا في طاعة الله ، فإن الأعمال بالخواتيم.

فالعمل الصالح في هذه الأشهر أعظم أجرا والمعاصي فيها أعظم وزرا.

قال المفسر البغوي ـ رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ: « قال قتادة: العمل الصالح أعظم أجرا في الأشهر الحرم والظلم فيهن أعظم من الظلم فيما سواهن وإن كان الظلم على كل حال عظيماً». اهـ.

والظلم يشمل الشرك والمعاصي وظلم الغير بالاعتداء على أموالهم وأنفسهم وأعراضهم، فإنه يحرم في هذه الأشهر وفي غيرها، إلا أنه في الأشهر الحرم أعظم حرمة، ومن هذه الأشهر شهر الله المحرم.

قال المفسر ابن كثير ـ رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ: لأنها آكد وأبلغ في الإثم. اهـ.

وقال ـ رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ: وَقَالَ : قَتَادَةُ فِي قَوْلِهِ: ﴿ فَلَا تَظْلِمُواْ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ ﴾ إِنَّ الظُّلم فِي الْأَشْهُر الْحُرُم أَعْظَمُ خَطِيئَةً وَوِزْرًا مِنَ الظُّلْم فِيمَا سِوَاهَا، وَإِنْ كَانَ الظُّلْمُ عَلَى كُلِّ حَالٍ عَظِيمًا، وَلَكِنَّ الله يُعَظِّمُ مِنْ أَمْرِهِ مَا يَشَاءُ. اهـ.

فإن من الأعمال التي يضاعف أجرها في هذا الشهر لهو الصيام، فيستحب الصيام في شهر الله المحرم استحبابا شديدا، وإنه لا يخفى على مسلم فضل الصيام، فإنه لا مثل له، وإنه لله وهو يجزي به، بمعنى أنه لا يعلم بمقدار ثوابه إلا الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، كما جاء مبينا في أحاديث سيأتي ذكرها في باب فضل الصيام واغتنامه إن شاء الله تعالى، وإنما كلامنا في هذا المبحث عن صيام شهر الله المحرم بخصوصه.

فقد روى الإمام مسلم رَحِمَهُ ٱللَّهُ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أَفْضَلُ الصِّيَامِ، بَعْدَ رَمَضَانَ، شَهْرُ اللهِ الْمُحَرَّمُ، وَأَفْضَلُ الصَّلَاةِ، بَعْدَ الْفَرِيضَةِ، صَلَاةُ اللَّيْلِ**».

قال النووي ـ رَحِمَهُ اللَّهُ ـ: « فيه تَصْرِيحٌ بِأَنَّهُ أَفْضَلُ الشُّهُورِ لِلصَّوْمِ وَقَدْ سَبَقَ الْجَوَابُ عَنْ إِكْثَارِ النَّبِيِّ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ صَوْمِ شَعْبَانَ دُونَ الْمُحَرَّمِ وَذَكَرْنَا فِيهِ جَوَابَيْنِ:

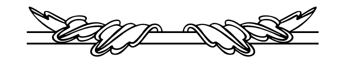
أَحَدُهُمَا: لَعَلَّهُ إِنَّمَا عَلِمَ فَضْلَهُ فِي آخِرِ حَيَاتِهِ .

وَالثَّانِي: لَعَلَّهُ كَانَ يَعْرِضُ فِيهِ أَعْذَارٌ مِنْ سَفَرٍ أَوْ مَرَضٍ أَوْ غَيْرِهِمَا»[1]. ا هـ .

وإضافة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هذا الشهر إلى الله تعالى بقوله: «شهر الله». فهي إضافة تشريف.

قال ابن رجب رَحِمَهُ اللَّهُ: «وقد سمى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ المحرم شهر الله وإضافته إلى الله تعالى تدل على شرفه وفضله فإن الله لا يضيف إليه إلا خواص خلقه. ا هـ .

فينبغي اغتنام هذا الشهر المبارك بالصيام، فيستحب صيامه كله لمن قدر عليه، ومن لم يستطع فليصم ماتيسر ليظفر بفضل هذا الشهر، فيصوم الإثنين والخميس والأيام البيض ، وأقل القليل أن يصوم العبد يوم عاشوراء، وسيأتي ذكر فضل صيام هذه الأيام بخصوصها فإنها من المواسم الخيرية التي ينبغي اغتنامها بالصيام، وسنؤجلها إلى بابها إن شاء الله تعالى.



(١)شرح صحيح لمسلم (٣/ ٢٥١) .

المبحث الثاني
بدع ومخالفات في شهر رجب



شهر رجب كسائر الأشهر، لم يثبت شيء في فضله إلا أنه من الأشهر الحرم التي عظمها الله، فيثبت فيه ما يثبت في غيره، ويحرم فيه ما يحرم في غيره، فشأنه كشأن سائر الأشهر الحرم، وقد اعتقد كثيرمن الناس أن لهذا الشهر فضلًا على غيره، فخصوه بعبادات وبدع ومحدثات ماأنزل الله بها من سلطان، اعتمادًا على أحاديث ضعيفة وموضوعة، قد بين أهل الشأن حالها من المحدثين والعلماء الربانيين، وسنذكر بعضها للحذر منها، فإنه لم يثبت شيء من الأحاديث في فضل شهر رجب وفضل العبادات فيه ، فكل ما ورد في فضله وفضل العبادة فيه من الأحاديث، فهي أحاديث ضعيفة ومكذوبة على رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ لا يجوز العمل بها .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رَحِمَهُٱللَّهُ ـ: «لم يثبت عن النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ في فضل شهر رجب حديث بل عامة الأحاديث المأثورة فيه عن النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ كلها كذب. اهـ .

وقال الحافظ ابن حجرـ رَحِمَهُٱللَّهُ ـ: لم يرد في فضل شهر رجب ولا صيامه ولا في صيام شيء منه معين ولا في قيام ليلة مخصوصة فيه حديث صحيح. اهـ .

وقد ألف رسالة بعنوان : (تبيين العجب بما ورد في شهر رجب). بين فيها الأحاديث الضعيفة والمكذوبة في فضائل رجب وحذر من البدع التي أحدثت في هذا الشهر .

أحاديث لم تثبت في فضل شهر رجب:

الأحاديث الباطلة والمكذوبة على نبينا محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **في فضائل شهر رجب كثيرة:**

* منها:حديث: (خيرة الله من الشهور شهر رجب، وهو شهر الله، مَن عظّم شهر الله رجب؛ عظم أمر الله...).

قال العلامة الألباني ـ رَحِمَهُ اللَّهُ ـ: هذا حديث موضوع. أي: مكذوب على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ [1].

* ومنها حديث: (رجب شهر عظيم، يضاعف الله فيه الحسنات؛ فمن صام يومًا من رجب؛ فكأنما صام سَنة ...).

قال المحدث الألباني: هذا حديث موضوع.[2]

* ومنها حديث: «اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي رَجَبٍ وَشَعْبَانَ وَبَلِّغْنَا رَمَضَانَ».

قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ: هذا حديث موضوع.[3]

* ومنها حديث: (فضل شهر رجب على سائر الشهور كفضل القرآن على سائر الأذكار). قال الحافظ: حديث موضوع.

* ومنها حديث: (من فرج عن مؤمن في رجب كربة أعطاه الله في الفردوس الأعلى قصرًا مد بصره).

قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ : لا أصل له.

* ومنها حديث: (رجب شهر الله ، وشعبان شهري ، ورمضان شهر أُمتي).

---

(١)انظرسلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة - (١٣ / ٤١٠)(٦١٨٨).
(٢)انظرسلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة - (١١ / ٦٩١)(٥٤١٣).
(٣)انظر حديث رقم : (٤٣٩٥) في ضعيف الجامع .

قال الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: حديث ضعيف.[١]

وسنذكر بعض البدع والمخالفات التي أحدثها بعض المسلمين في شهر رجب للتحذير منها، لأن البدع أخطر على المسلمين من المعاصي.

قال سفيان بن عيينة رَحِمَهُ ٱللَّهُ : «البدعة أحب إلى إبليس من المعصية، لأن المعصية يُتاب منها والبدعة لا يُتاب منها»[٢] .

والله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ قد نهانا عن البدع والمحدثات، وأمرنا أن نعبده كما أمرنا في كتابه وفي سُنَّة رسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وبين أن من عبد الله بالهوى والبدع، فإن الله لا يقبل منه ذلك العمل ويأثم على مخالفته للسُنَّة.

قال تعالى: ﴿ فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا۟ ۚ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١٢﴾ ﴾[هود : ١١٢] .

وقال تعالى: ﴿ وَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ ۖ وَقُلْ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَٰبٍ ۖ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ ۖ ٱللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ ۖ لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ ۖ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ۖ ٱللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا ۖ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٥﴾ ﴾[الشورى : ١٥] .

فمن شاء أن يعبد الله ويتقرب إليه بأنواع من القربات والعبادات فليتعبد لله كما شرع ، وفي جميع الأوقات بدون تخصيص لوقت من الأوقات بغير دليل، فإن تخصيص عبادة من العبادات في زمن معين أو في مكان معين بغير دليل بدعة محرمة ومردودة على صاحبها؛ لأن ذلك افتراء على الله واعتداء على الشرع.

فقد ثبت في الصحيحين عَنْ عَائِشَةَ ـ رَضِيَ الله عَنْهَا ـ قَالَتْ :قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ فِيهِ، فَهُوَ رَدٌّ**» وفي رواية لمسلم: «**مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ**». أي: مردود على صاحبه

(١)انظر سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة – (٩ / ٣٩٠)(٤٤٠٠).
(٢)انظرمجموع الفتاوى لابن تيمية – (١٠ / ٩).

ومحبوط غير مقبول.

فنرى في هذا الشهر أناسًا يخصصون فيه عبادات ماأنزل الله بها من سلطان، كالصيام والصلاة والزيارات والاجتماعات وغير ذلك، فإن هذه الأعمال غير مشروعة، لأن شهر رجب كغيره من الشهور يشرع فيه ما يشرع في غيره ، ويمنع فيه ما يمنع في غيره من البدع والمحدثات وغيرها، فيشرع فيه صيام الإثنين والخميس وصيام الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر من الشهر، ويشرع فيه قيام الليل وغيرذلك من العبادات المشروعة في غيره، أما تخصيصه بشيء من العبادات أو الصيام أو القيام فهذا ليس من السُّنَّة.

* فمن الناس من يخُص رجب بالصيام فلا تراه يصوم إلا في شهر رجب.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ: «وَأَمَّا صَوْمُ رَجَب بِخُصُوصِه، فَأَحَادِيثُهُ كُلُّهَا ضَعِيفَةٌ، بَلْ مَوْضُوعَةٌ، لَا يَعْتَمِدُ أَهْلُ الْعِلْمِ عَلَى شَيْءٍ مِنْهَا، وَلَيْسَتْ مِنْ الضَّعِيفِ الَّذِي يُرْوَى فِي الْفَضَائِلِ، بَلْ عَامَّتُهَا مِنْ الْمَوْضُوعَاتِ الْمَكْذُوبَات، وَأَكْثَرُ مَا رُوِيَ فِي ذَلِكَ أَنَّ « النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ إذَا دَخَلَ رَجَبُ يَقُولُ: اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي رَجَبٍ، وَشَعْبَانَ، وَبَلِّغْنَا رَمَضَانَ ».

وَقَدْ رَوَى ابْنُ مَاجَهْ فِي سُنَنِهِ عَنْ ابْنِ عَبَّاس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا عَنْ « النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ نَهَى عَنْ صَوْمِ رَجَب» ، وَفِي إسْنَادِهِ نَظَرٌ، لَكِنْ صَحَّ أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّاب كَانَ يَضْرِبُ أَيْدِي النَّاسِ ؛ لِيَضَعُوا أَيْدِيَهُمْ فِي الطَّعَامِ فِي رَجَبٍ. وَيَقُولُ: لَا تُشَبِّهُوهُ بِرَمَضَانَ» اهـ. [١].

وقال تلميذه ابن القيم ـ رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ: وكل حديث في ذكر صوم رجب وصلاة بعض الليالي فيه فهو كذب مفترى، وقد نهى ابن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ الذين يصومون في

(١)الفتاوى الكبرى – (٢ / ٤٧٨)

رجب وأمرهم بالفطر»[١]. اهـ.

وقال كثير من أهل العلم ببدعية تخصيص الصوم في شهر رجب ، منهم شيخ الإسلام وابن رجب وابن حجر والألباني رحمهم الله جميعا.

ـ ومن هذه البدع التي أحدثت في شهر رجب تخصيصه بالزيارات والضيافة والاحتفالات، فيحتفلون في هذا الشهر ويتزاورون، ويستضيف بعضهم بعضا، ويَصِلون أرحامهم، ومن لم يصل رحمه في جمعة رجب خصوصا أو في رجب عموما فقد قطع رحمه.

بدع جمعة رجب:

وفي جمعة رجب يلبسون الثياب الجديدة، ويستعدون لها من يوم الخميس بالاغتسال والحناء، وربما اعتقد بعضهم أن ذلك سبب لذهاب بعض الأمراض، وهذه خرافات واعتقادات شركية وأعمال بدعية لا تجوز.

وبعضهم ينادي ويقول :(يا خميس رجب أذهب عنا الحصبة والجرب) وهذا شرك لأنه دعاء لغير الله عياذا بالله.

وكثير من الناس يصوم جمعة رجب، ويخصون ذلك اليوم بالصيام ، وهؤلاء وقعوا في محذورين:

المحذور الأول: أنهم خصوا أول جمعة من رجب، وهذا العمل محدث.

والمحذور الثاني: أنهم صاموا يومًا نهى النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن صيامه مفردًا أو مخصصاً.

فقد روى الإمام مسلم ـ رَحِمَهُ اللهُ ـ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ : «**لَا تَخْتَصُّوا لَيْلَةَ الْجُمُعَةِ بِقِيَامٍ مِنْ بَيْنِ اللَّيَالِي، وَلَا تَخُصُّوا يَوْمَ الْجُمُعَةِ بِصِيَامٍ مِنْ بَيْنِ الْأَيَّامِ، إِلَّا أَنْ يَكُونَ فِي صَوْمٍ يَصُومُهُ أَحَدُكُمْ**».

---

(١) انظر نقد المنقول والمحك المميز بين المردود والمقبول - (١ / ٨٣) .

وفي هذا اليوم يصلون صلاة الرغائب، وهي اثنتا عشرة ركعة أو نحوها، وذلك بين المغرب والعشاء، وهذه بدعة منكرة لم يفعلها النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقد نقل شيخ الإسلام الاتفاق على أنها بدعة.

وقال ابن عثيمين ـ رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ: «وأما ما يسمى بصلاة الرغائب وهي ألف ركعة في ليلة أول رجب، أو في أول ليلة جمعة منه فأيضًالا صحة له وليست مشروعة»[١] اهـ.

وفي جمعة رجب يخصص بعض الناس زيارة مسجد الجند في تعز، فيحصل في ذلك الاجتماع مخالفات من اختلاط الرجال مع النساء، ومضغ شجرة القات في المسجد، ويحصل امتهان للمسجد ولشعائر الله، وغيرذلك.

ومن تلك المخالفات، تخصيص الاجتماعات واللقاءات في بعض المساجد في جمعة رجب للذكر زعموا، وكل هذا من البدع والمحدثات التي ما أنزل الله بها من سلطان.

زيارة المسجد النبوي في شهر رجب:

ومن البدع في شهر رجب تخصيص زيارة المسجد النبوي، ولا دليل على ذلك، ولا شك أن زيارة المسجد النبوي قربة عظيمة والصلاة فيه بألف صلاة لكن لا يجوز تخصيص زيارته في وقت من الأوقات بدون دليل، وإنما يشرع زيارته في أي وقت دون تخصيص.

زيارة المقابر في شهر رجب:

ومن البدع في رجب، تخصيص زيارة القبور، وهذا أيضًا من البدع، بل ولا يجوز تخصيص يوم أو شهر لزيارة المقابرلا في رجب ولا في غيره، فبعض الناس لا يزور المقابر إلايوم الجمعة أو في شهر رجب، وهذا العمل من البدع، فإنه يشرع زيارتها

(١) مجموع فتاوى ورسائل العثيمين – (٢٢ / ٢٧٤)

في جميع الأوقات ؛لأن التخصيص ليس من السُّنَّة ولم يفعله السلف الصالح.

دعوة المظلوم في شهر رجب:

ومن الاعتقادات البدعية في شهر رجب، الاعتقاد بأن دعوة المظلوم مستجابة، وهذا اعتقاد باطل ، وهو من اعتقاد أهل الجاهلية ، وهو أنهم كانوا يعتقدون أن دعوة المظلوم مستجابة في شهر رجب، ومن المعلوم بالشرع أن دعوة المظلوم مستجابة بدون تقييد إلا ما جاء مخصصا في بعض الأوقات، فإن الاستجابة فيها تكون أحرى، كآخر الليل، وبين الأذان والإقامة، وفي السجود وغير ذلك ، أما في رجب فلم يأت دليل من الكتاب والسُّنَّة على أن رجبًا من الأوقات التي يستجاب فيها الدعاء.

وسيأتي فصل مستقل في أوقات الإجابة بإذن الله تعالى.

العمرة في شهر رجب:

ومن بدع رجب تخصيص العمرة فيه ، وقد عُلم من الشرع أن العمرة في رمضان أفضل من غيره ، ولم يأت تفضيلها أو تخصيصها في رجب، والعمرة في رجب جائزة لكن بدون تخصيص.

فقد روى البخاري ومسلم عَن ابْن عَبَّاس رَضِيَ الله عَنْهُمَا،أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : «فَإِنَّ عُمْرَةً فِي رَمَضَانَ تَقْضِي حَجَّةً أَوْ حَجَّةً مَعِي».

إخراج الزكاة في شهر رجب:

ومن التخصيصات المخالفة للشرع، أنهم يخصصون إخراج الزكاة في شهر رجب لفضيلة رجب زعموا، وهذا خلاف السُّنَّة، إذ لا دليل على ذلك، فالمشروع في الزكاة أنه متى حال عليها الحول، وبلغت النصاب أخرجت ، سواء حال عليها الحول في رجب أو في شعبان أو في رمضان، فمتى ما بلغ المال النصاب ودار عليه

الحول تعلق بالذمة، ووجب إخراج زكاته واستحقها الفقراء والمساكين وغيرهم من مصارف الزكاة ، ولا يجوز تأخيرها عن وقتها.

الاحتفال بالإسراء والمعراج في ليلة ٢٧ من شهر رجب:

ومن البدع التي أحدثت في شهر رجب بدعة الاحتفال بالإسراء والمعراج ، اعتقادا منهم أن ليلة الإسراء والمعراج هي ليلة السابع والعشرين من شهر رجب، وهذا لا دليل عليه، وقد اختلف أهل العلم في تحديدها بما حاصله أنه لم يثبت أن ليلة الإسراء والمعراج ليلة السابع والعشرين، وعلى تقدير ثبوت ليلة الإسراء والمعراج في ليلة معينة من الليالي ، فإنه لا يجوز الاحتفال بالإسراء والمعراج لعدم احتفال السلف بذلك، ولو كان خيرًا لسبقونا إليه، فلم يحتفل النبي عليه الصلاة والسلام ولا صحابته الكرام ولا التابعون الأعلام بليلة من الليالي وجعلوها ليلة الإسراء والمعراج.

قال ابن عثيمين ـ رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ: « وأما الإسراء والمعراج الذي اشتهر عند كثير من الناس أوأكثرهم، أنه في رجب وفي ليلة السابع والعشرين منه ، فهذا لا صحة له إطلاقا، وأظهر الأقوال أن الإسراء والمعراج كان في ربيع الأول، ثم إن إقامة الاحتفالات ليلة سبع وعشرين من رجب بدعة لا أصل لها».[1] اهـ.

ذبيحة رجب:

ومن بدع رجب تخصيص ذبيحة تذبح في رجب تسمى الرجبية، وكان أهل الجاهلية يخصصون ذبيحة يذبحونها في رجب ويسمونها العتيرة، فنفاها النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كما في البخاري ومسلم عن أبي هريرة ـ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ ـ قال: قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لا فرع ولا عتيرة».

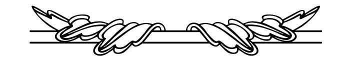
---

(١)مجموع فتاوى ورسائل العثيمين – (٢٢ / ٢٧٤)

والعتيرة ، هي: ذبيحة كانوا يذبحونها في رجب، يعظمون شهر رجب؛ لأنه أول الأشهر الحرم.

قال بعض أهل العلم: كانوا يذبحونها في العشر الأول من رجب ويسمونها الرجبية. اهـ.

هذه أبرز البدع وأظهرها في هذا الشهر، وغيرها من البدع والاعتقادات الباطلة كثير ، والمخالفات الحاصلة في هذا الشهر وفي غيره أكثر ، وقد اقتصرنا على أهمها وأكثرها شيوعًا في شهر رجب.



المبحث الثالث

اغتنام شهر شعبان

إن من مواسم الخيرات التي حث عليها نبينا الكريم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، لهو صيام شهر شعبان فقد كان عليه الصلاة والسلام يجتهد في صيامه ، ويخصه بكثرة الصيام.

فقد روى البخاري ومسلم عَنْ عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا ـ أَنَّهَا قَالَتْ: « كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَصُومُ حَتَّى نَقُولَ: لَا يُفْطِرُ، وَيُفْطِرُ حَتَّى نَقُولَ: لَا يَصُومُ، وَمَا رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اسْتَكْمَلَ صِيَامَ شَهْرٍ قَطُّ إِلَّا رَمَضَانَ وَمَا رَأَيْتُهُ فِي شَهْرٍ أَكْثَرَ مِنْهُ صِيَامًا فِي شَعْبَانَ » .

وفي رواية: « وكان أحب الصوم إليه في شعبان»[١].

وروى البخاري ومسلم واللفظ للبخاري عن عَائِشَةَ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا ـ قَالَتْ : **«لَمْ يَكُنِ النَّبِيُّ** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **يَصُومُ شَهْرًا أَكْثَرَ مِنْ شَعْبَانَ فَإِنَّهُ كَانَ يَصُومُ شَعْبَانَ كُلَّهُ»** الحديث.

وعند الترمذي عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ :«مَا رَأَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَصُومُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ إِلاَّ شَعْبَانَ وَرَمَضَانَ»[٢]

وفي رواية عند النسائي عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ»

---

(١)رواه أحمد والطبراني وحسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب – (١ / ٢٤٧)(١٠٢٣)

(٢)ورواه النسائي وأبو داود وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب – (١ / ٢٤٨) (١٠٢٥).

أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ يَصُومُ مِنَ السَّنَةِ شَهْرًا تَامًّا إِلاَّ شَعْبَانَ يَصِلُ بِهِ رَمَضَانَ»[١].

ففي هذه الأحاديث بيان مشروعية الصيام في شهر شعبان ، ففي بعضها أنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان يصوم الشهر كله ، وفي بعضها أنه كان يصوم أكثر الشهر، وجمع بعض أهل العلم بين هذه الأحاديث، فقالوا :كان أحيانا يصوم شعبان كله وأحيانا يصوم أكثره وأحيانا يصوم بعضه.

قال النووي ـ رَحِمَهُ اللَّهُ ـ : «قول عائشة ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ـ: إن رسول **الله** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان يصوم شعبان كله: أي غالبه. وقيل كان يصوم شعبان كله في وقت ويصوم بعضه في سَنة أخرى»[٢]. اهـ .

الحكمة من تخصيص شهر شعبان بالصيام:

خُص شهرشعبان بكثرة الصيام لحكم عظيمة.

منها: استعدادا لرمضان، وتوطين النفس وتهيئتها لصيامه ، فتكون مستعدة لصيام رمضان ويسهل عليها أداؤه.

ومنها: قال بعض أهل العلم: تعظيماً لرمضان، فيشبه سُنة الفرض للصلاة تعظيماً لحقها، فيكون صيام شهر شعبان بمثابة النافلة للفريضة.

ومنها: أن الناس يغفلون فيه، فكان للصيام فيه فضيلة عظيمة.

ومنها: أن الأعمال ترفع فيه.

ومنها: أن الله تعالى يغفر فيه لمن شاء من خلقه، وغير ذلك.

فقد روى النسائي عن أُسَامَة بْن زَيْدٍ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ : قُلْتُ: يَا رَسُولَ الله، لَمْ أَرَكَ تَصُومُ شَهْرًا مِنَ الشُّهُورِ مَا تَصُومُ مِنْ شَعْبَانَ، قَالَ : «**ذَلِكَ شَهْرٌ يَغْفُلُ النَّاسُ عَنْهُ**

---

(١) وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب – (١ / ٢٤٨) (١٠٢٥)
(٢) شرح مسلم –(٤ / ١٦١).

بَيْنَ رَجَب وَرَمَضَانَ، وَهُوَ شَهْرٌ تُرْفَعُ فِيهِ الأَعْمَالُ إِلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ، فَأُحِبُّ أَنْ يُرْفَعَ عَمَلِي وَأَنَا صَائِمٌ» [١].

قال ابن الجوزي ـ رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ: « وكل شهر فيه يغفل الناس يكون فاضلا لقلة القائمين فيه »[٢]. ا هـ.

وقال بعضهم: يغفل الناس فيه لأنه بين شهرين عظيمين شهر رجب وشهر رمضان.

فكل زمان أو مكان يحصل فيه غفلة، فالأعمال فيه فاضلة ، كالانشغال بالأعمال الصالحة أيام الفتن والناس مشغولون بالفتن.

ومن ذلك فضل دعاء السوق، فإن فيه أجورًاعظيمة ومضاعفة، وذلك لغفلة الناس وانشغالهم بدنياهم وبيعهم وشرائهم وغير ذلك، فقد روى الترمذي عن ابن عمر ـ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا ـ أن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: **«من دخل السوق فقال لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو حي لا يموت بيده الخير وهو على كل شيء قدير كتب الله له ألف ألف حسنة ومحا عنه ألف ألف سيئة ورفع له ألف ألف درجة»** . [٣]

ـ ومن فضائل شهر شعبان أن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ **يغفر لجميع خلقه إلا من شاء .**

فقد روى الطبراني عَنْ مُعَاذِ بْن جَبَلٍ وأبي موسى ـ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا ـ ، عَن النَّبِيِّ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : **«يَطَّلِعُ الله عَزَّ وَجَلَّ عَلَى خَلْقِهِ لَيْلَةَ النِّصْفِ مِنْ شَعْبَانَ فَيَغْفِرُ لِجَمِيعِ خَلْقِهِ إِلاَّ لِمُشْرِكٍ ، أَوْ مُشَاحِنٍ»** [٤].

---

(١)حسن: رواه أحمد وحسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب – (١ / ٢٤٧)(١٠٢٢)
(٢)كشف المشكل (١ / ١٢٢٤)
(٣)حسن: رواه أحمد والبيهقي والحاكم وحسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب – (٢ / ١٤٢)(١٦٩٤)
(٤)حسن صحيح: رواه ابن ماجه وابن حبان والبيهقي وقال الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (١ / ٢٤٨)(١٠٢٦): حسن صحيح.

قال المناوي في معنى:(أو مشاحن):أي، مخاصم»[١] ا هـ .

وقال بعضهم: أي: مبتدع .فلا يغفر لهما.

ففيه خطر التخاصم والتهاجر، وخطر الابتداع في الدين ، وخطر الشرك، وأن ذلك يحول بين العبد وبين مغفرة ذنوبه حتى يترك البدعة، أو يترك الشحناء ويتجنب الشرك.

فقد روى الإمام مسلم عن أبي هريرة ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ قال: قَالَ : رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: « تُعْرَضُ الْأَعْمَالُ فِي كُلِّ يَوْمِ خَمِيسٍ وَاثْنَيْنِ، فَيَغْفِرُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ، لِكُلِّ امْرِيءٍ لَا يُشْرِكُ بِاللهِ شَيْئًا، إِلَّا امْرَأً كَانَتْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَخِيهِ شَحْنَاءُ، فَيُقَالُ: اتْرُكُوا هَذَيْنِ حَتَّى يَصْطَلِحَا، اتْرُكُوا هَذَيْنِ حَتَّى يَصْطَلِحَا » .

قال أبو داود: «فإذا كان الهجر لله فليس من هذا شيء، فإن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هجر بعض نسائه أربعين يومًا، وابن عمر هجر ابنًا له إلى أن مات»[٢]. ا هـ .

فمن هجر فاسقًا أو مبتدعًا لبدعته فلا يدخل في الحديث،أي لا يحرم من المغفرة، ولا يأثم من هجره ، فإن المبتدع يشرع هجره، لخطر بدعته ، ويخشى عليه ألا يغفر له أو لا يوفق للتوبة.

فقد روى الطبراني عن أنس بن مالك ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إن الله حجب التوبة عن كل صاحب بدعة حتى يدع بدعته**» [٣].

قال بعض أهل العلم في معنى الحديث: أي :لا يوفق للتوبة.

الصيام من سرر شعبان:

السرر هو الوسط، أي: وسط شعبان، وهي الأيام البيض وسميت بذلك لاستسرار القمر فيها.

---

(١) فيض القدير شرح الجامع الصغير - (٤ / ٦٠٢) .
(٢)صحيح وضعيف سنن أبي داود - (١٠ / ٤١٦)(٤٩١٦).
(٣)حسن:حسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب - (١ / ١٢)(٥٤).

وقد كان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يحث غيره على الصيام في شعبان لا سيما في وسطه، فقد روى البخاري ومسلم عَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا ـ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : لِرَجُلٍ: «هَلْ صُمْتَ مِنْ سَرَرِ هَذَا الشَّهْرِ شَيْئًا؟» قَالَ : لَا، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «فَإِذَا أَفْطَرْتَ مِنْ رَمَضَانَ، فَصُمْ يَوْمَيْنِ مَكَانَهُ».

قال النووي -رَحِمَهُ اللَّهُ- : «قَالَ : الْأَوْزَاعِيُّ وَأَبُو عُبَيْد وَجُمْهُور الْعُلَمَاء مِنْ أَهْل اللُّغَة وَالْحَدِيث وَالْغَرِيب : الْمُرَاد بِالسَّرَرِ آخِر الشَّهْر ، سُمِّيَتْ بِذَلِكَ لِاسْتِسْرَار الْقَمَر فِيهَا، قَالَ : الْقَاضِي : قَالَ : أَبُو عُبَيْد وَأَهْل اللُّغَة : السَّرَر آخِر الشَّهْر ، قَالَ: وَأَنْكَرَ بَعْضهمْ هَذَا ، وَقَالَ : الْمُرَاد وَسَط الشَّهْر ، قَالَ : وَسِرَار كُلّ شَيْء وَسَطه، قَالَ: هَذَا الْقَائِل : لَمْ يَأْتِ فِي صِيَام آخِر الشَّهْر نَدْب فَلَا يُحْمَل الْحَدِيث عَلَيْهِ ، بِخِلَاف وَسَطه فَإِنَّهَا أَيَّام الْبِيض ، وَرَوَى أَبُو دَاوُدَ عَنْ الْأَوْزَاعِيِّ سُرَره : أَوَّله ، وَنَقَلَ الْخَطَّابِيُّ عَنْ الْأَوْزَاعِيِّ سُرَره : آخِره ، قَالَ : الْبَيْهَقِيُّ فِي السُّنَن الْكَبِير بَعْد أَنْ رَوَى الرِّوَايَتَيْنِ عَنْ الْأَوْزَاعِيِّ : الصَّحِيح آخِره ، وَلَمْ يَعْرِف الْأَزْهَرِيّ أَنَّ سُرَره أَوَّله، قَالَ : الْهَرَوِيُّ: وَالَّذِي يَعْرِفهُ النَّاس أَنَّ سُرَره آخِره ، وَيَعْضُدُ مَنْ فَسَّرَهُ بِوَسَطِهِ الرِّوَايَة السَّابِقَة فِي الْبَاب قَبْله : « سُرَّة هَذَا الشَّهْر » ، وَسَرَارَة الْوَادِي وَسَطه وَخِيَاره، وَقَالَ : اِبْن السِّكِّيت : سِرَار الْأَرْض : أَكْرَمهَا وَوَسَطهَا ، وَسِرَار كُلّ شَيْء: وَسَطه وَأَفْضَله ، فَقَدْ يَكُون سِرَار الشَّهْر مِنْ هَذَا » اهـ . [(١)].

والراجح أن سرر شعبان هو وسطه ، وهوالذي مال إليه النووي -رَحِمَهُ اللَّهُ- .

وأيام البيض هي:الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر من الشهر، وسميت بالأيام البيض لأن لياليها بيضاء مقمرة، وذلك لأن القمر فيها مكتمل أو شبه مكتمل في بعضها.

---

(١)شرح مسلم (٤ / ١٨١).

وفي هذا الحديث جواز قضاء النافلة لمن فاتته.

قال بعض أهل العلم: قد علم النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من هذا الرجل أنه كان يداوم على صيام النافلة فلما لم يصم أذن له بالقضاء.

وفيه فضيلة الصيام في شعبان ولذلك أمره بالقضاء بعد رمضان.

حكم صيام النصف من شعبان:

يجوز صيام شعبان كله أو أكثره أو نصفه أو أقل أو أكثرمن ذلك ، ويجوز الصيام من أوله أو آخره أو وسطه مالم يكن هناك تخصيص أو نحو ذلك.

وأما حديث : (إذا انتصف شعبان فلا تصوموا)، فقد قال الإمام أحمد: هذا حديث منكر. ا هـ .

وعلى تقدير ثبوته، فإن النهي محمول على التخصيص، لا سيما آخر الشهر، أو محمول على النهي عن استقبال رمضان بصيام يوم أو يومين، أو النهي عن تخصيص النصف الثاني من شعبان.

فقد روى الإمام البخاري عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ـ رَضِيَ الله عَنْهُ ـ عَن النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ، قَالَ : «**لاَ يَتَقَدَّمَنَّ أَحَدُكُمْ رَمَضَانَ بِصَوْمِ يَوْمٍ أَوْ يَوْمَيْنِ، إِلَّا أَنْ يَكُونَ رَجُلٌ كَانَ يَصُومُ صَوْمَهُ، فَلْيَصُمْ ذَلِكَ الْيَوْمَ**».

بمعنى أنه لا يجوز استقبال شهر رمضان بصيام يوم أو يومين إلا أن يكون العبد معتادا صيام ذلك اليوم فوافق مجيئه قبل رمضان بيوم أو يومين ، كصيام الإثنين والخميس أو وافق نذرا أو كفارة أو قضاء، فيجوز صيامه لهذا الغرض ولو قبل رمضان بيوم أو يومين.

والحكمة من هذا النهي ، قال أهل العلم كما ذكره الحافظ ابن حجر: لئلا يختلط الفرض بالنفل.

وقال بعضهم: لأن حكم الصيام معلق بالرؤية، فمن تقدمه بيوم أو يومين، فقد حاول الطعن في ذلك الحكم.

وذكروا أشياء غير هذا، فالذي يلزمنا هو الانقياد والامتثال، والوقوف عند النهي بالاجتناب، وعند الأمر بالامتثال، سواء علمنا الحكمة أم لم نعلمها ، فما علينا إلا السمع والطاعة ، وأن نقول:(سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا).

حكم تخصيص ليلة النصف ويوم النصف من شعبان:

وأما تخصيص ليلة النصف من شعبان بالقيام، أو يوم النصف من شعبان بالصيام فإنه لم يثبت في ذلك حديث ، فإن الحديث في ذلك موضوع ومكذوب على رسول الله صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهو حديث: « إِذَا كَانَتْ لَيْلَةُ النِّصْفِ مِنْ شَعْبَانَ فَقُومُوا لَيْلَهَا وَصُومُوا يَوْمَهَا فَإِنَّ الله تَعَالَى يَنْزِلُ فيهَا لغُرُوب الشَّمْس إِلَى السَّمَاء الدُّنْيَا فَيَقُولُ: أَلَا مِنْ مُسْتَغْفِرٍ فَأَغْفِرَ لَهُ؟ أَلَا مُسْتَرْزِقٌ فَأَرْزُقَهُ؟، أَلَا مُبْتَلًى فَأُعَافِيَهُ؟، أَلَا كَذَا أَلَا كَذَا حَتَّى يطلع الْفَجْر » .

قال العلامة الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ :الحديث موضوع. اهـ .[1]. أي مكذوب على نبينا صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم.

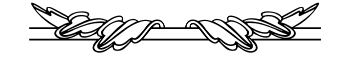
ولم يثبت شيء في تخصيص ليلة النصف من شعبان بقيام .

وأما الحديث المتقدم «يَطَّلِعُ الله عَزَّ وَجَلَّ عَلَى خَلْقِهِ لَيْلَةَ النِّصْفِ مِنْ شَعْبَانَ فَيَغْفِرُ لِجَمِيعِ خَلْقِهِ إِلاَّ لِمُشْرِكٍ ، أَوْ مُشَاحِنٍ» فإنه حسن، حسنه العلامة الألباني كما تقدم، لكن ليس فيه تخصيص عبادة أو الحث عليها ولم يأمرنا النبي صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

(١) انظر سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة - (٥ / ١٥٤)(٢١٣٢)- وضعيف الترغيب والترهيب - (١ / ١٥٦)(٦٢٣).

أن نتعبد لله في هذه الليلة بخصوصها، وإنما فيه أن الله يغفر لعباده المؤمنين فيها إلا المشرك والمشاحن.

ومن الناس من يخصص الثلاثة الأيام البيض من شعبان فيصومها، ويسمونها بـ(الشعبانية) فالقول في هذه المسألة كالقول في سابقتها ، وهو أنه يشرع صيام الثلاثة البيض من كل شهر ، بدون تخصيص ، أما تخصيص هذه الأيام بصيام في هذا الشهر دون غيره من الشهور فإنه من المحدثات.



المبحث الرابع
اغتنام شهر رمضان المبارك

إنه لا يخفى على مسلم فضل شهر رمضان المبارك، وأنه أفضل الشهور ، لما اشتمل عليه من العبادات العظيمة ، من الصيام والقيام والصدقات وتلاوة للقرآن وغير ذلك، وخصت العبادات فيه بزيادة فضل وأجور على غيره من الشهور لفضله وشرفه ، فهو الشهر الذي نزل فيه القرآن الكريم ، وفيه ليلة هي خير من ألف شهر، ، وهو الشهر الذي تفتح فيه أبواب الجنان، وتغلق فيه أبواب النيران، وتغل فيه المردة والشياطين ، وتفتح فيه أبواب السماوات، وتنزل فيه الرحمات، وتكثر فيه البركات، وتضاعف فيه الحسنات، وتغفر فيه الذنوب والسيئات، وتستجاب فيه الدعوات ، وتعتق فيه رقاب من النار، فحري بالمؤمن أن يغتنم هذا الشهر بالطاعات، وأن يتقرب فيه إلى رب البريات ، فقدكان نبينا صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يجتهد فيه بالقيام والاعتكاف والذكر وقراءة القرآن والصدقات وغيرها من القربات .

فكان يجتهد في رمضان مالا يجتهد في غيره، لماروى البخاري ومسلم عَن ابْن عَبَّاس ـ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ : «كَانَ رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ أَجْوَدَ النَّاس، وَكَانَ أَجْوَدُ مَا يَكُونُ فِي رَمَضَانَ حِينَ يَلْقَاهُ جِبْرِيلُ، وَكَانَ يَلْقَاهُ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ مِنْ رَمَضَانَ فَيُدَارِسُهُ الْقُرْآنَ، فَلَرَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَجْوَدُ بِالْخَيْرِ مِنَ الرِّيحِ الْمُرْسَلَةِ».

يعني أنه كان أسرع من الريح في مسارعته في الخيرات، لا سيما في شهر رمضان، فالريح المرسلة هي التي تأتي بالغيث فيعم الأرض الميتة وغير الميتة، ورسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خيره وبره يعم الفقير والغني والمحتاج وصاحب الكفاية أكثر من الغيث.

قال ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى : «كان أجود الناس بماله وبدنه وعمله ودعوته ونصيحته وكل ما ينفع الخلق، وكان أجود ما يكون في رمضان، لأن رمضان شهر الجود ويجود الله فيه على العباد والعباد الموفقون يجودون على إخوانهم والله تعالى جواد يحب الجود». اهـ.[1].

و كان نبينا صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يبشر أصحابه بقدوم شهر رمضان، فيستبشرون ويفرحون به ويستعدون له، فقد روى الإمام أحمد عن أبي هريرة ـ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ ـ قال قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أتاكم شهر رمضان، شهر مبارك، فرض الله عليكم صيامه، تفتح فيه أبواب الجنة، وتغلق فيه أبواب الجحيم، وتغل فيه مردة الشياطين، وفيه ليلة هي خير من ألف شهر من حرم خيرها فقد حرم ».[2]

وأخرج الإمام البخاري ومسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ : «**إِذَا جَاءَ رَمَضَانُ فُتِّحَتْ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ، وَغُلِّقَتْ أَبْوَابُ النَّارِ، وَصُفِّدَتِ الشَّيَاطِينُ**».

وفي رواية عند البخاري «**إِذَا دَخَلَ شَهْرُ رَمَضَانَ فُتِّحَتْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ، وَغُلِّقَتْ أَبْوَابُ جَهَنَّمَ، وَسُلْسِلَتِ الشَّيَاطِينُ**».

وفي رواية لمسلم: «فُتِّحَتْ أَبْوَابُ الرَّحْمَةِ».

ففي شهر رمضان المبارك تفتح أبواب الجنات،وأبواب السماوات وأبواب الرحمات.

معنى فتح الأبواب وتصفيد الشياطين :

قال ابن بطال ـ رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ «: ويكون المعنى في فتح أبواب الجنة، ما فتح الله على العباد فيه من الأعمال المستوجب بها الجنة من الصلاة والصيام وتلاوة القرآن، وأن الطريق إلى الجنة في رمضان أسهل، والأعمال فيه أسرع إلى القبول، وكذلك أبواب

(١)شرح رياض الصالحين - (١ / ١٤٠٢)
(٢)ورواه النسائي والبيهقي وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب - (١ / ٢٤١)(٩٩٩)

النار تغلق بما قطع عنهم من المعاصي، وترك الأعمال المستوجب بها النار، ولقلة ما يؤاخذ الله العباد بأعمالهم السيئة، يستنقذ منها ببركة الشهر أقوامًا ويهب المسيء للمحسن، ويتجاوز عن السيئات فهذا معنى الغلق، وكذلك قوله: (سلسلت الشياطين) ، يعنى: أن الله يعصم فيه المسلمين أو أكثرهم في الأغلب عن المعاصي والميل إلى وسوسة الشياطين وغرورهم . ذكره الداودي والمهلب». ا هـ .[١].

وقال العلامة العثيمين ـ رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ : «هذه ثلاثة أشياء تكون في رمضان:

الأول: تفتح أبواب الجنة ترغيبا للعاملين بها بكثرة الطاعات من صلاة وصدقة وذكر وقراءة للقرآن وغير ذلك .

والثاني: تغلق أبواب النيران وذلك لقلة المعاصي فيه من المؤمنين.

الثالث: وصفدت الشياطين يعني المردة منهم ، وهم أشد الشياطين عداوة وعدوانا على بني آدم ، والتصفيد معناه: الغل ، يعني تثقل أيديهم حتى لا يخلصوا إلى ما كانوا يخلصون إليه في غيره». ا هـ . [٢]

وقال بعض أهل العلم تفتح أبواب الجنة وتغلق أبواب النار لكثرة الثواب والعفو، وكثرة الطاعات وقلة المعاصي.

فعلى هذا فإن الذي يعمل المعاصي في هذا الشهر مع ضعف الداعي إليها ، فإنه يدل على خبث طبعه، وشر نفسه، وخلل في صومه، لأنه لم يراعِ شروط الصيام وآدابه ، فهذا من شياطين الإنس، لأن شياطين الجن مقيدة.

قال الحافظ ـ رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ : « وقال القرطبي: فإن قيل كيف نرى الشرور والمعاصى واقعة في رمضان كثيرًا، فلو صفدت الشياطين لم يقع ذلك ؟فالجواب: أنها إنما تقل عن الصائمين الصوم الذي حوفظ على شروطه وروعيت آدابه، أو المصفد

((١) شرح صحيح البخارى (٤ / ٢٠)
(! (٢) شرح رياض الصالحين – (١ / ١٣٩٩)

بعض الشياطين وهم المردة لا كلهم كما تقدم في بعض الروايات، أو المقصود تقليل الشرور فيه وهذا أمر محسوس فإن وقوع ذلك فيه أقل من غيره إذ لا يلزم من تصفيد جميعهم أن لا يقع شر ولا معصية لأن لذلك أسبابا غير الشياطين كالنفوس الخبيثة والعادات القبيحة والشياطين الإنسية » أ .هـ .

وقال غيره في تصفيد الشياطين في رمضان: إشارة إلى رفع عذر المكلف كأنه يقال له قد كفت الشياطين عنك فلا تعتل بهم في ترك الطاعة ولا فعل المعصية.

وقال الحليمي يحتمل أن يكون المراد من الشياطين مسترقو السمع منهم، وأن تسلسلهم يقع في ليالي رمضان دون أيامه لأنهم كانوا منعوا في زمن نزول القرآن من استراق السمع فزيدوا التسلسل مبالغة في الحفظ ، ويحتمل أن يكون المراد أن الشياطين لا يخلصون من افتتان المسلمين إلى ما يخلصون إليه في غيره ؛لاشتغالهم بالصيام الذي فيه قمع الشهوات وبقراءة القرآن والذكر، وقال غيره المراد بالشياطين بعضهم وهم المردة منهم» اهـ . [1] .

فعلى العبد أن يغتنم هذا الشهر بطاعة ربه؛ حيث إن الشياطين مقيدة، وأبواب الجنة مفتحة،وأبواب النار مغلقة،والأعمال مسهلة،والأمور ميسرة،والأجور مضاعفة.

فضائل شهر رمضان المبارك:

من أعظم فضائله مشروعية الصيام فيه،والصيام من أفضل الأعمال التي يتقرب بها العبد إلى ربه، ويترتب عليه أجور كثيرة،لا يحصيها إلا الله،ويخلف الصائم فرحة عظيمة.

فقد روى البخاري ومسلم عن أبي هُرَيْرَةَ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ قال: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: « **قَالَ اللهُ كُلُّ عَمَلِ ابْنِ آدَمَ لَهُ، إِلَّا الصِّيَامَ، فَإِنَّهُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ**».

---

(١)فتح الباري : (٤ / ١١٤)

وفي رواية لمسلم: «كُلُّ عَمَلِ ابْنِ آدَمَ يُضَاعَفُ، الْحَسَنَةُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا إِلَى سَبْعِمِائَةِ ضِعْفٍ، قَالَ : اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: إِلَّا الصَّوْمَ، فَإِنَّهُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ، يَدَعُ شَهْوَتَهُ وَطَعَامَهُ مِنْ أَجْلِي لِلصَّائِمِ فَرْحَتَانِ: فَرْحَةٌ عِنْدَ فِطْرِهِ، وَفَرْحَةٌ عِنْدَ لِقَاءِ رَبِّهِ وَلَخُلُوفُ فِيهِ أَطْيَبُ عِنْدَ اللهِ مِنْ رِيحِ الْمِسْكِ، وَإِذَا كَانَ يَوْمُ صَوْمِ أَحَدِكُمْ فَلَا يَرْفُثْ وَلَا يَصْخَبْ، فَإِنْ سَابَّهُ أَحَدٌ أَوْ قَاتَلَهُ، فَلْيَقُلْ إِنِّي امْرُؤٌ صَائِمٌ» .

ففي الحديث أن خُلوف فم الصائم ـ أي رائحة فمه ـ عند الله أطيب من ريح المسك.فلا تقل كيف؟ فإن الله -عَزَّوَجَلَّ-: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾[الشورى :١١] .

فإننا نؤمن بأن رائحة الصائم عند الله أطيب من ريح المسك بلا كيف ولا تأويل.

وقال ابن بطال ـ رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ : «يطيب الله رائحته يوم القيامة». ا هـ .[١]

وفي الحديث : « **لِلصَّائِمِ فَرْحَتَانِ: فَرْحَةٌ عِنْدَ فِطْرِهِ، وَفَرْحَةٌ عِنْدَ لِقَاءِ رَبِّهِ** » .

فالفرحة التي عند فطره، تشمل الفرحة عند غروب الشمس عند إفطاره كل يوم من رمضان، فكل يوم تغرب شمسه يفرح الصائم؛ لأن الله قد أكمل له الصيام في ذلك اليوم، وانتهى من عناء الجوع والعطش، ونسي التعب، وثبت الأجر إن شاء الله ، وتشمل الفرحة يوم عيد الفطر ، فيفرح ؛لأن الله تعالى أكمل له عدة رمضان ، وأعانه على صيامه وقيامه ، وهذا ملاحظ عند كل صائم صادق صام إيمانًا واحتسابًا.

أما من لم يصم رمضان، أو قصر وفرط فيه، فلا تشمله الفرحة في يوم العيد، ولا يكون من الفرحين بالعيد، فأيُ فرحة تُرجى لهذا الصنف؟. بل إنك ترى الكآبة على وجوه المفرطين، والضيق في صدور المقصرين، فيندمون على ما فرطوا في جنب رب العالمين.

(١) شرح صحيح البخاري

والفرحة التي عند لقاء ربه، يفرح بها الصائم حينما يلاقي ربه، ويقف بين يديه، ويكلمه بدون ترجمان، ويتمتع بالنظر إليه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ، ويرى تلك الأجور العظيمة المترتبة على توحيده وصيامه وقيامه وتلاوة القرآن وسائر أعمال البر في رمضان وفي غيره ، لكن خص الصيام بالذكر لفضله، فيرتوي من باب الريان ، ويجد أعبق الريحان ، ويذوق أحلى الطعام ويسكن أعلى الجنان، ويعاشر الحور الحسان ، فضلا من الرحيم الرحمن، ومنةً من الكريم المنان سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فنسأله من فضله الكريم.

ومن فضائل هذا الشهر المبارك: أن فيه ليلةً مباركةً، هي خير ليالي السَنة ، وهي ليلة القدر، والعمل الصالح فيها خير من عمل ألف شهر، بمعنى أنها: خير من بضع وثمانين سَنة.

فقد روى ابن ماجه عَنْ أَنَس بْنِ مَالِك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ : دَخَلَ رَمَضَانُ، فَقَالَ رَسُولُ الله – صَلَّى الله عَلَيْه وَسَلَّمَ –: «**إِنَّ هَذَا الشَّهْرَ قَدْ حَضَرَكُمْ، وَفِيهِ لَيْلَةٌ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ، مَنْ حُرِمَهَا فَقَدْ حُرِمَ الْخَيْرَ كُلَّهُ، وَلَا يُحْرَمُ خَيْرَهَا إِلَّا مَحْرُومٌ**»[1].

وسيأتي ذكر فضائلها في بابها بمبحث مستقل إن شاء الله تعالى.

ومن فضائل هذا الشهر أن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ **يعتق فيه عبيدا من النار،** وذلك من صام رمضان إيمانًا واحتسابًا، واجتنب الحرام، وقرأ القرآن، وصلى القيام ، وأقبل على الخير وأعرض عن الشر.

وللصائم في كل يوم دعوة مستجابة في رمضان لا ترد، وذلك لتعلق الصائم بربه، وانكسار قلبه بين يديه، وبعده عن الشهوات والملذات ، وزهده في الدنيا وأعمالها، فذلك حري أن يستجاب له.

فقد روى الإمام أحمد وصححه الألباني عَنْ أَبِي سَعِيد ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: « **إِنَّ لِلَّهِ عُتَقَاءَ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ، وإن لِكُلِّ مسلم في**

(١)حسن: رواه البيهقي وحسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب – (١ / ٢٤١)(١٠٠٠)

كل يوم وليلة دَعْوَةٌ مُسْتَجَابَةٌ » .[١]

فينبغي الإكثار من الدعاء في هذا الشهر المبارك، لعل العبد يوافق دعوة مستجابة، فيستجيب الله له، فإن دعاء الصائم مستجاب، والدعاء عبادة عظيمة، ونفعه عائد على العبد في الدنيا والآخرة، فلا يعجزالمسلم عن الدعاء، ولا يستهين به، فإن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «أعجز الناس من عجز عن الدعاء وأبخل الناس من بخل بالسلام » .

رواه الطبراني عن أبي هريرة ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ [٢]، وسيأتي ذكر شيء من فضل الدعاء في باب أوقات الإجابة إن شاء الله.

ومن فضائل شهر رمضان أنه يكفر الذنوب بإذن الله لمن صامه إيمانًا واحتسابًا وابتعد عن كبائر الذنوب .

فقد روى البخاري ومسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ قَالَ : قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَنْ صَامَ رَمَضَانَ، إِيمَانًا وَاحْتسَابًا، غُفرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبه، ومَنْ قَامَ لَيْلَةَ القَدْرِ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ، ومَنْ قَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ**».

ومعنى: «إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا»:

قال الحافظ ابن حجر – رَحِمَهُ اللهُ –: « أي: الاعتقاد بحق فرضية صومه «واحتسابًا»: طلب الثواب من الله تعالى.

وقال الخطابي – رَحِمَهُ اللهُ – :« إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا»: أي إخلاصا بنية وعزيمة وطلبا للثواب وأن يصومه طيبة به نفسه غير مستثقل لصيامه ولا مستطيل لأيامه وإنما

---

(١)صحيح :انظر صحيح الترغيب والترهيب للألباني رَحِمَهُ اللهُ (١ / ٢٤٢) (١٠٠٢) .
(٢)صحيح:صححه الألباني رَحِمَهُ اللهُ في السلسلة الصحيحة (٢ / ١٥٢)برقم(٦٠١) .

يغتنم ذلك لعظم الثواب. ا هـ.[١].

وقوله: «غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ»: تغفر صغائر الذنوب وأما الكبائر فلا بد لها من توبة.

وذهب بعض أهل العلم إلى أن الصغائر لا تغفر إن وجدت معها كبائر ، واستدلوا بما رواه مسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ أَنَّ رَسُولَ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَقُولُ: «**الصَّلَوَاتُ الْخَمْسُ، وَالْجُمْعَةُ إِلَى الْجُمْعَةِ، وَرَمَضَانُ إِلَى رَمَضَانَ، مُكَفِّرَاتٌ مَا بَيْنَهُنَّ إِذَا اجْتَنَبَ الْكَبَائِرَ**».

فيجب الحذر من الكبائر حتى لا تكون حائلاً بين العبد وبين مغفرة ذنوبه.

وقال بعض أهل العلم: تكفر الصغائر دون الكبائر وفضل الله واسع.

قال النووي –رَحِمَهُ اللَّهُ– : « مَعْنَاهُ أَنَّ الذُّنُوب كُلّهَا تُغْفَر إِلَّا الْكَبَائِر، فَإِنَّهَا لَا تُغْفَر، وَلَيْسَ الْمُرَاد أَنَّ الذُّنُوب تُغْفَر مَا لَمْ تَكُنْ كَبِيرَة ، فَإِنْ كَانَ لَا يُغْفَر شَيْء مِنْ الصَّغَائِر ، فَإِنَّ هَذَا وَإِنْ كَانَ مُحْتَمَلًا فَسِيَاق الْأَحَادِيث يَأْبَاه .

قَالَ : الْقَاضِي عِيَاض –رَحِمَهُ اللَّهُ–: هَذَا الْمَذْكُور فِي الْحَدِيث مِنْ غُفْرَان الذُّنُوب مَا لَمْ تُؤْتَ كَبِيرَة هُوَ مَذْهَب أَهْل السُّنَّة ، وَأَنَّ الْكَبَائِر إِنَّمَا تُكَفِّرهَا التَّوْبَة أَوْ رَحْمَة الله تَعَالَى وَفَضْله . وَاَللَّه أَعْلَم ا هـ . [٢].

وقال ـ رَحِمَهُ اللَّهُ ـ:«..فإن لم يكن له صغائر كتب له حسنات ورفع له درجات». ا هـ .

وذكر ابن باز ـ رَحِمَهُ اللَّهُ ـ أن الصوم يكفر الذنوب وزيادة ثواب على الكفارة.

والمراد بالصوم الذي يكفر الذنوب، هو صوم من صامه إيمانًا واحتسابًا ، وكان خالصًا سالمًا من الشوائب والمخدشات.

---

(١)فتح الباري (٤ / ١١٥) .

(٢) شرح مسلم (١ / ٣٧٧) .

فأعظم خسارة على العبد أن يخرج رمضان من بين يديه ولم يغفر له ذنبه أو تعتق رقبته من النار.

فقد روى ابن حبان عن مالك بن الحويرث ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ قال صعد رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ المنبر فلما رقي عتبة: قال» آمين» ثم رقي عتبة أخرى فقال: «آمين» ثم رقي عتبة ثالثة فقال: « آمين» ثم قال: « أتاني جبريل فقال يا محمد من أدرك رمضان فلم يغفر له فأبعده الله قلت: آمين قال : ومن أدرك والديه أو أحدهما فدخل النار فأبعده الله قلت: آمين فقال: ومن ذكرت عنده فلم يصل عليك فأبعده الله قل: آمين فقلت آمين»[1].

ومن فضائل الصيام أن في الجنة بابا يقال له باب الريان ، لا يدخل منه إلا الصائمون، والريان: مشتق من الري، وهو ضد الظمأ، وجعله الله إكراما للصائمين، لأنهم أظمئوا نهارهم في شهر رمضان وفي غيره ، ولأن الإنسان قد يستطيع أن يصبر على الجوع ولا يستطيع أن يصبر على العطش، فخص لهذه المزية، والله أعلم.

فقد روى البخاري ومسلم عَنْ سَهْل ـ رَضِيَ الله عَنْهُ ـ عَن النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ : « **إِنَّ فِي الجَنَّةِ بَابًا يُقَالُ لَهُ الرَّيَّانُ، يَدْخُلُ مِنْهُ الصَّائِمُونَ يَوْمَ القِيَامَةِ، لا يَدْخُلُ مِنْهُ أَحَدٌ**».

قال المناوي ـ رَحِمَهُ اللَّهُ ـ: «وهو باب يسقى منه الصائم شرابا طهورا ، قبل وصوله إلى وسط الجنة ليذهب عطشه، وفيه مزيد مناسبة وكمال علاقة بالصوم، واكتفى بالري عن الشبع لدلالته عليه ، أو لأنه أشق على الصائم من الجوع، وقوله: (يَدْخُلُ مِنْهُ) أي: إلى الجنة ، وقوله:(الصَّائِمُونَ): يعني الذين يكثرون الصوم». ا هـ .[2]

ومن فضائل الصيام أنه وقاية لصاحبه من النار، فقد روى البخاري ومسلم عَنْ

---

(١)صحيح ، صحححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب - (١ / ٢٤١) (٩٩).
(٢)فيض القدير (٢ / ٥٨٨).

أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ قَالَ : سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «مَنْ صَامَ يَوْمًا فِي سَبِيلِ اللهِ، بَعَّدَ اللهُ وَجْهَهُ عَنِ النَّارِ سَبْعِينَ خَرِيفًا».

وقد ذهب بعض أهل العلم إلى أنه الصيام الذي يكون في أرض الجهاد.

والصواب أنه يشمل كل صيام في طاعة الله أخلص فيه صاحبه لله وابتغى به وجه الله، والله أعلم.

ومن فضائل الصيام أن من مات صائما دخل الجنة، لأنه مات على طاعة ، ومن علامات حسن الخاتمة أن يموت المسلم صائما سواء كان ذلك في شهر رمضان أو في غيره، فينبغي على العبد أن يكثر من الصيام لعل الله يختم له به، فيبعث صائما يوم القيامة ويدخل الجنة .

فقد روى الإمام أحمد عَنْ حُذَيْفَةَ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ قَالَ : أَسْنَدْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى صَدْرِي فَقَالَ : « **مَنْ قَالَ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللهِ خُتِمَ لَهُ بِهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ، وَمَنْ صَامَ يَوْمًا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللهِ خُتِمَ لَهُ بِهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ، وَمَنْ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللهِ خُتِمَ لَهُ بِهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ** » (١).

فينبغي اغتنام هذا الشهر المبارك بالمسارعة في الخيرات ، فإنه كفارة السَنَة كما في حديث أبي هريرة ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ عند الإمام مسلم أن رَسُول اللهِ صَلَّى الله عَلَيْهِ وسَلَّمَ قَالَ : « وَرَمَضَانُ إِلَى رَمَضَانَ، مُكَفِّرَاتٌ مَا بَيْنَهُنَّ»الحديث .

وينبغي على العبد إذا أدرك رمضان أن يحمد الله ويغتنمه بالطاعات ، ولعله لا يدرك رمضان الآخر فيكون في عداد الموتى ويصير من المنسيين، فإنه في أول ليلة من رمضان ينادي منادٍ :يا باغي الخير أقبل ويا باغي الشر أقصر.

فقد روى ابن ماجه عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ،رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، عَنْ رَسُول اللهِ صَلَّى الله عَلَيْه وسَلَّمَ قَالَ : «**إِذَا كَانَتْ أَوَّلُ لَيْلَةٍ مِنْ رَمَضَانَ ، صُفِّدَتِ الشَّيَاطِينُ ، وَمَرَدَةُ الْجِنِّ ، وَغُلِّقَتْ**

---

(١)صحيح ، صححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب – (١ / ٢٣٨)(٩٨٥) .

أَبْوَابُ النَّارِ، فَلَمْ يُفْتَحْ مِنْهَا بَابٌ، وَفُتِحَتْ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ، فَلَمْ يُغْلَقْ مِنْهَا بَابٌ ، وَنَادَى مُنَادٍ: يَا بَاغِيَ الْخَيْرِ أَقْبِلْ، وَيَا بَاغِيَ الشَّرِّ أَقْصِرْ ،وَلِلَّهِ عُتَقَاءُ،وَذَلِكَ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ»(١).

تنبيهات للصائم:

ينبغي على الصائم أن يغتنم هذا الشهر المبارك بالمسارعة بالخيرات وأن يحافظ على صومه مما يخدشه من المعاصي والمخالفات ، فإن الأجور المترتبة عليه هي في حق من صام عن الطعام والشراب والجماع واللغو والرفث، فتصوم جميع الجوارح عن الآثام ، فصيام العينين هو غض البصر عن الحرام ، وصيام الأذنين هو امتناعهما من سماع الحرام ، وصيام اللسان هو الإمساك عن الكلام المحرم ، وصيام اليد كفها عن البطش، وصيام الرجل حجزها عن المشي إلى الحرام، وصيام البطن الامتناع عن اللقمة الحرام وهلم جرا، فإن الصائم قد ترك المباحات تقربا إلى الله ، فمن باب أولى أن يترك المحرمات من أجل الله وذلك أسهل.

فإن من الناس من يصوم عن الأكل والشراب والجماع ولا يصوم عن المخالفات والمعاصي، فترى بعض الصائمين يكذب ويلعن ويقول الزور ، وترى بعضهم ينظرإلى المسلسلات التي قد ملأت بصورالنساء الكاسيات العاريات والمسرحيات المشتملة على الكذب والزور، وترى بعضهم يستمع إلى الأغنيات ، وترى بعضهم يأكل الحرام وغيرذلك. فأي صيام عند هؤلاء؟! وأي مغفرة يرجونها؟!.

فهؤلاء صومهم ناقص ويخشى عليهم من الإثم ، ويخشى على صومهم من حرمان الأجر والثواب، وربما خرج رمضان ولم يحظوا بمغفرة الذنوب.

فقد روى ابن خزيمة عن أبي هريرة ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ قال قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : **«ليس الصيام من الأكل والشرب إنما الصيام من اللغو والرفث فإن سابك أحد أو**

(١) ورواه الترمذي والبيهقي والحاكم وابن حبان وصححه الألباني في صحيح وضعيف سنن ابن ماجه - (٤ / ١٤٢)(١٦٤٢) وفي صحيح الترغيب والترهيب - (١ / ٢٤١) (٩٩٨) .

جهل عليك فقل إني صائم إني صائم » .[(١)]

وروى البخاري عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ قَالَ : قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : «مَنْ لَمْ يَدَعْ قَوْلَ الزُّورِ وَالْعَمَلَ بِهِ فَلَيْسَ لِلَّهِ حَاجَةٌ فِي أَنْ يَدَعَ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ».

أي لا يريد الله مثل هذا الصيام، وليس معناه أنه يترك الصيام.

قال ابن بطال رَحِمَهُ اللَّهُ:«قال المهلب : فيه دليل أن حكم الصيام الإمساك عن الرفث وقول الزور ، كما يمسك عن الطعام والشراب ، وإن لم يمسك عن ذلك فقد تنقص صيامه وتعرض لسخط ربه وترك قبوله منه . وقال غيره : وليس معناه أن يؤمر بأن يدع صيامه إذا لم يدع قول الزور ، وإنما معناه التحذير من قول الزور» ا هـ .[(٢)]

وعن أبي هريرة ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ قال قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : «رب صائم ليس له من صيامه إلا الجوع ورب قائم ليس له من قيامه إلا السهر»[(٣)]

قال المناوي رَحِمَهُ اللَّهُ في قوله عليه الصلاة والسلام: (**رُبَّ صَائِمٍ لَيْسَ لَهُ مِنْ صِيَامِهِ إِلَّا الْجُوعُ**): قال الغزالي: قيل: هو الذي يفطر على حرام أو من يفطر على لحوم الناس بالغيبة، أو من لا يحفظ جوارحه عن الآثام. ا هـ .[(٤)]

---

(١)صحيح :صححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب – (١ / ٢٦١)(١٠٨٢) وهوعند ابن حبان والحاكم .

(٢)شرح صحيح البخارى ـ لابن بطال – (٤ / ٢٣).

(٣)حسن صحيح: رواه ابن ماجه واللفظ له والنسائي وابن خزيمة والحاكم والبيهقي وانظر صحيح الترغيب والترهيب – (١ / ٢٦٢) (١٠٨٣) .

(٤)فيض القدير شرح الجامع الصغير – (٤ / ٢١).

الفصل الثاني

اغتنام الأيام والليالي المباركات

الأيام والليالي التي ثبت فيها الفضل والبركة التي ينبغي اغتنامها في فعل الخير- وسنذكرها حسب ترتيبها في السَنَة - هي كالتالي :

١- يوم الإثنين.

٢- يوم الخميس.

٣- يوم الجمعة.

٤- يوم عاشوراء.

٥- ليالي العشر الأخيرة من رمضان.

٦- ليلة القدر.

٧- الست من شهر شوال.

٨- أيام عشر ذي الحجة.

٩- يوم عرفة.

١٠- يوم النحر.

٩- أيام التشريق.

اغتنام يوم الإثنين والخميس:

إن مما ثبت في فضل هذين اليومين أن أبواب الجنة تفتح فيهما، وتعرض الأعمال على الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فكان صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يخصهما بالصيام، ويحث غيره على صيامهما، وفيهما يغفر الله لكل مسلم إلا مشركًا أو مشاحنًا أو مبتدعًا.

ومما ثبت في يوم الإثنين أنه اليوم الذي ولد فيه نبي الرحمة صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وبعث فيه رسولا إلى هذه الأمة.

فقد روى مسلم عن أبي قتادة ـ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ ـ قَالَ: سُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ –صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ صَوْمِ يَوْمِ الإِثْنَيْنِ فقَالَ: « ذَاكَ يَوْمٌ وُلِدْتُ فِيهِ وَيَوْمٌ بُعِثْتُ أَوْ أُنْزِلَ عَلَيَّ فِيهِ ».

وروى الإمام مسلم أيضًاعن أَبِي هُرَيْرَةَ ـ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ ـ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ –صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– قَالَ: « تُفْتَحُ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَ الإِثْنَيْنِ وَيَوْمَ الْخَمِيسِ فَيُغْفَرُ لِكُلِّ عَبْدٍ لا يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا إِلاَّ رَجُلاً كَانَتْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَخِيهِ شَحْنَاءُ فَيُقَالُ أَنْظِرُوا هَذَيْنِ حَتَّى يَصْطَلِحَا أَنْظِرُوا هَذَيْنِ حَتَّى يَصْطَلِحَا أَنْظِرُوا هَذَيْنِ حَتَّى يَصْطَلِحَا ».

(وفي رواية له) أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ –صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– قَالَ: « **تُعْرَضُ الأَعْمَالُ فِي كُلِّ يَوْمِ خَمِيسٍ وَاثْنَيْنِ فَيَغْفِرُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ لِكُلِّ امْرِيءٍ لا يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا إِلاَّ امْرَأً كَانَتْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَخِيهِ شَحْنَاءُ فَيُقَالُ ارْكُوا هَذَيْنِ حَتَّى يَصْطَلِحَا ارْكُوا هَذَيْنِ حَتَّى يَصْطَلِحَا** ».

ومعنى:اركوا : أي ، أخروا، وجاءت روايات خارج مسلم بلفظ :(اتركوا..)

وروى الترمذي عن عَائِشَةَ ـ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا أنها سئلت عَنْ صِيَام رَسُولِ اللهِ صَلَّى الله عَلَيْهِ وسَلَّمَ ، فَقَالَتْ: «كَانَ يَتَحَرَّى صِيَامَ الإِثْنَيْنِ وَالْخَمِيسِ»[1].

---

(١) ورواه النسائي وابن ماجه ، وصححه الألباني في صحيح وضعيف سنن النسائي – (٦ / ٤) ٢٣٦٠ وصحيح وضعيف سنن ابن ماجه – (٤ / ٢٣٩)(١٧٣٩).

فكان النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يتحرى صيام هذين اليومين رجاء أن يعرض عمله وهو صائم، وهو سيد ولد آدم ، والمعصوم من كل ذنب ، والمغفور له ماتقدم من ذنبه وماتأخر، ومع هذا كان يغتنم مواسم الخيرات بالمسارعة بالطاعات، فغيره من باب أولى أن يغتنم هذه المواسم ، فينبغي على أمته أن يغتنموا صيام هذين اليومين لتعرض أعمالهم وهم صيام لعل الله أن يغفر ذنوبهم، وهو أسوتهم وقدوتهم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

فقد روى الترمذي عن أبي هريرة ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ : أن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: « **تعرض الأعمال يوم الإثنين والخميس فأحب أن يعرض عملي وأنا صائم** » .[1]

حكم الاحتفال بيوم الإثنين (أو بالمولد النبوي) :

الاحتفال بيوم الإثنين محدث، أما قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:« **ذَاكَ يَوْمٌ وُلِدْتُ فِيهِ وَيَـوْمٌ بُعِثْتُ أَوْ أُنْـزِلَ عَلَيَّ فِيهِ** » فليس فيه دليل على الاحتفال بيوم مولده ، فإن ذلك بدعة منكرة ، لم يفعلها النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ولا صحابته من بعده، ولا تابعوهم،وهم أحرص الناس على الخير،وأقربهم إلى السُّنَّة،ورسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أحب إليهم ممن جاء بعدهم، فقد فدوه بأرواحهم وأموالهم وأولادهم وتركوا ديارهم وهاجروا معه، ولو كان ذلك خيرًا لسبقوا غيرهم إليه، وإنما الذي ثبت في هذه الأحاديث مشروعية الصيام يوم الإثنين واستحبابه، ولم يثبت الاحتفال بهذا اليوم كما يفعله أهل البدع الذين يحتفلون بمولد النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ويزعمون أنهم بذلك يحبون رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهم أبعد الناس عن هديه وسنته، ولوكانوا صادقين في محبتهم للنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لصاموا هذا اليوم متابعة له وتركوا الإحداث في هذا اليوم من الاحتفال فيه وجعله عيدا يأكلون ويشربون فيه ، ويتوسعون في المباحات وهذا خلاف هديه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.
فالله ورسوله يبغضان هذه الأفعال المحدثة، وقد حذرالله ورسوله من البدع

(١)ورواه النسائي وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب - (١ / ٢٥١)()١٠٤١

والمحدثات وأمرا بالتمسك بالسُّنَّة، وتوعدا على مخالفتها، وبين الله في كتابه أن أعظم علامات محبة الله ورسوله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ هو لزوم سنته ومتابعته، فمن كان صادقا في محبته لله ولرسوله فليعمل بالسُّنَّة وليجتنب البدعة.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾ ﴾ [آل عمران: ٣١].

قال الشيخ عبد المحسن العباد ـ حفظه الله ـ: « وهذا يدلنا على فضل صيام يوم الإثنين، وأما صيام يوم الخميس فقد جاءت أحاديث أخرى تدل على صيام الإثنين والخميس، وأن الأعمال تعرض فيهما على الله عَزَّوَجَلَّ، وأنه صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ يحب أن يعرض عمله وهو صائم، وقد جاء ما يدل على صوم الإثنين والخميس أحاديث عديدة، ولكن كونه يعلل بأنه يوم ولد فيه وأنزل عليه فيه القرآن هذا يدلنا على فضل صيام يوم الإثنين.

ثم إن بعض الذين فتنوا بالموالد يستدلون على إقامة مولد النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ بهذا الحديث، وفي الحقيقة هذا الحديث ليس فيه دليل لهم؛ لأنهم في المولد لا يصومون، وإنما يأكلون الأطعمة ويتنافسون فيها، ويكثرون من أنواع الطعام، وهو خلاف ما جاء عن رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ.

قوله: [**(ذاك يوم ولدت فيه)**] معناه: من أراد أن يحصل منه احتفاء بذلك اليوم فإن الطريق إلى ذلك بأن يصومه؛ لأنه يوم ولد فيه الرسول صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ وأنزل عليه القرآن فيه، أما أن يجتمع الناس فيه للتلاوة وقول المدائح وغيرها فهذا من الأمور المحدثة المبتدعة التي ما أنزل الله تعالى بها من سلطان، ولم تأت فيها سُنَّة عن رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، وما فعلها الصحابة الكرام ولا التابعون ولا أتباع التابعين، ومضت ثلاثمائة سنة كاملة لا يوجد شيء اسمه الاحتفال بالموالد، حتى جاء الرافضة العبيديون الذين حكموا مصر في القرن الرابع فأحدثوا بدعة الموالد،

وقبل إحداث الرافضة العبيديين لها في القرن الرابع لم يكن لها وجود؛ ولهذا الكتب التي ألفت في تلك الحقبة وفي تلك الأزمان لا ذكر للموالد فيها أبداً لا مضافة إلى الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولا إلى خلفائه الراشدين، ولا الصحابة أجمعين، ولا التابعين ولا أتباع التابعين. فلو قال قائل: النصارى يحتفلون بميلاد عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، ونحن أولى أن نحتفل بميلاد محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. فنقول له: نحن مأمورون بمخالفة أهل الكتاب، والرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: (**لتتبعن سُنن من كان قبلكم، حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه**) فهذا تنفير لنا عن متابعتهم والاقتداء بهم، وإنما أمرنا بأن نقتدي بما جاء عن رسول الله صلوات الله وسلامه وبركاته عليه، فالمولد بدعة في الدين ما أنزل الله تعالى بها من سلطان، والرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بين للناس كل ما أمر بتبليغه، ولم يكن من ذلك هذه البدعة التي ابتدعها الرافضة العبيديون، وقلدهم من قلدهم فيها إلى هذا اليوم، ومنذ ذلك الوقت والناس بين فاعل لها ومنكر لها، ولكن قال عليه الصلاة والسلام: (**خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم**) وهؤلاء الخيار لا وجود لهذا العمل عندهم أبداً، بل هو من محدثات الأمور، والنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ محبته يجب أن تكون في قلب كل مسلم، وفوق محبة كل محبوب بعد الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فقد جاء عنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال: (**ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله**) ومحبة الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تابعة لمحبة الله، ويجب أن تكون محبة الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في قلب كل مسلم أعظم من محبته لنفسه، ومحبته لأبيه وأمه وابنه وبنته، وزوجته وصديقه وأقاربه، والناس أجمعين، قال عليه الصلاة والسلام: « **لا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَالِدِهِ وَوَلَدِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ**»[١]. اهـ.

---

(١) شرح سنن أبي داود: (١٣ / ٢٤٠)

شبهة والرد عليها:

فإن قيل :إنكم تصومون يوم الإثنين لأنه مولد النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ونحن نجتمع في هذا اليوم ونذكر الله فيه ونصلي على نبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .فما الفرق بين هذا وهذا؟.

الجواب:نحن نصومه لأن نبينا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صامه وحث على صيامه ، وأخبر أن الأعمال تعرض فيه على الله، وأن الله يغفر لمن شاء من خلقه في هذا اليوم، فالصيام مشروع فيه وسنة مؤكدة ، وأما الاحتفال فيه فليس مشروعا بل إنه بدعة محدثة وتشبه بالنصارى إذ إنهم يحتفلون بيوم ميلاد المسيح عَلَيْهِ السَّلَامُ وقد أمرنا بمخالفتهم وعدم التشبه بهم، فلنا سلف في صيام يوم الإثنين، وأما أنتم فمن سلفكم في الاحتفال بهذا اليوم؟.

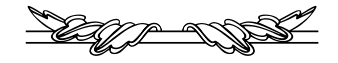
فإن قلتم :نحتفل بمولده كما احتفل النصارى بيوم ميلاد عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، قلنا:إذن تشبهتم بهم، وإن قلتم نحتفل بيوم مولد نبينا محبة له وإحياء لذكره، قلنا :إذن ابتدعتم وخالفتم من سبقكم، فأنتم بين أمرين كلاهما محظور.

ونقول لهم : هل علم السلف الصالح الاحتفال بالمولد أم لم يعلموه؟فإن قالوا: لم يعلموه ، نقول لهم:شيء لم يعلمه السلف الصالح ، فكيف علمتموه؟!، وهذا تنقص منهم لخير القرون، فإن قالوا قد علموه، نقول لهم:هل احتفلوا أم لم يحتفلوا؟، سيقولون :لم يحتفلوا، نقول لهم:فلماذا ما يسعكم ماوسعهم؟، ثم نقول لهم : من خير أنتم أم السلف الصالح؟، فإن قالوا نحن خير منهم فقد ضلوا ضلالا بعيدا، وإن قالوا هم خير منا، فنقول لهم اتبعوا منهجهم واقتفوا أثرهم فإنهم عن علم عملوا وببصر نافذٍ كفوا فمن خالفهم فقد ضل سواء السبيل.

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾ ﴾ [النساء : ١١٥] .

فصوموا هذا اليوم كما صام نبيكم صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولاتزيدوا فيه ما لم يات عن نبيكم ، ومن لم يسعه ما وسع نبيه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فلا وسع الله عليه.

والناظر إلى أصحاب الموالد يراهم في وادٍ، ومحبة النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ومتابعته في وادٍ آخر، فلو كانوا صادقين لصاموا هذا اليوم الذي صامه نبيهم صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لكنك تراهم يأكلون ويشربون ويتوسعون في المباحات ويمضغون القات ، ويحلقون لحاهم ويرتكبون المخالفات وغير ذلك من البدع والمحدثات، وكأن هذا اليوم عيد، شرعوه من تلقاء أنفسهم تبعا لأهوائهم، وقد نهى النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن الصيام في الأعياد، دل على أن هذا اليوم ليس عيدا ولا يجوز الاحتفال فيه، وتراهم يتناقضون إذ يقولون: إنهم يحتفلون في يوم مولده صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وفي الواقع تراهم غالبا يحتفلون في غير يوم الإثنين موافقة للحادي عشر من شهر ربيع الأول، ولم يثبت أن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولد في هذا اليوم وليس على ذلك دليل صحيح، دل ذلك على أنهم أصحاب أهواء وبدع، فإن خير الهدي هدي رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فمن خالف هديه تخبط وضل وغوى .



اغتنام يوم الجمعة

إن يوم الجمعة هو أفضل يوم طلعت عليه الشمس، وفيه خلق آدم ، وفيه أدخل الجنة، وفيه أخرج منها، وفيه تقوم الساعة.

وهو أفضل أيام الأسبوع ، وقد شرع الله فيه عبادات عظيمة، وحث على التقرب فيه بأنواع من القربات، كالذكر، والتبكير إلى الجمعة، والخطبة، والصلاة على النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، والتجمل والتطيب، واستماع الذكر، وتحري ساعة الإجابة ، وبه يكفر الله ذنوب الأسبوع.

قال ابن كثير ـ رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ في تفسيره: «إنما سميت الجمعة جمعة؛ لأنها مشتقة من الجمع، فإن أهل الإسلام يجتمعون فيه في كل أسبوع مَرَّةً بالجوامع الكبار وفيه كَمُل جميع الخلائق، فإنه اليوم السادس من الستة التي خلق الله فيها السموات والأرض» اهـ . .

فيوم الجمعة فضله الله على سائر أيام الأسبوع ، وخصه بصلاة الجمعة وخطبة الجمعة، وأمر الناس بالاجتماع في هذا اليوم لطاعته ولذكره وشكره .

قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ فَٱسْعَوْاْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلْبَيْعَ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٩﴾ ﴾[الجمعة:٩].

ونهى الله تعالى عن البيع والشراء بعد النداء؛ تعظيما لهذه الشعيرة العظيمة ، فإن حصل البيع والشراء بعد النداء يوم الجمعة فإنه فاسد لهذه الآية.

قال المفسر ابن كثير ـ رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ:«وقوله: ﴿ وَذَرُواْ ٱلْبَيْعَ ۚ ﴾ أي: اسعوا إلى ذكر الله واتركوا البيع إذا نودي للصلاة: ولهذا اتفق العلماء رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ على تحريم البيع بعد

النداء الثاني. واختلفوا: هل يصح إذا تعاطاه متعاط أم لا؟ على قولين، وظاهر الآية عدم الصحة كما هو مقرر في موضعه، والله أعلم» . ا هـ .

وهو خير الأيام ، ففيه خُلق آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ **وفيه تقوم الساعة.**

فقد روى الإمام مسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ : «خَيْرُ يَوْمٍ طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ يَوْمُ الْجُمُعَةِ، فِيهِ خُلِقَ آدَمُ، وَفِيهِ أُدْخِلَ الْجَنَّةَ، وَفِيهِ أُخْرِجَ مِنْهَا، وَلَا تَقُومُ السَّاعَةُ إِلَّا فِي يَوْمِ الْجُمُعَةِ».

ويوم الجمعة عيد المسلمين لما روى الطبراني في الأوسط عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ قَالَ : عُرِضَتِ الْجُمُعَةُ عَلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، جَاءَ بِهَا جِبْرِيلُ فِي كَفِّهِ كَالْمِرْآةِ الْبَيْضَاءِ فِي وَسَطِهَا كَالنُّكْتَةِ السَّوْدَاءِ، فَقَالَ : «مَا هَذِهِ يَا جِبْرِيلُ؟» قَالَ : هَذِهِ الْجُمُعَةُ يَعْرِضُهَا عَلَيْكَ رَبُّكَ لِتَكُونَ لَكَ عِيدًا وَلِقَوْمِكَ مِنْ بَعْدِكَ، وَلَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ تَكُونُ أَنْتَ الْأَوَّلُ، وَيَكُونُ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى مِنْ بَعْدِكَ، وَفِيهَا سَاعَةٌ لَا يَدْعُو أَحَدٌ رَبَّهُ بِخَيْرٍ هُوَ لَهُ قَسْمٌ إِلَّا أَعْطَاهُ، أَوْ يَتَعَوَّذُ مِنْ شَرٍّ إِلَّا دَفَعَ عَنْهُ مَا هُوَ أَعْظَمُ مِنْهُ، وَنَحْنُ نَدْعُوهُ فِي الْآخِرَةِ يَوْمَ الْمَزِيدِ» (١) .

فيُغتنم هذا اليوم بالنظافة، والاغتسال، والتجمل والتطيب، واستعمال السواك، ولبس الثياب الجميلة والنظيفة ، والتبكير إلى المسجد، فإنه يترتب على ذلك أجور عظيمة.

فقد جاء في الصحيحين عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : **«مَنِ اغْتَسَلَ يَوْمَ الجُمُعَةِ غُسْلَ الجَنَابَةِ ثُمَّ رَاحَ، فَكَأَنَّمَا قَرَّبَ بَدَنَةً، وَمَنْ رَاحَ فِي السَّاعَةِ الثَّانِيَةِ، فَكَأَنَّمَا قَرَّبَ بَقَرَةً، وَمَنْ رَاحَ فِي السَّاعَةِ الثَّالِثَةِ، فَكَأَنَّمَا قَرَّبَ كَبْشًا أَقْرَنَ، وَمَنْ رَاحَ فِي السَّاعَةِ الرَّابِعَةِ، فَكَأَنَّمَا قَرَّبَ دَجَاجَةً، وَمَنْ رَاحَ فِي السَّاعَةِ الخَامِسَةِ، فَكَأَنَّمَا قَرَّبَ بَيْضَةً، فَإِذَا خَرَجَ الإِمَامُ حَضَرَتِ المَلَائِكَةُ يَسْتَمِعُونَ الذِّكْرَ»**.

---

(١) قال الألباني :حسن صحيح. انظر صحيح الترغيب والترهيب – (١ / ١٦٩) (٩٦٤) .

وروى ابن ماجه عَن ابْن عَبَّاس ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ : قَالَ رَسُولُ الله – صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ –: «**إِنَّ هَذَا يَوْمُ عِيدٍ، جَعَلَهُ الله لِلْمُسْلِمِينَ، فَمَنْ جَاءَ إِلَى الْجُمُعَةِ فَلْيَغْتَسِلْ، وَإِنْ كَانَ عنده طِيبٌ فَلْيَمَسَّ مِنْهُ، وَعَلَيْكُمْ بِالسِّوَاكِ**» .[1] .

وعَنْ أَوْس بْن أَوْس ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ عَن النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : «**مَنْ غَسَّلَ، وَاغْتَسَلَ ، وَغَدَا وَابْتَكَرَ وَدَنَا مِنَ الإِمَامِ ، وَلَمْ يَلْغُ كَانَ لَهُ بِكُلِّ خَطْوَةٍ عَمَلُ سَنَةٍ صِيَامُهَا ، وَقِيَامُهَا**»[2].

*** ومن فضل هذا اليوم أن فيه ساعة لا يوافقها عبد مؤمن يدعو الله ؛ إلا استجاب الله له.**

كما في حديث أنس الذي تقدم ذكره قريبا، فتغتنم هذه الساعة بكثرة الدعاء، لعل الله يفرج هما، أو يكشف كربًا ، أو يقضي دينًا، أو يغفر ذنبًا، بسبب دعوة يدعو بها العبد فيستجيب الله له ، وأرجى ما تكون هذه الساعة :في آخر ساعة من يوم الجمعة على الصحيح من أقوال أهل العلم، كما سيأتي بيان ذلك في أوقات الإجابة إن شاء الله تعالى، فليكثر العبد من الدعاء في هذا اليوم لعله يوافقها.

*** ومن فضائل هذا اليوم أنه كفارة للذنوب ، وأن الأعمال فيه مباركة والأجور مضاعفة .**

فقد روى مسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ـ ر ضي الله عنه ـ أَنَّ رَسُولَ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**الصَّلَوَاتُ الْخَمْسُ، وَالْجُمْعَةُ إِلَى الْجُمْعَةِ، وَرَمَضَانُ إِلَى رَمَضَانَ، مُكَفِّرَاتٌ مَا بَيْنَهُنَّ ، مَا لَمْ تُغْشَ الْكَبَائِرُ** ».أي ما لم ترتكب الكبائر.

وروى الإمام مسلم أيضًا عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ

(١)حسن ، حسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب – (١ / ١٧٢)(٧٠٧) .
(٢) صححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب – (١ / ١٦٨)(٦٩٠)وقال : رواه أحمد وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه وابن خزيمة وابن حبان والحاكم .

وَسَلَّمَ، قَالَ : «**مَن اغْتَسَلَ؟ ثُمَّ أَتَى الْجُمُعَةَ، فَصَلَّى مَا قُدِّرَ لَهُ، ثُمَّ أَنْصَتَ حَتَّى يَفْرُغَ مِنْ خُطْبَتِهِ، ثُمَّ يُصَلِّي مَعَهُ، غُفِرَ لَهُ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجُمُعَةِ الْأُخْرَى، وَفَضْلُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ**».

*** ومن خصائص هذا اليوم، الإكثار من الصلاة على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فإنها معروضة عليه .**

فقد روى أبو داود عن أَوْس بْن أَوْس ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ قَالَ : قَالَ رَسُولُ الله – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – « **إِنَّ مِنْ أَفْضَلِ أَيَّامِكُمْ يَوْمَ الْجُمُعَةِ فِيهِ خُلِقَ آدَمُ وَفِيهِ قُبِضَ وَفِيهِ النَّفْخَةُ وَفِيهِ الصَّعْقَةُ فَأَكْثِرُوا عَلَيَّ مِنَ الصَّلَاةِ فِيهِ فَإِنَّ صَلَاتَكُمْ مَعْرُوضَةٌ عَلَيَّ** ».

قَالَ : قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ وَكَيْفَ تُعْرَضُ صَلَاتُنَا عَلَيْكَ وَقَدْ أَرِمْتَ يَقُولُونَ بَلِيتَ. فَقَالَ : « **إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ حَرَّمَ عَلَى الْأَرْضِ أَجْسَادَ الْأَنْبِيَاءِ** » (١) .

ولا يخفى فضل الصلاة على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عموما ويوم الجمعة خصوصًا ، وسيأتي ذكر ذلك بخصوصه في باب الأعمال المباركة إن شاء الله تعالى.

*** ومن فضل يوم الجمعة أن في الجنة سوقًا يأتيه المؤمنون كل جمعة .**

فقد روى الإمام مسلم عَنْ أَنَس بْنِ مَالِك ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ أَنَّ رَسُولَ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « **إِنَّ فِي الْجَنَّةِ لَسُوقًا، يَأْتُونَهَا كُلَّ جُمُعَةٍ، فَتَهُبُّ رِيحُ الشَّمَالِ فَتَحْثُو فِي وُجُوهِهِمْ وَثِيَابِهِمْ، فَيَزْدَادُونَ حُسْنًا وَجَمَالًا، فَيَرْجِعُونَ إِلَى أَهْلِيهِمْ وَقَد ازْدَادُوا حُسْنًا وَجَمَالًا، فَيَقُولُ لَهُمْ أَهْلُوهُمْ: وَاللهِ لَقَدِ ازْدَدْتُمْ بَعْدَنَا حُسْنًا وَجَمَالًا، فَيَقُولُونَ: وَأَنْتُمْ، وَاللهِ لَقَدِ ازْدَدْتُمْ بَعْدَنَا حُسْنًا وَجَمَالًا** » .

قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ : «الْمُرَاد بِالسُّوقِ مَجْمَع لَهُمْ يَجْتَمِعُونَ كَمَا يَجْتَمِع النَّاس فِي الدُّنْيَا فِي السُّوق ، وَمَعْنَى (يَأْتُونَهَا كُلّ جُمُعَة) أَيْ : فِي مِقْدَار كُلّ جُمْعَة أَيْ أُسْبُوع ،

(١) صحيح:ورواه الإمام أحمد والنسائي وابن ماجه وابن حبان والحاكم والبيهقي وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٤ / ٣٢)برقم(١٥٢٧) .

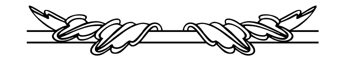
وَلَيْسَ هُنَاكَ حَقِيقَة أُسْبُوع لِفَقْدِ الشَّمْس وَاللَّيْل وَالنَّهَار» اهـ . (١)

*** ومن الأخطاء ، إفراد يوم الجمعة بصيام، أو تخصيص ليلة الجمعة بقيام.**

فقد روى الإمام مسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- عَنِ النَّبِيِّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ: « لا تَخْتَصُّوا لَيْلَةَ الْجُمُعَةِ بِقِيَامٍ مِنْ بَيْنِ اللَّيَالِي وَلاَ تَخُصُّوا يَوْمَ الْجُمُعَةِ بِصِيَامٍ مِنْ بَيْنِ الأَيَّامِ إِلاَّ أَنْ يَكُونَ فِي صَوْمٍ يَصُومُهُ أَحَدُكُمْ ».

ومن الاخطاء عند كثير من العامة تخصيص يوم الجمعة بزيارة المقابر ، لاعتقاد أن للزيارة فضلا يوم الجمعة ، وهذا الفعل محدث ليس عليه دليل، وإنما يشرع زيارة المقابر في أي يوم تيسرمن الأيام بدون تخصيص ليوم من الأيام.

فقد روى الإمام البخاري ومسلم عَنْ عَائِشَةَ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهَاـ قَالَتْ :قَالَ : رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ فِيهِ، فَهُوَ رَدٌّ**» **وفي رواية لمسلم** : «**مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ**» .



(١) شرح مسلم (٩/ ٢١٥) .

اغتنام يوم عاشوراء



يوم عاشوراء هو اليوم العاشر من شهر الله المحرم ، وهو اليوم الذي نجى الله فيه موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ وقومه، وأغرق فرعون وقومه ، وكانت بنو إسرائيل تصومه لهذه العلة ، وكانت قريش تصومه كذلك، فلما هاجر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى المدينة وجد اليهود يصومونه، فسألهم عن سبب صيامهم ليوم عاشوراء فأخبروه ، فصامه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأمر بصيامه ، وحث على صيام يوم قبله مخالفة لليهود، وأخبر أنه يكفر ذنوب سَنة كاملة.

وقد كان صيام يوم عاشورا فرضًا واجبًا ، وذلك قبل أن يشرع صيام رمضان، فلما فرض الله صيام شهر رمضان، نُسخ صيام يوم عاشوراء من الوجوب إلى الاستحباب ، فصار صيامه مستحبًا استحبابًا شديدًا.

فيوم عاشوراء يوم عظيم أنجى الله فيه موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ وقومه وأهلك فرعون وقومه في البحر.

ففي صحيح مسلم عَن ابْنِ عَبَّاس ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا ـ أَنَّ رَسُولَ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ قَدمَ المدِينَةَ فَوَجَدَ الْيَهُودَ صِيَامًا يَوْمَ عَاشُورَاءَ، فَقَالَ : لَهُمْ رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا هَذَا الْيَوْمُ الَّذِي تَصُومُونَهُ؟» فَقَالُوا: هَذَا يَوْمٌ عَظِيمٌ، أَنْجَى اللهُ فِيهِ مُوسَى وَقَوْمَهُ، وَغَرَّقَ فِرْعَوْنَ وَقَوْمَهُ، فَصَامَهُ مُوسَى شُكْرًا، فَنَحْنُ نَصُومُهُ، فَقَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «فَنَحْنُ أَحَقُّ وَأَوْلَى بِمُوسَى مِنْكُمْ فَصَامَهُ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَأَمَرَ بِصِيَامِهِ».

فصامه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وأمر بصيامه، وأمر بمخالفة اليهود بصيام يوم

قبله؛ لأن اليهود كفار لاينفعهم صيامهم، ولايقبله الله منهم حتى يقروا بالإسلام، وموسى عَلَيْهِ السَّلَامُ بريء منهم، فكان المسلمون أولى بموسى عَلَيْهِ السَّلَامُ من اليهود من هذه الحيثية، قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ﴾[التوبة:٧١].

الأدلة على فرضية صيام يوم عاشوراء في أول الأمر:

روى الإمام مسلم عَنْ سَلَمَةَ بْنِ الْأَكْوَعِ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ أَنَّهُ قَالَ: بَعَثَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَجُلًا مِنْ أَسْلَمَ يَوْمَ عَاشُورَاءَ، فَأَمَرَهُ أَنْ يُؤَذِّنَ فِي النَّاسِ: «مَنْ كَانَ لَمْ يَصُمْ، فَلْيَصُمْ وَمَنْ كَانَ أَكَلَ، فَلْيُتِمَّ صِيَامَهُ إِلَى اللَّيْلِ».

وروى مسلم أيضًا عن عَائِشَةَ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا ـ قَالَتْ: «كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَأْمُرُ بِصِيَامِهِ قَبْلَ أَنْ يُفْرَضَ رَمَضَانُ، فَلَمَّا فُرِضَ رَمَضَانُ، كَانَ مَنْ شَاءَ صَامَ يَوْمَ عَاشُورَاءَ وَمَنْ شَاءَ أَفْطَرَ».

وفي الصحيحين عَنْ عَائِشَةَ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا ـ قَالَتْ: «كَانَ يَوْمُ عَاشُورَاءَ يَوْمًا تَصُومُهُ قُرَيْشٌ، فِي الجَاهِلِيَّةِ وَكَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَصُومُهُ، فَلَمَّا قَدِمَ المَدِينَةَ صَامَهُ، وَأَمَرَ بِصِيَامِهِ، فَلَمَّا نَزَلَ رَمَضَانُ كَانَ مَنْ شَاءَ صَامَهُ، وَمَنْ شَاءَ لا يَصُومُهُ».

الدليل على نسخ صيام يوم عاشوراء من الوجوب إلى الاستحباب مع ما تقدم:

روى البخاري ومسلم عن مُعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ -لِهَذَا الْيَوْمِ-«هَذَا يَوْمُ عَاشُورَاءَ، وَلَمْ يَكْتُبِ اللهُ عَلَيْكُمْ صِيَامَهُ، وَأَنَا صَائِمٌ، فَمَنْ أَحَبَّ مِنْكُمْ أَنْ يَصُومَ فَلْيَصُمْ، وَمَنْ أَحَبَّ أَنْ يُفْطِرَ فَلْيُفْطِرْ».

استحباب صيام يوم قبله مخالفة لليهود:

فقد روى الإمام مسلم ـ رَحِمَهُ اللَّهُ ـ عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَئِنْ بَقِيتُ إِلَى قَابِلٍ لَأَصُومَنَّ التَّاسِعَ» وَفِي

رِوَايَةِ أَبِي بَكْرٍ: قَالَ : يَعْنِي يَوْمَ عَاشُورَاءَ.

إلا أنه مات عليه الصلاة والسلام قبل أن يأتي العام المقبل، فصار صيام يوم قبله سُنَّة.

وروى الترمذي - رَحِمَهُ ٱللَّهُ - عَن ابْنِ عَبَّاسٍ - رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا موقوفا- أَنَّهُ قَالَ : «صُومُوا التَّاسِعَ وَالعَاشِرَ وَخَالِفُوا اليَهُودَ»[1].

قال الحافظ - رَحِمَهُ ٱللَّهُ: « ثُمَّ مَا هَمَّ بِهِ مِنْ صَوْمِ التَّاسِعِ يَحْتَمِلُ مَعْنَاهُ أَنَّهُ لَا يَقْتَصِرُ عَلَيْهِ بَلْ يُضِيفُهُ إِلَى الْيَوْمِ الْعَاشِرِ إِمَّا احْتِيَاطًا لَهُ وَإِمَّا مُخَالَفَةً لِلْيَهُودِ وَالنَّصَارَى وَهُوَ الْأَرْجَحُ. ا هـ .[2]

فإن قال قائل: ها أنتم تتشبهون باليهود بصيام يوم عاشوراء.!

أجيب عنه: بأنه ليس في ذلك تشبه؛ لأن الذي شرع صيامه هو رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثم إنه حث على صيام يوم قبله مخالفة لليهود، فيستحب صيامه وصيام يوم قبله،، وكل ما فعله النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فهو سنة، سواء فعله اليهود والنصارى أم لم يفعلوه، ما دام أن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هو الذي سَنَّه وشرعه.

ويجوز إفراد يوم عاشوراء وحده لكنه خلاف الأفضل وبعضهم كره ذلك.

قال الحافظ - رَحِمَهُ ٱللَّهُ «: وَعَلَى هَذَا فَصِيَامُ عَاشُورَاءَ عَلَى ثَلَاث مَرَاتِبَ أَدْنَاهَا أَنْ يُصَامَ وَحْدَهُ وَفَوْقَهُ أَنْ يُصَامَ التَّاسِعُ مَعَهُ وَفَوْقَهُ أَنْ يُصَامَ التَّاسِعُ وَالْحَادِي عَشَرَ وَاللَّهُ أَعْلَمُ. ا هـ .[3]

والأفضل هو صيام يوم عاشوراء، وصيام يوم قبله، كما جاء مبينا في السُّنَّة، فمن فاته اليوم التاسع فلا بأس أن يصوم العاشر والحادي عشر والله أعلم.

(١)صححه الألباني في صحيح وضعيف سنن الترمذي - (٢ / ٢٥٥) (٧٥٥) .
(٢)فتح الباري (٤ / ٢٤٥) .
(٣)فتح الباري (٤ / ٢٤٦) .

وقد كان نبينا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يتحرى صيام يوم عاشوراء ، وأخبر أنه يكفر الله به ذنوب سَنة من الصغائر:

فقد روى الإمام مسلم عَنْ أَبِي قَتَادَةَ الْأَنْصَارِيِّ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سُئِلَ عَنْ صَوْمِ يَوْمِ عَاشُورَاءَ؟ فَقَالَ : «**يُكَفِّرُ السَّنَةَ الماضِيَةَ**» وفي رواية: «**وَصِيَامُ يَوْمِ عَاشُورَاءَ، أَحْتَسِبُ عَلَى اللهِ أَنْ يُكَفِّرَ السَّنَةَ الَّتِي قَبْلَهُ**».

قال بعض أهل العلم: والذنوب التي يكفرها صيام يوم عرفة وصيام يوم عاشوراء: هي الصغائر وأما الكبائر فتحتاج إلى توبة، فإن لم يصادف صغيرة يرجى أن يكفر الكبائر.

قال النووي ـ رَحِمَهُ اللَّهُ ـ : «قَوْله : (مَنْ تَوَضَّأَ هَكَذَا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبه وَكَانَتْ صَلَاته وَمَشْيه إِلَى الْمَسْجِد نَافِلَة) وَفِي الْحَدِيث الْآخَر : (الصَّلَوَات الْخَمْس كَفَّارَة لِمَا بَيْنهنَّ) . وَفِي الْحَدِيث الْآخَر : (الصَّلَوَات الْخَمْس وَالْجُمُعَة إِلَى الْجُمُعَة وَرَمَضَان إِلَى رَمَضَان . مُكَفِّرَات مَا بَيْنهنَّ إِذَا اُجْتُنِبَتْ الْكَبَائِر) : فَهَذِهِ الْأَلْفَاظ كُلّهَا ذَكَرَهَا مُسْلِم فِي هَذَا الْبَاب ، وَقَدْ يُقَال : إِذَا كَفَّرَ الْوُضُوء فَمَاذَا تُكَفِّر الصَّلَاة ؟ وَإِذَا كَفَّرَتْ الصَّلَاة فَمَاذَا تُكَفِّر الْجُمُعَات وَرَمَضَان ، وَكَذَلِكَ صَوْم يَوْم عَرَفَة كَفَّارَة سَنَتَيْنِ وَيَوْم عَاشُورَاء كَفَّارَة سَنَة ؟ وَإِذَا وَافَقَ تَأْمِينه تَأْمِين الْمَلَائِكَة غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبه ؟ وَالْجَوَاب مَا أَجَابَهُ الْعُلَمَاء أَنَّ كُلّ وَاحِد مِنْ هَذِهِ الْمَذْكُورَات صَالِح لِلتَّكْفِيرِ فَإِنْ وَجَدَ مَا يُكَفِّرهُ مِنْ الصَّغَائِر كَفَّرَهُ وَإِنْ لَمْ يُصَادِف صَغِيرَة وَلَا كَبِيرَة كُتِبَتْ بِهِ حَسَنَات وَرُفِعَتْ بِهِ دَرَجَات ، وَإِنْ صَادَفَتْ كَبِيرَة أَوْ كَبَائِر وَلَمْ يُصَادِف صَغِيرَة رَجَوْنَا أَنْ يُخَفِّف مِنْ الْكَبَائِر . وَاَللَّه أَعْلَم » اهـ .[١].

وقال ـ رَحِمَهُ اللَّهُ ـ : «قَوْله صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبه) .

الْمَعْرُوف عِنْد الْفُقَهَاء أَنَّ هَذَا مُخْتَصّ بِغُفْرَانِ الصَّغَائِر دُون الْكَبَائِر قَالَ : بَعْضهمْ

---

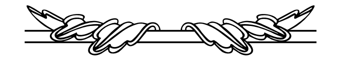
(١)شرح النووي على مسلم (١ / ٣٧٨) .

: وَيَجُوز أَنْ يُخَفِّف مِنْ الْكَبَائِر مَا لَمْ يُصَادِف صَغِيرَة»[١] .

فينبغي على المسلم أن يحرص على صيام هذا اليوم العظيم رجاء فضله وثوابه، فقد كان النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يصومه يتوخى فضله، لما روى الطبراني عَن ابْن عَبَّاس ـ رَضي اللهُ عَنْهُمَا ـ أَنَّ النَّبيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لَمْ يَكُنْ يَتَوَخَّى فَضْلَ يَوْم عَلَى يَوْمٍ بَعْدَ رَمَضَانَ إِلَّا يَوْمَ عَاشُورَاءَ**»[٢]. أي كان يتحرى صيام هذا اليوم رجاء فضله وثوابه.

وروى الإمام مسلم عن ابْن عَبَّاس ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا ـ أنه سُئِل عَنْ صِيَام يَوْم عَاشُورَاءَ فَقَالَ : «مَا عَلِمْتُ أَنَّ رَسُولَ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَامَ يَوْمًا يَطْلُبُ فَضْلَهُ عَلَى الْأَيَّام إِلَّا هَذَا الْيَوْمَ وَلَا شَهْرًا إِلَّا هَذَا الشَّهْرَ». يَعْنِي رَمَضَان.

فهذا الذي ثبت في فضل عاشوراء، أما ما يحدثه بعض الناس في هذا اليوم من البدع والمحدثات والاحتفالات والنياحة ، وضرب الخدود ، وشق الجيوب ، فما أنزل الله بذلك من سلطان، فإن خير الهدي هدي نبينا محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وشر الأمور محدثاتها ، وكل محدثة بدعة ، وكل ضلالة في النار.



(١)شرح النووي على مسلم (٣/ ١٠١).
(٢)حسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب - (١ / ٢٤٦)(١٠٢٠) .

اغتنام ليالي العشر الأواخر
من رمضان

فضلت العشر الأواخر من رمضان على غيرها من الليالي؛ لأنها خصت بليلة القدر التي هي خير من ألف شهر، ولأنها خاتمة شهر رمضان المبارك ، وهي أفضل ليالي السَنَة على الإطلاق، فقد كان نبينا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يجتهد فيها اجتهادًا لا يجتهد في غيرها بمثلها؛التماسا لهذه الليلة المباركة، وكان يعتكف في مسجده في هذه الليالي ، يجتهد في العبادات من صلاة وذكر وقراءة للقرآن ونحو ذلك ، فقد اعتكف النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولازم الاعتكاف حتى توفاه الله، واعتكف أزواجه من بعده .

فقد كان صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يجتهد فيها أكثر من غيرها ويجتهد في رمضان ما لا يجتهد في غيره.

فقد روى الإمام مسلم عن عَائِشَة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا : «**كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَجْتَهِدُ فِي الْعَشْرِ الْأَوَاخِرِ، مَا لَا يَجْتَهِدُ فِي غَيْرِهِ**».

فكان يحيي الليل بالعبادة ، ويوقظ أهله لصلاة الليل، ويعتزل النساء ، ويشمر في العبادة أكثر من عادته.

فقد روى البخاري ومسلم عَنْ عَائِشَةَ ـ رَضِيَ الله عَنْهَا ـ قَالَتْ :«**كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا دَخَلَ العَشْرُ شَدَّ مِئْزَرَهُ، وَأَحْيَا لَيْلَهُ، وَأَيْقَظَ أَهْلَهُ**».

فهذه هي عبادة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولنا به أسوة حسنة، قَالَ تَعَالَىٰ في كتابه الكريم: ﴿ **لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا** ﴿٢١﴾ ﴾ [الأحزاب:٢١] .

اغتنام الاعتكاف في العشر الأواخر من رمضان:

روى البخاري ومسلم عَنْ عَائِشَةَ – رَضِيَ الله عَنْهَا – ، زَوْجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ –: «**أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كَانَ يَعْتَكِفُ العَشْرَ الأَوَاخِرَ مِنْ رَمَضَانَ حَتَّى تَوَفَّاهُ اللَّهُ، ثُمَّ اعْتَكَفَ أَزْوَاجُهُ مِنْ بَعْدِهِ**» .

وقد كان النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يعتكف العشر الأوسط من رمضان، فأُخبر أن ليلة القدر في العشر الأواخر، فاعتكف في العشر الأواخر، وحث أصحابه على الاعتكاف فيها ، فكيف يفرط المسلم بعبادة لازم عليها رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حتى مات ؟! .

قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ : «وقد روى ابن المنذر عن ابن شهاب أنه كان يقول :عجبًا للمسلمين تركوا الاعتكاف وإنَّ النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لم يتركه منذ دخل المدينة حتى قبضه الله» اهـ .[1] .

بل إنه اعتكف في العام الذي توفي فيه عشرين يومًا، ففي صحيح البخاري عن أبي هريرة ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ قال : «كان يعرض على النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ القرآن كل عام مرة، فعرض عليه مرتين في العام الذي قبض فيه، وكان يعتكف كل عام عشرًا، فاعتكف عشرين في العام الذي قبض فيه».

* ويستحب للمعتكف أن يضرب له خيمة في المسجد؛ ليحقق ما اعتكف لأجله، فيختلي بربه، ولا ينشغل بغيره ، فقد روى البخاري عَنْ عَائِشَةَ ـ رَضِيَ الله عَنْهَا ـ قَالَتْ :كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَعْتَكِفُ فِي العَشْرِ الأَوَاخِرِ مِنْ رَمَضَانَ، فَكُنْتُ أَضْرِبُ لَهُ خِبَاءً فَيُصَلِّي الصُّبْحَ ثُمَّ يَدْخُلُهُ، فَاسْتَأْذَنَتْ حَفْصَةُ عَائِشَةَ أَنْ تَضْرِبَ خِبَاءً، فَأَذِنَتْ لَهَا، فَضَرَبَتْ خِبَاءً، فَلَمَّا رَأَتْهُ زَيْنَبُ بْنَت جَحْش ضَرَبَتْ خِبَاءً آخَرَ، فَلَمَّا أَصْبَحَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَأَى الأَخْبِيَةَ، فَقَالَ : «مَا هَذَا؟» فَأُخْبِرَ، فَقَالَ : النَّبِيُّ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–: «آلْبِرَّ تُرِدْنَ ؟» فَتَرَكَ الاعْتِكَافَ ذَلِكَ

---

(١) الفتح (٤/ ٢٨٥) .

الشَّهْرَ، ثُمَّ اعْتَكَفَ عَشْرًا مِنْ شَوَّال».

وفي هذا الحديث جواز الاعتكاف في غير رمضان، لكن لا يجزئ إلا في المسجد، ويستحب قضاء النوافل الفائتة، فإن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قضى الاعتكاف في شوال، وإنما تركه ذلك العام؛ لأنه رأى أن الاعتكاف ربما خرج عن مقصوده في ذلك العام، ولأنه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يريد أن يختلي بربه ، فلما رأى نساءه عنده في المسجد صار كأنه في بيته، فربما شُغل بأهله، فيتنافى ذلك مع مقصود الاعتكاف ، ولذلك خرج من المعتكف، كما ذكر نحو هذا بعض أهل العلم والله أعلم.

فإن الغرض من الاعتكاف، هو أن يختلي المعتكف بربه، فيناجيه ويذكره ويستغفره، ويعتزل الناس، ويقرأ القرآن، ويتجنب الإكثار من المحادثات والجدالات، والإكثارمن الاتصالات إلا لحاجة، بل ينبغي أن يغلق جواله ويتصل بالله فلا يفتحه إلا في أوقات محدودة حسب الحاجة .

فإن من المخالفات في الاعتكاف، كثرة الاتصالات والمحادثات، والجدال والخصومات، وإزعاج المعتكفين والنائمين ، والإكثارمن الدخول والخروج لغير ما حاجة ، بل إن بعضهم يرتكبون المخالفات في المعتكفات، فترى بعضهم يبيعون ويشترون، ويأكلون القات، وربما شاهدوا المسلسلات في جوالاتهم ، وهذا لايجوز، وينافي الاعتكاف ومقصوده ، فإن الاعتكاف هو لزوم المسجد في طاعة الله ليتفرغ الإنسان للعبادة من ذكر واستغفار وقراءة القرآن وغير ذلك.

وقد ابتلي الناس في هذه العشر بموسم التجارات وتجهيزات العيد، فانشغل كثير من الناس ـ إلا من رحم الله ـ بموسم الدنيا وأهملوا موسم الآخرة وهو الاجتهاد في هذه العشر بالاعتكاف وقراءة القرآن وتحري ليلة القدر ، فوفق الله لهذا الشأن من أراد من خلقه برحمته، وصرف من أراد بعدله، والموفق من جعل هذه الدنيا ممرا لا مقرا ، وسفرا لا حضرا، وأخذمنها ما يكفيه ، وترك ما يلهيه ويطغيه.

اغتنام ليلة القدر

إن ليلة القدر هي أفضل ليالي السَنَة على الإطلاق بلا خلاف، وهي الليلة التي نزل فيها أشرف الكتب وهو القرآن الكريم، فمن قامها إيمانًا واحتسابًا غفر له ما تقدم من ذنبه، والعبادة فيها خير من عبادة ألف شهر، أي خير من بضع وثمانين سَنة، جعلها الله رحمة لعباده ؛ ليستعتب المقصر، ويتوب المذنب، ويتزود المؤمن، وقد تحراها نبينا صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ واجتهد في لياليها ، واعتكف العشر الأواخر يلتمسها، فحري بكل مسلم أن يقومها ويجتهد في لياليها ، فإنه من وُفق لها فقد حاز الخير كله، ومن حرمها فقد حرم خيرًا كثيرًا .

يقول الله سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ في شأنها:﴿ إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةِ ٱلۡقَدۡرِ ١ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ ٢ لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ خَيۡرٞ مِّنۡ أَلۡفِ شَهۡرٖ ٣ تَنَزَّلُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذۡنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمۡرٖ ٤ سَلَٰمٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطۡلَعِ ٱلۡفَجۡرِ ٥ ﴾[القدْر:١-٥] .

بين الله سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ في هذه السورة شرف ليلة القدر، وأنزل في شأنها سورة تتلى إلى قيام الساعة.

وذكر من فضلها أنه أنزل القرآن الكريم فيها ف قَالَ تَعَالَىٰ : ﴿ إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةِ ٱلۡقَدۡرِ ١ ﴾ (القدر:١)أي :أنزل القرآن الكريم فيها، و قَالَ تَعَالَىٰ :﴿ إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةٖ مُّبَٰرَكَةٍۚ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ٣ ﴾ [الدخان:٣] .

فأشرف الكتب الذي هو القرآن، نزل في أشرف الليالي التي هي ليلة القدر، على أشرف الخلق وهو محمد صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ، وبواسطة أشرف الملائكة وهو جبريل عَلَيۡهِٱلسَّلَامُ.

ـ ومن فضلها أن الملائكة بما فيهم جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ يتنزلون في تلك الليلة المباركة إلى الأرض كعدد الحصى.

فقد روى الإمام أحمد عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ: « لَيْلَةُ القدر ليلة سَابِعَةٍ – أَوْ تَاسِعَةٍ – وَعِشْرِينَ، إِنَّ الْمَلائِكَةَ تِلْكَ اللَّيْلَةَ فِي الْأَرْضِ أَكْثَرُ مِنْ عَدَدِ الْحَصَى » . [1]

ـ ومن فضلها أن مقادير السَنَة **تقدر فيها، قَالَ تَعَالَى:** ﴿ **فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ﴿٤﴾ أَمْرًا مِّنْ عِندِنَآ إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ﴿٥﴾** ﴾ [الدخان:٤-٥] .

قال المفسر ابن كثير ـ رَحِمَهُ اللَّهُ ـ: « أَيْ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ يُفْصَلُ مِنَ اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ إِلَى الْكَتَبَةِ أَمْرُ السَّنَةِ، وَمَا يَكُونُ فِيهَا مِنَ الْآجَالِ وَالْأَرْزَاقِ، وَمَا يَكُونُ فِيهَا إِلَى آخِرِهَا». اهـ .

فهي ليلة مباركة، عظمها الله وعظم أمرها، وكرر ذكرها بصيغة السؤال فقال: ﴿ **وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ ﴿٢﴾** ﴾ وهذا على سبيل التعظيم والتشويق لخيرها، فإن قيامها والعمل الصالح فيها من صلاة وذكر واستغفار وقراءة للقرآن خير من عبادة ألف شهر.

فقد روى ابن ماجه عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ قَالَ : دَخَلَ رَمَضَانُ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ هَذَا الشَّهْرَ قَدْ حَضَرَكُمْ، وَفِيهِ لَيْلَةٌ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ، مَنْ حُرِمَهَا فَقَدْ حُرِمَ الْخَيْرَ كُلَّهُ، وَلَا يُحْرَمُ خَيْرَهَا إِلَّا مَحْرُومٌ»[2].

---

(١)حسن :حسنه الألباني في السلسلة الصحيحة (٥ / ٢٤٠) برقم(٢٢٠٥)وهو عند الطيالسي وابن خزيمة.

(٢)ورواه البيهقي وحسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب – (١ / ٢٤١)(١٠٠٠)

ومعنى قوله تعالى:﴿ تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم ﴾:

قال المفسر ابن كثير ـ رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ: «أَيْ يَكْثُرُ تنزلُ الملائكة في هَذه اللَّيْلَة لكَثْرَة بَرَكَتها، وَالمَلَائكَةُ يَتَنَزَّلُونَ مَعَ تَنَزُّلِ الْبَرَكَة وَالرَّحْمَة، كَمَا يَتَنَزَّلُونَ عنْدَ تلَاوَة الْقُرْآن وَيُحِيطُونَ بِحِلَق الذِّكْرِ، وَيَضَعُونَ أَجْنِحَتَهُمْ لِطَالِبِ الْعِلْمِ بِصِدْقٍ تَعْظِيمًا لَهُ. اهـ. .

«والروح » :هو جبريل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ.

وقوله تعالى: ﴿ بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ﴾:

قال المفسر البغوي ـ رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ: « أي بكل أمر من الخير والبركة كقوله تعالى: ﴿ يَحْفَظُونَهُۥ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ ﴾[الرعد:١١] .

وقوله تعالى: «سلام هي حتى مطلع الفجر»:

قال البغوي: « قَالَ : عَطَاءٌ: يُرِيدُ سَلَام الله عَلَى أَوْلِيَائه وَأَهْلِ طاعته.

وقال الشَّعْبِيُّ: هُوَ تَسْلِيمُ المَلَائِكَةِ لَيْلَةَ الْقَدْرِ عَلَى أَهْلِ المَسَاجِدِ مِنْ حين تَغِيبُ الشَّمْسُ إِلَى أَنْ يَطْلُعَ الفجر.

و قال الكلبي: الملائكة ينزلون فيها كُلَّمَا لَقُوا مُؤْمِنًا أَوْ مُؤْمِنَةً سَلَّمُوا عَلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ حَتَّى يَطْلُعَ الْفَجْرُ.

وَقِيلَ: تَمَّ الْكَلَامُ عِنْدَ قَوْله: «بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ» ثُمَّ ابْتَدَأَ فَقَالَ : سَلَامٌ هِيَ، أَيْ لَيْلَةُ الْقَدْرِ سَلَامٌ وَخَيْرٌ كُلُّهَا، لَيْسَ فِيهَا شَرٌّ.

قَالَ : الضَّحَّاكُ: لَا يُقَدِّرُ الله فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ وَلَا يَقْضِي إِلَّا السَّلَامَةَ.

وَقَالَ : مُجَاهِدٌ: يَعْنِي أَنَّ لَيْلَةَ الْقَدْرِ سَالِمَةٌ لَا يَسْتَطِيعُ الشَّيْطَانُ أَنْ يَعْمَلَ فيها سوءًا، وَلَا أَنْ يُحْدِثَ فِيهَا أَذًى. حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ، أَيْ إِلَى مَطْلَعِ الْفَجْرِ». اهـ .

وليلة القدر:هي ليلة كاملة من غروب الشمس إلى طلوع الفجر الصادق،

وليست كما يفهم بعض العامة أنها ساعة أو بعض ساعة ، أو كلمح الطرف، فإن الله تعالى قال :﴿ هِىَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ ﴾وهذه نعمة عظيمة أن يبيت المسلم يتعبد لله ليلة كاملة فيظفر بتلك الأجور العظيمة.

سبب تسمية ليلة القدر بهذا الاسم:

ذكر أهل العلم تعليلات لسبب تسميتها بليلة القدر:

منها: أنها تقدر فيها الأمور والأحكام .

ومنها : أنها سميت ليلة القدر؛ لما يقوم به العباد من الطاعات والقربات.

ومنها:أنها سميت ليلة القدر لعظم قدرها وفضلها وشرفها، وغير ذلك .

ولا مانع من اجتماع ذلك كله.

ليالي القدر:

أما تحديد ليلة القدر: فأصح الأقوال أنها في العشر الأواخر، وأرجى ما تكون في الليالي الوترية، وأرجى من ذلك في السبع الأواخر، وأرجى من ذلك أن تكون في ليلة سبع وعشرين، وهي متنقلة في العشر، فقد جاءت في عهد النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في ليلة إحدى وعشرين، وجاءت في ليلة ثلاثٍ وعشرين، وجاءت في ليلة سبعٍ وعشرين.

ولا مانع من أنها قد تأتي في ليالي الشفع منها، كليلة أربع وعشرين ونحوها، فينبغي التماسها في العشر الأواخركلها، والاجتهاد في جميع لياليها الشفع والوتر، وإن اعتكف العبد فهو أحسن ؛لأن المعتكف لا يحرم خيرها إن اجتهد في العبادة، ولم يفرط أو ينم في معتكفه في الليلة التي وافقت ليلة القدر.

وقد كان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يتحراها، ويعتكف في العشر الأواخر من رمضان يلتمس ليلة القدر ، وكان يحث أصحابه على تحريها والتماسها ، وكان يجتهد في

العشر الأواخر ما لا يجتهد في غيرها .

وكان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يخبر بها ويعينها، فخرج ليخبر أصحابه بها فتشاجر رجلان من أصحابه فأنسيها، فرفع تعيينها، ولعل في ذلك خيرًا للناس، وذلك بأن يجتهدوا في جميع ليالي العشر.

أما قول من قال :إن ليلة القدرقد رفعت مطلقًا، فهذا غير صحيح ، وتأباه الأحاديث الصحيحة الصريحة في الإخبار ببقائها وشمولها لجميع هذه الأمة ، وإنما رفع تحديدها في ليلة معينة، فهي باقية إلى أن تقوم الساعة، لم ترفع كما يظن البعض .

أما ما رواه البخاري من حديث عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ أَنَّ رَسُولَ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَرَجَ يُخْبِرُ بِلَيْلَةِ القَدْرِ، فَتَلاَحَى رَجُلاَنِ مِنَ المُسْلِمِينَ فَقَالَ : «إِنِّي خَرَجْتُ لِأُخْبِرَكُمْ بِلَيْلَةِ القَدْرِ، وَإِنَّهُ تَلاَحَى فُلاَنٌ وَفُلاَنٌ، فَرُفِعَتْ، وَعَسَى أَنْ يَكُونَ خَيْرًا لَكُمْ، التَمِسُوهَا فِي السَّبْعِ وَالتِّسْعِ وَالخَمْسِ».

فمعنى قوله : «فرفعت»: أي رفع تعيينها، وإلا فهي باقية، ولهذا قال بعدها: « التَمِسُوهَا فِي السَّبْعِ وَالتِّسْعِ وَالخَمْسِ».

ومعنى تلاحى:أي: تشاجر واختصم.

ففيه خطر الخلاف والشحناء، فإنه يعود بالضرر على المجتمع أجمع، فبسبب خلاف الرجلين رفعت ، وصارت غير معروفة في ليلة معينة.

ـ وفي رواية عند الطيالسي عن عبادة بن الصامت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «فاختلجت مني». أي: من قلبه ونسي تعيينها بالاشتغال بالمتخاصمَين.

قال عياض: «دل به على ذم المخاصمة ، وأنها سبب للعقوبة، لكن ليست المخاصمة في طلب الحق مذمومة مطلقًا ، بل لوقوعها في المسجد، وهو محل الذكر

لا اللغو». اهـ.[١]

ولا يشترط على من قامها أن يعلمها بالتحديد، فإن من وفقه الله لقيامها فإنه يظفر بفضلها ، سواء علمها أم لم يعلمها، فإنه يحصل على أجرها على الصحيح.

اعتبار الرؤى في معرفة ليلة القدر:

ـ قد يرى المسلمون رؤيا تدل على ليلة القدر، والرؤيا الصالحة من المبشرات ، وهي جزء من الوحي، ففي الصحيحين عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : «رُؤْيَا الْمُؤْمِنِ جُزْءٌ مِنْ سِتَّةٍ وَأَرْبَعِينَ جُزْءًا مِنَ النُّبُوَّةِ».

وقد رأى الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ ليلة القدر في العشر الأواخروالسبع الأواخر، فأقرهم النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على ذلك.

فقد روى البخاري ومسلم عَن ابْن عُمَرَ ـ رَضِيَ الله عَنْهُمَاـ قَالَ : قال النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَرَى رُؤْيَاكُمْ قَدْ تَوَاطَأَتْ فِي العَشْرِ الأَوَاخِرِ، فَمَنْ كَانَ مُتَحَرِّيهَا فَلْيَتَحَرَّهَا مِنَ العَشْرِ الأَوَاخِرِ».

وفي صحيح مسلم عَن ابْن عُمَرَـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَاـ أَنَّ رِجَالًا مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أُرُوا لَيْلَةَ الْقَدْرِ فِي الْمَنَامِ، فِي السَّبْعِ الْأَوَاخِرِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَرَى رُؤْيَاكُمْ قَدْ تَوَاطَأَتْ فِي السَّبْعِ الْأَوَاخِرِ، فَمَنْ كَانَ مُتَحَرِّيهَا، فَلْيَتَحَرَّهَا فِي السَّبْعِ الْأَوَاخِرِ».

الأدلة في أن ليلة القدر في العشر أو السبع الأواخر من رمضان:

فأما كونها في العشر الأواخر، فقد روى البخاري ومسلم عَنْ عَائِشَةَ ـ رَضِيَ الله عَنْهَاـ: أَنَّ رَسُولَ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ : «تحَرَّوْا لَيْلَةَ القَدْرِ فِي الوِتْرِ، مِنَ العَشْرِ الأَوَاخِرِ مِنْ رَمَضَانَ».

---

(١) انظر فيض القدير شرح الجامع الصغير – (٣/ ٥٨٣).

ـ وفي صحيح مسلم عَن ابْن عُمَرَ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا ـ قَالَ : قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «تَحَيَّنُوا لَيْلَةَ الْقَدْرِ فِي الْعَشْرِ الأَوَاخِرِ» أَوْ قَالَ : «فِي التِّسْعِ الأَوَاخِرِ».

وقد تكون ليلة القدر في ليلة سبع وعشرين وهي أرجى الليالي:

فقد جاءت في ليلة سبع وعشرين، لما روى الإمام مسلم عَنْ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ أَنَّهُ قَالَ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ: «وَاللهِ إِنِّي لأَعْلَمُهَا، وَأَكْثَرُ عِلْمِي هِيَ اللَّيْلَةُ الَّتِي أَمَرَنَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِقِيَامِهَا هِيَ لَيْلَةُ سَبْعٍ وَعِشْرِينَ».

وقد تكون في ليلة ثلاثٍ وعشرين:

فقد جاءت في ليلة ثلاث وعشرين، لما روى مسلم عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ أُنَيْس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ : «أُرِيتُ لَيْلَةَ الْقَدْرِ، ثُمَّ أُنْسِيتُهَا، وَأَرَانِي صُبْحَهَا أَسْجُدُ فِي مَاءٍ وَطِينٍ» قَالَ : فَمُطِرْنَا لَيْلَةَ ثَلَاثٍ وَعِشْرِينَ، فَصَلَّى بِنَا رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَانْصَرَفَ وَإِنَّ أَثَرَ الماءِ وَالطِّينِ عَلَى جَبْهَتِهِ وَأَنْفِهِ قَالَ : وَكَانَ عَبْدُ اللهِ بْنُ أُنَيْسٍ يَقُولُ: ثَلَاثٍ وَعِشْرِينَ.

وقد تأتي ليلة القدر في ليلة إحدى وعشرين :

فقد جاءت في ليلة إحدى وعشرين، لما روى البخاري ومسلم عن أبي سعيد الخدري ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «كُنْتُ أُجَاوِرُ هَذِهِ العَشْرَ، ثُمَّ قَدْ بَدَا لِي أَنْ أُجَاوِرَ هَذِهِ العَشْرَ الأَوَاخِرَ، فَمَنْ كَانَ اعْتَكَفَ مَعِي فَلْيَثْبُتْ فِي مُعْتَكَفِه، وَقَدْ أُرِيتُ هَذِهِ اللَّيْلَةَ، ثُمَّ أُنْسِيتُهَا، فَابْتَغُوهَا فِي العَشْرِ الأَوَاخِرِ، وَابْتَغُوهَا فِي كُلِّ وِتْرٍ، وَقَدْ رَأَيْتُنِي أَسْجُدُ فِي مَاءٍ وَطِينٍ»، فَاسْتَهَلَّتِ السَّمَاءُ فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ فَأَمْطَرَتْ، فَوَكَفَ المَسْجِدُ فِي مُصَلَّى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَيْلَةَ إِحْدَى وَعِشْرِينَ، فَبَصُرَتْ عَيْنِي رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَنَظَرْتُ إِلَيْهِ انْصَرَفَ مِنَ الصُّبْحِ وَوَجْهُهُ مُمْتَلِئٌ طِينًا وَمَاءً.

وقوله: «كُنْتُ أُجَاوِرُ هَذِهِ العَشْرَ» أي العشر الأواسط.

فالشاهد من هذه الأحاديث أنها متنقلة في العشر الأواخر، فينبغي على المسلمين أن يلتمسوها في العشر الأواخر كلها، ويغتنموها ليفوزوا بخيرها ويحظوا بأجرها.

وقد تكون ليلة القدر في ليالي الشفع من رمضان:

وقلنا: إنها قد تأتي ليلة القدر في الشفع، لما روى البخارى عَن ابْنِ عَبَّاس ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : «الْتَمِسُوهَا فِي الْعَشْرِ الأَوَاخِرِ مِنْ رَمَضَانَ، لَيْلَةَ الْقَدْرِ فِي تَاسِعَةٍ تَبْقَى فِي سَابِعَةٍ تَبْقَى فِي خَامِسَةٍ تَبْقَى».

وفي البخاري أيضًاعن ابْنِ عَبَّاس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ :قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «هِيَ فِي الْعَشْرِ، هِيَ فِي تِسْعٍ يَمْضِينَ ، أَوْ فِي سَبْعٍ يَبْقَيْنَ يَعْنِي لَيْلَةَ الْقَدْرِ.

قَالَ عَبْدُ الْوَهَّابِ: عَنْ أَيُّوبَ وَعَنْ خَالِدٍ ، عَنْ عِكْرِمَةَ ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ : «الْتَمِسُوا فِي أَرْبَعٍ وَعِشْرِينَ».

فإن الشهرقد يكون ناقصًا أي يكون تسعا وعشرين، فيكون معنى :(تاسعة تبقى)أي :ليلة إحدى وعشرين ، وإذا كان الشهر تاما، تكون ليلة ثنتين وعشرين ، ومعنى:(في سابعة تبقى) إذا كان الشهر ناقصا تكون ليلة ثلاث وعشرين ، وإذا كان الشهر كاملا تكون ليلة أربع وعشرين، ومعنى (في خامسة تبقى) إذا كان الشهر ناقصا تكون خامسة تبقى ليلة خمس وعشرين، وإذا كان الشهر تاما تكون في ليلة ست وعشرين.

قال ابن بطال: . (التمسوها في تاسعة تبقى) هى ليلة إحدى وعشرين و(سابعة تبقى) ليلة ثلاث وعشرين ، و(خامسة تبقى) ليلة خمس وعشرين . قال المؤلف : وإنما يصح معناه وتوافق ليلة القدر وترًا من الليالي على ما ذكر فى الحديث إذا كان الشهر ناقصًا ، فأما إن كان كاملاً فإنها لا تكون إلا فى شفع فتكون التاسعة الباقية

ليلة ثنتين وعشرين ، والخامسة الباقية ليلة ست وعشرين ، والسابعة الباقية ليلة أربع وعشرين على ما ذكره البخارى عن ابن عباس ، فلا تصادف واحدة منهن وترا ، وهذا يدل على انتقال ليلة القدر كل سنة فى العشر الأواخر من وتر إلى شفع، ومن شفع إلى وتر ؛ لأن النبى عَلَيْهِ السَّلَامُ لم يأمر أمته بالتماسها فى شهر كامل دون ناقص ، بل أطلق على طلبها فى جميع شهور رمضان التى قد رتبها الله مرة على التمام ، ومرة على النقصان». اهـ . [(١)].

وقال الكشميري : «قوله: (في تاسعةٍ تَبْقَى)... إلخ. واعلم أن الأحاديثَ في الأمر بإحياء العشر وَرَدَتْ بنحوين: إمَّا بالإحياء بمجموعه، أو الإحياء بأوتاره خاصةً، ولم تَرِدْ بإحياء الأَشْفَاع خاصةً. ثم إن التاسعة، والسابعة، والخامسة أَشْفَاعٌ، إن كانَ الشهر ثلاثين، وإلا فهي أوتارٌ» اهـ . [(٢)].

وقال شمس الحق أبو الطيب محمد العظيم آبادي: «وَقَالَ : الطِّيبِيُّ رَحِمَهُ اللَّه : قَوْلُهُ فِي تَاسِعَة تَبْقَى: اللَّيْلَة الثَّانِيَة وَالْعِشْرُونَ تَاسِعَة مِنْ الْأَعْدَاد الْبَاقِيَة ، وَالرَّابِعَة وَالْعِشْرُونَ سَابِعَة مِنْهَا ، وَالسَّادِسَة وَالْعِشْرُونَ خَامِسَة مِنْهَا» اهـ . [(٣)].

وذكربنحو هذا الشيخ عبد المحسن العباد. [(٤)]

الاجتهاد في ليلة القدر وقيامها إيمانًا واحتسابًا:

ينبغي على من تحرى ليلة القدر أن يخلص العمل في لياليها ويحتسب الأجروالثواب عند الله تعالى.

فقد روى البخاري ومسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ قَالَ : قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: « مَنْ قَامَ لَيْلَةَ الْقَدْرِ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ».

---

(١)شرح صحيح البخارى (٤ / ١٥٦) .
(٢)فيض الباري شرح البخاري – (٤ / ٣٣٧).
(٣)عون المعبود شرح سنن أبي داود (٤ / ٢٥٧).
(٤)انظر شرح سنن أبي داود : (٧ / ٤٦١).

أي: يقومها مصدقا بمشروعيتها، محتسبا الأجر والثواب من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ، بأن يقومها بنية وعزيمة، طيبة بها نفسه ، غير مستثقل لقيامها، ولا مستطيل لوقتها، وإنما يقومها رغبة في ثوابها والتماس فضلها، وعلى قدر اجتهاده فيها يكون له من الأجر بحسب ذلك الاجتهاد.

قال بعض أهل العلم: من صلى ركعتين في ليلة القدر كان له ثواب من صلى ليالي ألف شهر بل أفضل . اهـ .

فكيف لو صلى إحدى عشرة ركعة مع الإمام حتى ينصرف؟وكيف لو اجتهد في تلك الليلة بالذكر وقراءة القرآن والاعتكاف وغيرذلك؟ فإنه يظفر بأجور كثيرة لايقدر قدرها ولا يحصي ثوابها إلا الله تعالى.

فينبغي الاجتهاد بالذكر والدعاء والاستغفار والصلاة وقراءة القرآن في هذه الليالي المباركة، والمحافظة على الوقت وعدم التفريط فيه بما لا ينفع من المحادثات والجدال وكثرة النوم ونحوذلك .

فقد روى الترمذي عن عَائِشَةَ ـ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا ـ قَالَتْ :قُلْتُ: يَا رَسُولَ الله أَرَأَيْتَ إِنْ عَلِمْتُ أَيُّ لَيْلَةٍ لَيْلَةُ القَدْرِ مَا أَقُولُ فِيهَا؟ قَالَ : «**قُولِي: اللَّهُمَّ إِنَّكَ عُفُوٌّ تُحِبُّ الْعَفْوَ فَاعْفُ عَنِّي**»[1].

وإذا صلى العبد في مسجد سَنة ، واختار إمامًا متابعًا للنبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، يصلي على السَنَة ويطيل الصلاة في القيام والركوع والسجود ، ويعمل بالسنن، فهذا نور على نور، فالصلاة خلفه أفضل والأجر أكثر إن شاء الله تعالى.

---

(١)صحيح: رواه الترمذي وأحمد والنسائي والبيهقي وابن ماجه، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب – (٣/ ١٧٧)(٣٣٩١)

علامات ليلة القدر:

ولها علامات تعرف من خلالها:

منها: أنها ليلة هادئة ساكنة صافية بلجة، كأن فيها قمرًا ساطعا، ولا يرمى فيها بنجم ولا كوكب .

ومنها:أنها ليلة معتدلة لا حارة ولا باردة.

ومنها: أن الشمس صبيحتها حمراء لا شعاع لها .

ومنها: أن ليلة القدر قد ينزل فيها مطر.

فقد روى الإمام أحمد عَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامت ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ أَنَّ رَسُولَ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « **إِنَّ أَمَارَةَ لَيْلَةِ الْقَدْرِ أَنَّهَا صَافِيَةٌ بَلْجَةٌ كَأَنَّ فِيهَا قَمَرًا سَاطِعًا سَاكِنَةٌ سَاجِيَةٌ لَا بَرْدَ فِيهَا، ولاَ حَرَّ وَلَا يَحِلُّ لِكَوْكَبٍ أَنْ يُرْمَى بِهِ فِيهَا حَتَّى تُصْبِحَ، وَإِنَّ أَمَارَتَهَا أَنَّ الشَّمْسَ صَبِيحَتَهَا تَخْرُجُ مُسْتَوِيَةً لَيْسَ لَهَا شُعَاعٌ مِثْلَ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ، لَا يَحِلُّ لِلشَّيْطَانِ أَنْ يَخْرُجَ مَعَهَا يَوْمَئِذٍ** » .[١] . ومعنى «بلجة»: أي واضحة.

وعند الطبراني عن واثلة: «ولا يرمى فيها بنجم»[٢].

وعند الطيالسي عَن ابْنِ عَبَّاس ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ: «**لَيْلَةٌ سَمْحَةٌ طَلْقَةٌ، لاَ حَارَّةٌ، وَلاَ بَارِدَةٌ، تُصْبِحُ الشَّمْسُ صَبِيحَتَهَا ضَعِيفَةً حَمْرَاءَ**»[٣].

وعند ابن خزيمة عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ الله ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ : قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «كَأَنَّ فِيهَا قَمَرًا يَفْضَحُ كَوَاكِبَهَا لَا يَخْرُجُ شَيْطَانُهَا حَتَّى يُضِيءَ

(١)حسن بشواهـده إن شاء الله .
(٢)حسنه الألباني :انظر حديث رقم (٥٤٧٢) في صحيح الجامع.
(٣)صحيح ، صححه الألباني في صحيح الجامع(٥٤٧٥) .

فَجْرُهَا»[١].

ومن علاماتها:

أنه قد ينزل مطر فيها، لكنها ليست علامة مطردة، ، فقد ينزل المطر في ليلة القدر، وقد لا ينزل، وقد ينزل المطر في غير ليلة القدر، لكنه يستبشر بالمطرإذا نزل في ليلة من الليالي، فقد نزل المطر في ليلة القدر في زمن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

فقد روى البخاري ومسلم عن أبي سعيد الخدري ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ قال: اعْتَكَفْنَا مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ العَشْرَ الأَوْسَطَ مِنْ رَمَضَانَ، فَخَرَجَ صَبِيحَةَ عِشْرِينَ فَخَطَبَنَا، وَقَالَ : «إِنِّي أُرِيتُ لَيْلَةَ القَدْرِ، ثُمَّ أُنْسِيتُهَا - أَوْ نُسِّيتُهَا - فَالْتَمِسُوهَا فِي العَشْرِ الأَوَاخِرِ فِي الوَتْرِ، وَإِنِّي رَأَيْتُ أَنِّي أَسْجُدُ فِي مَاءٍ وَطِينٍ، فَمَنْ كَانَ اعْتَكَفَ مَعَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَلْيَرْجِعْ»، فَرَجَعْنَا وَمَا نَرَى فِي السَّمَاءِ قَزَعَةً، فَجَاءَتْ سَحَابَةٌ فَمَطَرَتْ حَتَّى سَالَ سَقْفُ المَسْجِدِ، وَكَانَ مِنْ جَرِيدِ النَّخْلِ، وَأُقِيمَتِ الصَّلاَةُ، فَرَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَسْجُدُ فِي المَاءِ وَالطِّينِ، حَتَّى رَأَيْتُ أَثَرَ الطِّينِ فِي جَبْهَتِهِ» .

أبرز علامات ليلة القدر:

إنَّ أبرز علاماتها الملازمة لها، أن الشمس صبيحتها تصبح حمراء ضعيفة لا شعاع لها كما تقدم دليل ذلك في الأحاديث المتقدمة.

فإن قيل :مافائدة معرفة الشمس صبيحتها وقد انتهى وقتها؟

أجيب عن ذلك :ليستبشر الذي وفق لقيامها ويزيد رجاؤه وإيمانه، ويدعو الله أن يتقبل منه ، وينظر كيف كان حاله في تلك الليلة ، فيشكر الله على توفيقه، ومن لم يقمها تلك الليلة يندم على ما فاته منها، ويستعتب ويتلافى مابقي من ليالي رمضان

(١) صحيح، قال الشيخ الألباني: صحيح لغيره -انظر التعليق على «صحيح ابن خزيمة» (٣/ ٣٣٠).

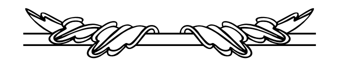
بالقيام، ويستعد لقيامها في العام المقبل إن أحياه الله ، ويسأل الله أن يوفقه لقيامها فرصة أخرى، فإذا رأى المسلمون الشمس صبيحة ليلة القدر يكونون مابين شاكر ونادم ، والندم على فوات الخير وإصلاح النية فيه أجور وفوائد عظيمة والله أعلم.

قال المباركفوري : «قِيلَ فَائِدَةُ الْعَلَامَةِ أَنْ يَشْكُرَ عَلَى حُصُولِ تِلْكَ النِّعْمَةِ إِنْ قَامَ بِخِدْمَةِ اللَّيْلَةِ، وَإِلَّا فَيَتَأَسَّفُ عَلَى مَا فَاتَهُ مِنْ الْكَرَامَةِ وَيَتَدَارَكُ فِي السَّنَةِ الْآتِيَةِ ، وَإِنَّمَا لَمْ يَجْعَلْ عَلَامَةً فِي أَوَّلِ لَيْلِهَا إِبْقَاءً لَهَا عَلَى إِبْهَامِهَا» اهـ . [1].

سبب احمرار الشمس صبيحة ليلة القدر:

ذكر بعض أهل العلم تعليلات لذلك، منها:ما ذكره النووي في شرحه على مسلم قَالَ : « قَالَ : الْقَاضِي : قِيلَ مَعْنَى « لَا شُعَاعَ لَهَا « أَنَّهَا عَلَامَةٌ جَعَلَهَا اللَّهُ تَعَالَى لَهَا قَالَ : وَقِيلَ بَلْ لِكَثْرَةِ اخْتِلَافِ الْمَلَائِكَةِ فِي لَيْلَتِهَا وَنُزُولِهَا إِلَى الْأَرْضِ وَصُعُودِهَا بِمَا تَنْزِلُ بِهِ سَتَرَتْ بِأَجْنِحَتِهَا وَأَجْسَامِهَا اللَّطِيفَةِ ضَوْءَ الشَّمْسِ وَشُعَاعَهَا انْتَهَى . قَالَ : فِي الْمِرْقَاةِ: فِيهِ أَنَّ الْأَجْسَامَ اللَّطِيفَةَ لَا تَسْتُرُ شَيْئًا مِنْ الْأَشْيَاءِ الْكَثِيفَةِ ، نَعَمْ لَوْ قِيلَ غَلَبَ نُورُ تِلْكَ اللَّيْلَةِ ضَوْءَ الشَّمْسِ مَعَ بُعْدِ الْمَسَافَةِ الزَّمَانِيَّةِ مُبَالَغَةً فِي إِظْهَارِ أَنْوَارِهَا الرَّبَّانِيَّةِ لَكَانَ وَجْهًا وَجِيهًا.انْتَهَى اهـ .[2]

وقيل: إنها لا تطلع بين قرني شيطان في ذلك اليوم صبيحة ليلة القدر، والله أعلم.



(١)تحفة الأحوذي - (٢ / ٣٣٦) .

(٢)شرح مسلم (٤ / ١٩٩) وانظر : تحفة الأحوذي (٢ / ٣٣٦) .

اغتنام صيام الست من شهر شوال



يستحب صيام ستة أيام من شوال بعد صيام شهر رمضان، لما ثبت عند الإمام مسلم عَنْ أَبِي أَيُّوبَ الْأَنْصَارِيِّ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَنْ صَامَ رَمَضَانَ ثُمَّ أَتْبَعَهُ سِتًّا مِنْ شَوَّالٍ، كَانَ كَصِيَامِ الدَّهْرِ».

أي من صام رمضان ثم صام ستا من شوال فكأنما صام السَنَة، ومن داوم عليها كل عام، فكأنما صام عمره، وكان صيام رمضان مع صيام الست من شوال كصيام الدهر؛ لأن الحسنة بعشر أمثالها، كما قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٦٠﴾ ﴾ [الأنعام: ١٦٠].

وجاء ذلك في الأحاديث الصحيحة الصريحة كما تقدم في أول الكتاب، فيكون رمضان بعشرة أشهر، والست من شوال بستين يومًا، أي: بشهرين فيكون مجموع ذلك اثني عشر شهرًا، أي: سَنة كاملة، فمن داوم عليها كل سَنَة كان كمن صام الدهر كله.

وهذه الست تكون ضمن شهر شوال، فتجزئ في أوله، أو في وسطه، أو في آخره، وتكون متتابعة أو متفرقة، كل ذلك مجزئ، والأفضل أن تكون عقب رمضان متتابعة؛ لأن خير البرعاجله، وهي مستحبة ولا تجب بمجرد الشروع فيها كما يعتقده بعض الناس، فمن صامها عامًا ولم يصمها العام الآخر فلا حرج عليه ولا يلحقه ضرر أو عقاب.

وينبغي أن تكون بعد إكمال قضاء رمضان في حق من كان عليه قضاء، إلا من شغل أو ضاق عليه الوقت، أو كان معذورا كما يحصل للنساء، فصام الست وأخر

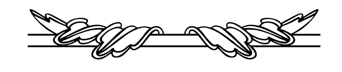
القضاء فيرجى أن يجزئه ذلك والله أعلم، فقد كانت عائشة ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا تؤخر قضاء رمضان إلى شعبان لشغلها برسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، والذي يظهر أنها كانت تصوم الست من شوال؛ لأنها كانت من أعبد نساء زمانها، كيف لا؟! وغرفتها مهبط الوحي وزوجها نبي الأمة، كان يقوم الليل ويصوم النهار، ، فمحال أن تفوت على نفسها فضل صيام الست من شوال والله أعلم، والمسألة خلافية بين أهل العلم وموضعها في كتب الفقه.

فإن قيل: لو صام العبد ستة أيام من أي شهر، فإنه يغني عن صيام الست من شوال لأن الحسنة بعشر أمثالها فيكون صيام ست من ذي القعدة بستين يومًا ، فما الفرق؟.

أجيب: بأن الست من شوال جاء فيها الدليل، ورغب في صيامها الذي لا ينطق عن الهوى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

ثانيًا :جعل صيام الست من شوال ـ والله أعلم ـ بمثابة النافلة لرمضان ، كما استحب صيام شعبان قبل رمضان، ولهذا قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وأتبعه ستا من شوال»فلفضل رمضان جعلت بعده في شوال.

ثالثًا:ولعل من الحكم أن يداوم المسلم على الصيام؛ لأن بعض الناس يفتر عن كثير من العبادات بعد رمضان ومنها الصيام، ولهذا حث النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على الثبات على الأعمال الصالحة بعد رمضان كما في هذا الحديث وأمثاله ، وغير ذلك من الحكم.



اغتنام أيام عشر ذي الحجة



فضل أيام العشر:

إن مما اختاره الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ من الأزمان، وفضله على غيره من الأيام، لهي أيام عشر ذي الحجة ، فهي أيام مباركة، والأجور فيها مضاعفة، والأعمال الصالحة فيها أفضل من الجهاد في سبيل الله .

فلعظمتها أقسم الله بها في كتابه الكريم فقال سبحانه: ﴿ وَٱلْفَجْرِ ۝١ وَلَيَالٍ عَشْرٍ ۝٢ وَٱلشَّفْعِ وَٱلْوَتْرِ ۝٣ ﴾ [الفجر:١-٣] .

قال المفسر ابن كثير والمفسر البغوي وغيرهما: « الليالي العشر هي عشر من ذي الحجة». ا هـ .

وقوله تعالى:﴿ وَٱلْفَجْرِ ۝١ ﴾: قال ابن كثير، قال مسروق ومجاهـد ومحمد بن كعب: هو فجر يوم النحر خاصة وهو خاتمة الليالي العشر. ا هـ .

وقال بعضهم: هو فجر يوم عرفة.

الشاهد من هذا أن هذه الأيام هي أفضل أيام السَنَة إطلاقا .

فقد روى البزار عن جابر ـ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ ـ أن رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قال: « أفضل أيام الدنيا العشر » يعني عشر ذي الحجة ، قيل: ولا مثلهن في سبيل الله؟ قال: « ولا مثلهن في سبيل الله إلا رجل عفر وجهه بالتراب»[١] الحديث .

---

(١)ورواه أبو يعلى وابن حبان وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب - (٢ / ١٥) (١١٥٠)

وهي الأيام المعلومات التي خصها الله بالذكر فقال: ﴿ لِّيَشْهَدُواْ مَنَٰفِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُواْ ٱسْمَ ٱللَّهِ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْلُومَٰتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَٰمِ ﴾ [الحج:٢٨].

قال ابن كثير، عن ابن عباس: «هي أيام العشر». اهـ.

وقال البغوي: «قيل لها معلومات: للحرص على علمها بحسابها من أجل وقت الحج في آخرها». اهـ.

فمن فضلها :أن الله شرع مناسك الحج فيها، وفيها أفضل أيام السَنَة، وهو يوم النحر ويوم عرفة.

فقد ثبت عند أبي داود عن عبد الله بن قُرْط ـ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ ـ أن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: « **إِنَّ أَعْظَمَ الأَيَّامِ عِنْدَ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَوْمُ النَّحْرِ ثُمَّ يَوْمُ الْقَرِّ** »[١].

ويوم القر هو اليوم الثاني بعد يوم النحر، وسيأتي ذكر فضله عند ذكر فضل أيام التشريق إن شاء الله ، فهو أولها.

وأما يوم عرفة فقد ثبتت أحاديث كثيرة في فضله، وسيأتي ذكرها في مبحث مستقل إن شاء الله تعالى.

ومن فضائل العشر أنها في أحد الأشهر الحرم، وهو ذو الحجة، وقد عظمها الله وخصها بالذكر في كتابه فقال: ﴿ إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ مِنْهَآ أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ فَلَا تَظْلِمُواْ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ ﴾ [التوبة:٣٦].

---

(١) ورواه أحمد والحاكم وصححه الألباني في صحيح أبي داود – (٦ / ١٤)(١٥٤٩) وهو في الصحيح المسند مما ليس في الصحيحين للعلامة الوادعي برقم(٨١٢)(١/ ٦٣٠).

قال المفسر البغوي: « قال قتادة: العمل الصالح أعظم أجرا في الأشهر الحرم، والظلم فيهن أعظم من الظلم فيما سواهن » . ا هـ .

فضل الأعمال الصالحة في العشر:

ومن فضائل أيام العشر ـ وهو مقصودنا في هذا المبحث ـ أن العمل الصالح فيها أفضل من الجهاد في سبيل الله، لما روى البخاري وأبو داود واللفظ لأبي داود عَن ابْن عَبَّاس ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ : قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ: «مَا مِنْ أَيَّام الْعَمَلُ الصَّالِحُ فِيهَا أَحَبُّ إِلَى الله مِنْ هَذه الْأَيَّام يَعْنِي أَيَّامَ الْعَشْر ، قَالُوا: يَا رَسُولَ الله وَلَا الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ الله؟ قَالَ : وَلَا الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ الله إِلَّا رَجُلٌ خَرَجَ بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ فَلَمْ يَرْجِعْ مِنْ ذَلِكَ بِشَيْءٍ» .

ففي هذا الحديث بيان أن الأعمال الصالحة من صلاة وصيام وصدقة وذكر وقراءة للقرآن وغيرها أفضل من الجهاد في سبيل الله، ويستثنى ما جاء في الحديث : «إلا رجل خرج بنفسه وماله فلم يرجع من ذلك بشيء»أي أنه أنفق ماله في سبيل الله وقتل في سبيله فيكون هذا أفضل.

قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ : « والذي يظهر أن السبب في امتياز عشر ذي الحجة لمكان اجتماع أمهات العبادة فيه وهي الصلاة والصيام والصدقة والحج ولا يتأتى ذلك في غيره». ا هـ .[1]

قلت:وخصت أيضًا بنحر الهدي والأضاحي في خاتمتها، وهي عبادة عظيمة قرنها الله بالصلاة كما في قوله تعالى: ﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ۝٢ ﴾ [الكوثر : ٢] .

وفيها يوم التروية ويوم عرفة ويوم العيد، وخصت بالتكبير والتهليل والذكر في سائر الأوقات، وشرع الذكر فيها بأصوات مرتفعة دون غيرها، وجعل الله الأعمال فيها مشتركة بين الحجاج وغيرهم ممن لم يستطع الحج، وذلك من فضل

(١) فتح الباري (٢ / ٤٦٠) .

الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ على جميع خلقه، فإن الله جعل حنينًا واشتياقًا لكل مسلم لزيارة بيته الحرام ، وأداء تلك المناسك العظام، فلما لم يمكن ذلك في وسع جميع الناس، شرع لهم أعمالًا صالحة يشاركون فيها الحجيج في أيام العشر، وبارك في هذه الأعمال وضاعف أجورها، فلله الحمد والمنة.

فمن هذه الأعمال: أنهم يكبرون ويهللون ويرفعون أصواتهم فيها.

ومنها: أنهم يشاركون الحجيج بالهدايا، فيضحون ويمسكون عن تقليم أظافرهم، وقص شعورهم وبشرهم أيام العشر حتى يضحوا.

ومنها: أنهم يشاركون أهل عرفة بصيام يوم عرفة ، وقد جعل الله صيام ذلك اليوم يكفر ذنوب سنتين من الصغائر، لكن أهل عرفة لا يستحب لهم أن يصوموه، فإن الأفضل في حقهم أن يفطروا ؛لفعل النبي صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ويكفيهم من الفضل وقوفهم في ذلك المشهد العظيم، الذي يباهي الله بهم ملائكته ويغفر لهم ، ويشفعهم فيمن شاءوا، ويضمن لهم التبعات.

وغير ذلك من الفضائل المشتركة والأعمال المباركة بين الحجيج وغيرهم في أيام العشر المباركات.

فما أحكم الله وما أكرمه ، ففي ذلك فليتنافس المتنافسون.

فقد كان سعيد بن جبير ـ رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ يجتهد في هذه العشر اجتهادًا حتى لا يكاد يقدر عليه، لكن حال كثير من الناس في هذه الأيام الاجتهاد في الدنيا اجتهادًا لا يكادون يقدرون عليه! وذلك أن الله ابتلى الناس بمواسم العيد، فصارأكثر انشغال الناس بالتجارات في هذه الأيام؛ توفيرا لمتطلبات العيد إلا من رحم الله.

وهكذا في العشر الأواخر من رمضان، فإن الناس يستعدون لمتطلبات عيد الفطر، فينشغلون عن الاعتكاف وتحري ليلة القدر ، فلم يجتهدوا في العشر من ذي الحجة،

ولا في ليالي العشر الأخيرة من رمضان، إلا من ثبته الله ووفقه، وآثر الباقي على الفاني، فالمطلوب هو المقاربة والسداد، والجمع بين أعمال الدنيا والآخرة، إذ لا غنى للإنسان عن قوته، وإن كان الأصل هو تقديم أعمال الآخرة، فينبغي على المسلم أن يخفف من أعمال الدنيا، ويجتهد في أعمال الآخرة، لاسيما في هذه الأيام والليالي المباركات.

«قاربوا وسددوا ، القصدَ القصدَ تبلغوا » .

التقرب إلى الله بالفرائض والواجبات، ثم النوافل:

ومن أهم الأعمال الصالحة التي يتقرب بها العبد إلى الله تعالى في أيام العشر وغيرها، لهي الفرائض والواجبات، والصلاة مع الجماعات، فإنها من أحب الأعمال إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، لما روى البخاري عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ قَالَ : قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: « **إِنَّ الله قَالَ : (مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالحَرْبِ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ: كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَإِنْ سَأَلَنِي لأُعْطِيَنَّهُ، وَلَئِنِ اسْتَعَاذَنِي لأُعِيذَنَّهُ.**»). الحديث.

الشاهد من الحديث، أن أحب شيء إلى الله تعالى أن يتقرب إليه العبد بالفرائض، ثم النوافل، فإنها من أسباب محبة الله للعبد وتوفيقه وتسديده.

اغتنام الذكر في أيام العشر:

إن من أفضل الأعمال الصالحة التي هي أفضل من الجهاد في سبيل الله في هذه الأيام، لهو ذكر الله، قَالَ تَعَالَى: ﴿ فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ ﴿١٥٢﴾ ﴾ [البقرة:١٥٢] .

وروى الإمام أحمد عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ قَالَ : قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ

وَسَلَّمَ: « **أَلَا أُنَبِّئُكُمْ بِخَيْرِ أَعْمَالِكُمْ، وَأَزْكَاهَا، عِنْدَ مَلِيكِكُمْ، وَأَرْفَعِهَا فِي دَرَجَاتِكُمْ، وَخَيْرٍ لَكُمْ مِنْ إِنفاقِ الذَّهَبِ وَالْوَرِقِ، وَخَيْرٍ لَكُمْ مِنْ أَنْ تَلْقَوْا عَدُوَّكُمْ، فَتَضْرِبُوا أَعْنَاقَهُمْ وَيَضْرِبُوا أَعْنَاقَكُمْ** » ، قَالُوا: وَذَلِكَ مَا هُوَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ :«**ذِكْرُ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ**». قال معاذ بن جبل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: ما شيء أنجى من عذاب الله من ذكر الله[1].

والأدلة في فضل الذكر كثيرة، لا يسع المقام لذكرها، وسيأتي ذكر بعضها في باب الأعمال المباركة وفضائل الذكربمبحث مستقل إن شاء الله، وإنما نوهنا بفضل الذكرهنا تنويهًا، لمناسبة اغتنام أيام العشر بالأعمال الصالحة، ومنها الذكر.

فذكرُ الله له فضل عظيم عموما، وفي هذه الأيام خصوصا، فليكثر العباد من ذكر الله وشكره، على نعمه وعلى ما رزقهم من بهيمة الأنعام قَالَ تَعَالَى: ﴿ **وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾ لِّيَشْهَدُوا۟ مَنَـٰفِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْلُومَـٰتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَـٰمِ ۖ فَكُلُوا۟ مِنْهَا وَأَطْعِمُوا۟ ٱلْبَآئِسَ ٱلْفَقِيرَ ﴿٢٨﴾** ﴾ [الحج:٢٧-٢٨] .

وروى الطبراني عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : «**مَا أَهَلَّ مُهِلٌّ قَطُّ إِلَّا بُشِّرَ، وَلَا كَبَّرَ مُكَبِّرٌ قَطُّ إِلَّا بُشِّرَ**» ، قِيلَ: يَا رَسُولَ اللهِ، بِالْجَنَّةِ؟ قَالَ : «نَعَمْ»[2].

والذي يبشره بالجنة، هم الملائكة الكرام.

فيستحب في هذه الأيام رفع الأصوات بالتكبير والتهليل، كما يشرع للحاج رفع الصوت بالتلبية، ويكون الذكر في هذه الأيام مطلقًا في سائر الأوقات من أول العشر ، ومقيدًا بعد الصلوات من فجر يوم عرفة إلى آخر أيام التشريق ، فقد كان

(١)صحيح :وهوعند ابن أبي الدنيا والترمذي وابن ماجه والحاكم والبيهقي وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب - (٢ / ٩٦)(١٤٩٣)

(٢)حسن :حسنه الألباني في السلسلة الصحيحة (٤ / ١٥٥)برقم(١٦٢١) .

أبو هريرة وابن عمر ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ ـ يخرجان إلى السوق في أيام العشر فيكبران ويكبر الناس بتكبيرهما، والحديث في صحيح البخاري.

وكَانَ عُمَرُ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ يُكَبِّرُ فِي قُبَّتِهِ بِمِنَى، فَيَسْمَعُهُ أَهْلُ الْمَسْجِدِ، فَيُكَبِّرُونَ وَيُكَبِّرُ أَهْلُ الأَسْوَاقِ حَتَّى تَرْتَجَّ مِنَى تَكْبِيرًا.

وَكَانَ ابْنُ عُمَرَ يُكَبِّرُ بِمِنَى تِلْكَ الأَيَّامَ، وَخَلْفَ الصَّلَوَاتِ ، وَعَلَى فِرَاشِهِ، وَفِي فُسْطَاطِهِ، وَمَجْلِسِهِ، وَمَمْشَاهُ ، تِلْكَ الأَيَّامَ جَمِيعًا.

وَكَانَتْ مَيْمُونَةُ تُكَبِّرُ يَوْمَ النَّحْرِ.

وَكُنَّ النِّسَاءُ يُكَبِّرْنَ خَلْفَ أَبَانَ بْنِ عُثْمَانَ وَعُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ لَيَالِيَ التَّشْرِيقِ مَعَ الرِّجَالِ فِي الْمَسْجِدِ.والحديث رواه البخاري تعليقا مجزوما بصحته.

وأما النساء فيكبرن بأصوات منخفضة حتى لا يسمعهن الرجال.

وأما بعض صيغ التكبير التي جاءت عن الصحابة ــ رضوان الله عليهم ـ فهي: الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، لا إله إلا الله، الله أكبر ، الله أكبر، ولله الحمد ، الله أكبر وأعز وأجل.

وجاء عن بعض السلف: الله أكبر كبيرًا، والحمد لله كثيرًا، وسبحانه الله بكرة وأصيلاً .

اغتنام الأضحية:

الأضحية قربة عظيمة وسُنَّة مؤكدة، وهي مستحبة على الصحيح من أقوال أهل العلم ، لاينبغي تركها لمن قدر عليها، وهي نعمة عظيمة ومنَّة جزيلة امتن الله بها على عباده، إذ خلق الله هذه البهيمة فسخرها لابن آدم ، وملكها إياه فانقادت له، تمشي في أرض الله وتأكل من رزقه وتسبح بحمده ، ومع هذا شرع الله لعباده أن ينتفعوا بها، وأن يهريقوا دمها ، ويزهقوا روحها، ويأكلوا لحمها، ويتقربوا بها، ثم

يؤجروا عليها، فكان حقًا على كل مسلم أن يشكر الله على هذه النعمة العظيمة.

قال تعالى: ﴿ وَٱلْبُدْنَ جَعَلْنَٰهَا لَكُم مِّن شَعَٰٓئِرِ ٱللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ ۖ فَٱذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهَا صَوَآفَّ ۖ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا۟ مِنْهَا وَأَطْعِمُوا۟ ٱلْقَانِعَ وَٱلْمُعْتَرَّ ۚ كَذَٰلِكَ سَخَّرْنَٰهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٣٦﴾ ﴾ [الحج: ٣٦].

وقال تعالى: ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ۖ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِى لَشَدِيدٌ ﴿٧﴾ ﴾ [إبراهيم: ٧].

وإن من تمام شكرها، لهو الإكثار من ذكر الله لا سيما في هذه الأيام أيام عشر ذي الحجة، وكذلك إطعام الفقراء والمساكين منها قال تعالى: ﴿ وَأَذِّن فِى ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾ لِّيَشْهَدُوا۟ مَنَٰفِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْلُومَٰتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَٰمِ ۖ فَكُلُوا۟ مِنْهَا وَأَطْعِمُوا۟ ٱلْبَآئِسَ ٱلْفَقِيرَ ﴿٢٨﴾ ﴾ [الحج: ٢٧-٢٨].

قال المفسر ابن كثير - رحمه الله -: «وَاسْتَدَلَّ مَنْ نَصَرَ الْقَوْلَ بِأَنَّ الْأَضَاحِيَّ يُتَصَدَّقُ مِنْهَا بِالنِّصْفِ بِقَوْلِهِ فِي هَذِهِ الْآيَةِ: ﴿ فَكُلُوا۟ مِنْهَا وَأَطْعِمُوا۟ ٱلْبَآئِسَ ٱلْفَقِيرَ ﴿٢٨﴾ ﴾، فَجَزَّأَهَا نِصْفَيْنِ: نِصْفٌ لِلْمُضَحِّي، وَنِصْفٌ لِلْفُقَرَاءِ. وَالْقَوْلُ الْآخَرُ: أَنَّهَا تُجَزَّأُ ثَلَاثَةَ أَجْزَاءٍ: ثُلُثٌ لَهُ، وَثُلُثٌ يُهْدِيهِ، وَثُلُثٌ يَتَصَدَّقُ بِهِ للآية الآتية. اهـ.

وقال تعالى: ﴿ وَٱلْبُدْنَ جَعَلْنَٰهَا لَكُم مِّن شَعَٰٓئِرِ ٱللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ ۖ فَٱذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهَا صَوَآفَّ ۖ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا۟ مِنْهَا وَأَطْعِمُوا۟ ٱلْقَانِعَ وَٱلْمُعْتَرَّ ۚ كَذَٰلِكَ سَخَّرْنَٰهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٣٦﴾ ﴾ [الحج: ٣٦].

﴿ وَٱلْبُدْنَ ﴾ قال السعدي - رحمه الله -: هي البقر والإبل.

وقوله تعالى: ﴿ جَعَلْنَٰهَا لَكُم مِّن شَعَٰٓئِرِ ٱللَّهِ ﴾.

قال البغوي - رحمه الله -: « من أعلام دينه، لأنها تشعر وتهدي إلى بيته الحرام،

﴿ فَٱذۡكُرُواْ ٱسۡمَ ٱللَّهِ عَلَيۡهَا صَوَآفَّۖ ﴾: أي عند ذبحها وهي قائمات وذلك عند نحرها فإذا وجبت: أي سقطت، والقانع: هو الفقير الذي لا يسأل الناس، والمعتر :الفقير الذي يسأل الناس. اهـ. ملخصًا.

ومن فضل الله على الناس أن سخر لهم هذه البهيمة ولم يجعلها متوحشة ولا مستنفرة، فترى الطفل الصغير يقود الجمل الكبير، فمن الذي ذلـله وسخره؟، إنه الله سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ.

قال سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ : ﴿ أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّا خَلَقۡنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتۡ أَيۡدِينَآ أَنۡعَٰمٗا فَهُمۡ لَهَا مَٰلِكُونَ ٧١ وَذَلَّلۡنَٰهَا لَهُمۡ فَمِنۡهَا رَكُوبُهُمۡ وَمِنۡهَا يَأۡكُلُونَ ٧٢ وَلَهُمۡ فِيهَا مَنَٰفِعُ وَمَشَارِبُۚ أَفَلَا يَشۡكُرُونَ ٧٣ ﴾ [يس:٧١ -٧٣].

والأضحية هي من سُنن الأمم الذين قبلنا ، وسُنَّة أبينا إبراهـيم عَلَيۡهِٱلسَّلَامُ، ولا تخفى على مسلم قصته العجيبة مع ابنه إسماعيل عليهما السلام التي ذكرها الله في القرآن الكريم .

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ لِّكُلِّ أُمَّةٖ جَعَلۡنَا مَنسَكًا هُمۡ نَاسِكُوهُۖ ﴾[الحج:٦٧].

قال المفسر الطبري ـ رَحِمَهُٱللَّهُ ـ: « أي ذبحا يذبحونه ودما يهريقونه» اهـ .

و قَالَ تَعَالَىٰ في قصة إبراهـيم وإسماعيل عليهما السلام: ﴿ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعۡيَ قَالَ يَٰبُنَيَّ إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلۡمَنَامِ أَنِّيٓ أَذۡبَحُكَ فَٱنظُرۡ مَاذَا تَرَىٰۚ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفۡعَلۡ مَا تُؤۡمَرُۖ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ١٠٢ فَلَمَّآ أَسۡلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلۡجَبِينِ ١٠٣ وَنَٰدَيۡنَٰهُ أَن يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ ١٠٤ قَدۡ صَدَّقۡتَ ٱلرُّءۡيَآۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٠٥ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلۡبَلَٰٓؤُاْ ٱلۡمُبِينُ ١٠٦ وَفَدَيۡنَٰهُ بِذِبۡحٍ عَظِيمٖ ١٠٧ ﴾[الصافات:١٠٢-١٠٧].

وذلك أن إبراهـيم عَلَيۡهِٱلسَّلَامُ رأى في منامه أن الله أمره بذبح ولده إسماعيل عَلَيۡهِٱلسَّلَامُ، ورؤيا الأنبياء حق، وتأتي كفلق الصبح، وهي وحي من الله ، فامتثلا أمر الله، وانقاد

إسماعيل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ لهذا الأمر الذي لا يصبر عليه إلا نبي أو ولي ، وامتثل إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ لأمر الله ، طمعا برضاه وتقديم محاب الله على محاب الولد ، ولهذا وصف الله نبيه إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ بأنه خليله ، والخلة :هي أعلى درجات المحبة ، فلم يزاحم حب شيء في قلبه لحب الله تعالى، فبينما هو كذلك على وشك الذبح لابنه، إذ جاء الله بالفرج بعد أن تم الانقياد من الولد وأبيه لأمر الله، وفداه الله بكبش عظيم ، جاء من الجنة فذبحه وصار ذلك سنة إلى قيام الساعة.

قال المفسر ابن كثير ـ رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ في تفسير قوله تعالى:﴿ وَفَدَيْنَهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ﴿١٠٧﴾ ﴾ قال: خرج عليه كبش من الجنة قد رعي قبل ذلك أربعين خريفا أي:(أربعين سنة) فأرسل إبراهيم ابنه وأتبع الكبش». اهـ .

وقال المفسر البغوي: «فَنَظَرَ إِبْرَاهِيمُ فَإِذَا هُوَ بِجِبْرِيلَ وَمَعَهُ كَبْشٌ أَمْلَحُ أَقْرَنُ، فَقَالَ : هَذَا فِدَاءٌ لِابْنِكَ فَاذْبَحْهُ دُونَهُ، فَكَبَّرَ جِبْرِيلُ وكبّر الكبش وكبّر إبراهيم وَكَبَّرَ ابْنُهُ، فَأَخَذَ إِبْرَاهِيمُ الْكَبْشَ فَأَتَى بِهِ الْمَنْحَرَ مِنْ مِنًى فَذَبَحَهُ». اهـ . .

وهذا من فضل الله على الناس وتيسيره لأمور دينهم وإنعامه عليهم بسائر النعم، ومع هذا فإنك تجد من يبخل بالأضحية ويقصر في هذه القربة العظيمة، وقد ذهب كثير من أهل العلم إلى أن الأضحية واجبة على من قدر عليها ومنهم شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

ولكن الصحيح كما تقدم أنها مستحبة ، فهي قربة وعبادة ومشاركة للحجيج في نحر هداياهم وهي عمل صالح يتقرب بها العبد إلى الله، وقد علم من الشرع أن العمل الصالح في أيام العشر أفضل من الجهاد في سبيل الله، ويوم النحر هو آخر أيام العشر، وأول وقت لذبحها هو يوم النحر من بعد صلاة العيد إلى آخر أيام التشريق، فتجهيزها وعلفها وتسمينها في هذه الأيام ومن ثَمَّ ذبحها تقربا إلى الله ، عمل صالح ولا شك في ذلك.

ومن الأدلة على استحبابها ما رواه مسلم عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِذَا دَخَلَتِ الْعَشْرُ، وَأَرَادَ أَحَدُكُمْ أَنْ يُضَحِّيَ، فَلَا يَمَسَّ مِنْ شَعَرِهِ وَبَشَرِهِ شَيْئًا».

فقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِذَا دَخَلَتِ الْعَشْرُ، وَأَرَادَ أَحَدُكُمْ أَنْ يُضَحِّيَ»: يوحي بالاستحباب، لكن من أراد أن يضحي فيجب عليه أن يمسك عن شعره وأظفاره وإبطه وعانته وجلده فلا يأخذ من ذلك شيئا للنهي الوارد في الحديث، حتى يذبح أضحيته، فإن أخذ من ذلك شيئا فالأضحية مجزئة وهو آثم لمخالفته.

أما حلق اللحية أو تقصيرها فلا يجوزلا للمضحي ولا لغيره؛ لأمر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بإعفائها، والنهي عن التشبه بالمشركين في حلقها، فقد روى مسلم عَنِ ابْنِ عُمَرَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «أَحْفُوا الشَّوَارِبَ وَأَعْفُوا اللِّحَى» وفي رواية للبخاري: «وفروا اللحى».

وروى مسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «جُزُّوا الشَّوَارِبَ، وَأَرْخُوا اللِّحَى خَالِفُوا الْمجُوسَ» وفي رواية عن ابن عمر - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «خالفوا المشركين أحفوا الشوارب وأفوا اللحى».

كل هذه الألفاظ تدل على وجوب إطلاق اللحية، وأن حلقها كبيرة من الكبائر، وتشبه بالمشركين، بل تشبه بالنساء - نسأل الله العافية -، فلا يجوز حلقها ولا تقصيرها مطلقًا، لا في أيام العشر ولا في غيرها .

فالشاهد مما تقدم أن من الأعمال الصالحة في هذه الأيام، التقرب إلى الله بالأضاحي وتجهيزها وتسمينها، والإخلاص فيها والصدقة منها لمن لا أضحية له .

قَالَ تَعَالَى: ﴿ لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَـٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقْوَىٰ مِنكُمْ ۚ كَذَٰلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٣٧﴾ ﴾[الحج:٣٧].

وقال تعالى: ﴿ فَكُلُواْ مِنْهَا وَأَطْعِمُواْ ٱلْبَآئِسَ ٱلْفَقِيرَ ۝٢٨ ﴾[الحج: ٢٨].

فإن نحر الأضاحي تقربا إلى الله من أفضل الأعمال، فقد قرنها الله بالصلاة فقال تعالى: ﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ۝٢ ﴾[الكوثر: ٢].

وذلك أن الصلاة أفضل عبادة بدنية، والذبح أفضل عبادة مالية، كما ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

ويجب مراعاة السُّنَّة في الأضاحي، والعمل بالشروط المعتبرة شرعًا، من حيث السن، والنوع، والسلامة من العيوب، ووقت الذبح ونحو ذلك، واجتناب البدع والمخالفات في الأضاحي، لتكون أقرب إلى القبول.

المسابقة في الأعمال الصالحة عموما في أيام العشر:

قال تعالى: ﴿ سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ۝٢١ ﴾[الحديد: ٢١].

قال المفسر السعدي - رَحِمَهُ ٱللَّهُ -: «ثم أمر بالمسابقة إلى مغفرة الله ورضوانه وجنته، وذلك يكون بالسعي بأسباب المغفرة، من التوبة النصوح، والاستغفار النافع، والبعد عن الذنوب ومظانها، والمسابقة إلى رضوان الله بالعمل الصالح، والحرص على ما يرضي الله على الدوام، من الإحسان في عبادة الخالق، والإحسان إلى الخلق بجميع وجوه النفع، ولهذا ذكر الله الأعمال الموجبة لذلك، فقال: ﴿ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۚ ﴾ والإيمان بالله ورسله يدخل فيه أصول الدين وفروعها، ﴿ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ ﴾ أي: هذا الذي بيناه لكم، وذكرنا لكم فيه الطرق الموصلة إلى الجنة، والطرق الموصلة إلى النار، وأن فضل الله بالثواب الجزيل والأجر العظيم، من أعظم منته على عباده

وفضله.﴿ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴾ الذي لا يحصى ثناء عليه، بل هو كما أثنى على نفسه، وفوق ما يثني عليه عباده » . اهـ .

فباب الخير واسع، والأعمال الصالحة كثيرة، فلا ينبغي الاقتصار على عمل واحد في أيام العشر وفي غيرها، فإن العبد لا يدري ما هو العمل الذي يكون خالصا لله، وإنه لا يدري ما هو العمل الذي يكون مقبولا عند الله ، وإنه لا يدري ماهو العمل الذي سيدخله الله به الجنة، وما هو العمل الذي ينجيه من عذاب الله.

فإن مما ننبه عليه، أن كثيرًا من الناس قد حصروا المسابقة في هذه الأيام بالصيام فقط !وأهملوا بقية الأعمال، من صدقة، وذكر، وقراءة للقرآن، وزيارة للأرحام، وإحسان إلى الخلق، ولا شك أن الصيام عمل صالح يدخل تحت الفضل المذكور في الحديث ، لكن ينبغي الإكثار من الأعمال الصالحة من صيام وغيره عموما، وفي هذه الأيام على وجه الخصوص .

فمن ذلك المحافظة على الفرائض، والجماعات، والنوافل، والأذكار، وقراءة القرآن ، والمحافظة على السُّنن الرواتب، ومنها سنة الفجر، فإنها خير مما طلعت عليه الشمس، فمن حافظ على الرواتب، بنى الله له بيتا في الجنة ، ومنها المحافظة على صلاة الفجر في جماعة يكون العبد في ذمة الله ، ومن قعد في مصلاه بعد صلاة الفجر يذكر الله حتى تطلع الشمس ثم يصلي ركعتين ، يكون ذلك كحجة وعمرة تامتين ، ثم يصلي الضحى، ثم ينطلق إلى عمله مكبرًا مهللًا في الطرقات وفي الأعمال وغير ذلك، هكذا يكون العبد مع الله في جميع أحواله؛ ليكون الله معه في حله وترحاله، « احفظ الله يحفظك».

فأين المتسابقون؟!، فهذا ميدان السباق، وأين المزارعون ؟فهذه أرض المزارعة، وعما قريب سننتقل إلى دار الحصاد، وأين المسافرون فإننا في دار السفر، وعما قريب سننتقل إلى دار الإقامة ، وأين العاملون؟ ، فإن اليوم عمل ولا حساب وغدًا

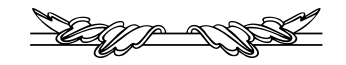
حساب ولا عمل، ﴿ وَتَزَوَّدُوا۟ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ ﴾[البقرة : ١٩٧] .

قال البخاري في صحيحه : باب في الأَمَلِ وَطُولِهِ :

وَقَوْلِ اللهِ تَعَالَى : ﴿ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ۗ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَـٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴿١٨٥﴾ ﴾[آل عمران : ١٨٥].

﴿ ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا۟ وَيَتَمَتَّعُوا۟ وَيُلْهِهِمُ ٱلْأَمَلُ ۖ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٣﴾ ﴾[الحجر : ٣].

وَقَالَ : عَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : « ارْتَحَلَت الدُّنْيَا مُدْبرَةً وَارْتَحَلَت الآخِرَةُ مُقْبلَةً وَلِكُلِّ وَاحِدَة منْهُمَا بَنُونَ فَكُونُوا مِنْ أَبْنَاء الآخِرَة ، وَلاَ تكُونُوا مِنْ أَبْنَاءِ الدُّنْيَا فَإِنَّ الْيَوْمَ عَمَلٌ ، وَلاَ حِسَابَ وَغَدًا حِسَابٌ ، وَلاَ عَمَلَ».



اغتنام يوم عرفة

إن من الأيام العظيمة عند الله، لهو يوم عرفة ، فقدعظمه الله وفضله على كثير من الأيام ، وخصه بمزايا كثيرة، وجعله الله عيدا من أعياد المسلمين، وجعل الوقوف في عرفة ركنًا من أركان الحج .

وفي هذا اليوم يعتق الله فيه عبيدا من النار، ويغفر فيه لأهل عرفات ، ويباهي بهم ملائكته، وهو اليوم الذي أكمل الله فيه الدين، وجعل خير الدعاء في ذلك اليوم، ومن صام ذلك اليوم غفر له ذنوب عامين، إلى غير ذلك من فضائل ذلك اليوم.

فلفضل هذا اليوم أقسم الله به في كتابه الكريم ، والله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عظيم، لا يقسم إلا بعظيم؛ يدل على عظمته فقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿ **وَٱلْفَجْرِ ۝١ وَلَيَالٍ عَشْرٍ ۝٢ وَٱلشَّفْعِ وَٱلْوَتْرِ ۝٣** ﴾[الفجر : ١ - ٣] .

قال المفسر الطبري ـ رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ: « قال بعضهم في تفسير الوتر هو يوم عرفة».اهـ .

وقال تعالى: ﴿ **وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْبُرُوجِ ۝١ وَٱلْيَوْمِ ٱلْمَوْعُودِ ۝٢ وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ ۝٣** ﴾ [البروج:١-٣] .

قال المفسر ابن كثيرـ رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ: « واليوم المشهود هو يوم عرفة » . اهـ .

وقد روى الترمذي عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ـ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ ـ قَالَ : قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**اليَوْمُ الموْعُودُ يَوْمُ القِيَامَةِ، وَاليَوْمُ المشْهُودُ يَوْمُ عَرَفَةَ، وَالشَّاهِـدُ يَوْمُ الجُمُعَةِ**»[1].

---

(١)صحيح: صححه الألباني في صحيح الترمذي (٣/ ١٢٨)(٢٦٥٩) .

اغتنام يوم عرفة بذكر الله:

يشرع في هذا اليوم الإكثار من ذكر الله؛ لما مَنَّ الله به على عباده بالهداية، وعلمهم ما لم يكونوا يعلمون، فهذه من أكبر النعم التي يجب شكرها بالقلب واللسان والجوارح، ويدخل في الشكر، ذكره تعالى بالقلب واللسان، وقد حث الله أهل عرفات وغيرهم على الإكثار من ذكره .

قال تعالى: ﴿ فَإِذَآ أَفَضْتُم مِّنْ عَرَفَٰتٍ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ عِندَ ٱلْمَشْعَرِ ٱلْحَرَامِ ۖ وَٱذْكُرُوهُ كَمَا هَدَىٰكُمْ وَإِن كُنتُم مِّن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿١٩٨﴾ ﴾

[البقرة:١٩٨] .

ـ والمشعر الحرام هو مزدلفة ـ إلى قوله سبحانه: ﴿ فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَٰسِكَكُمْ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَذِكْرِكُمْ ءَابَآءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا ۗ ﴾[البقرة:٢٠٠] .

قال المفسر البغوي ـ رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ: «أَيْ: فَرَغْتُمْ مِنْ حَجِّكُمْ وَذَبَحْتُمْ نَسَائِكَكُمْ، أَيْ: ذَبائِحَكُمْ، فَاذْكُرُوا الله بالتَّكْبِيرِ وَالتَّحْمِيدِ وَالثَّنَاءِ عَلَيْهِ، كَذِكْرِكُمْ آباءَكُمْ، وَذَلِكَ أَنَّ الْعَرَبَ كَانَتْ إِذَا فَرَغَتْ مِنَ الْحَجِّ وَقَفَتْ عِنْدَ الْبَيْتِ فَذَكَرَتْ مَفَاخِرَ آبَائِهَا، فأمرهم الله بذكره، قَالَ ابْنُ عَبَّاس وَعَطَاءٌ: مَعْنَاهُ فَاذْكُرُوا الله كَذِكْرِ الصِّبْيَانِ الصِّغَار الْآبَاءَ، وَذَلِكَ أَنَّ الصَّبِيَّ أَوَّلُ مَا يَتَكَلَّمُ يلهج بذكر أبيه لا يذكر غَيْرَهُ، فَيَقُولُ الله فَاذْكُرُوا الله لَا غَيْرَ، كَذِكْرِ الصَّبِيِّ أَبَاهُ، أَوْ أَشَدَّ ذِكْرا. اهـ .

وروى الإمام مسلم عن ابْنِ عُمَرَ ـ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ : «غَدَوْنَا مَعَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ مِنَى إِلَى عَرَفَاتٍ، مِنَّا الْمُلَبِّي وَمِنَّا الْمُكَبِّرُ».

اغتنام يوم عرفة بالدعاء:

يشرع في هذا اليوم الإكثار من الدعاء ، وهو عام في حق من كان في عرفات وغيرهم ، فإن الدعاء في هذا اليوم له فضل عظيم ويتأكد فيه الإجابة بإذن الله تعالى

لفضل ذلك اليوم ، ولأن الدعاء في يوم عرفة هو خير الدعاء .

قال المباركفوري: «لأنه أجزل إثابة وأعجل إجابة». ا هـ .[١]

فقد روى الترمذي عَنْ عَمْرو بْن شُعَيْب، عَنْ أَبيه، عَنْ جَدِّه - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَنَّ النَّبيَّ صَلَّى الله عَلَيْه وَسَلَّمَ قَالَ : «**خَيْرُ الدُّعَاء دُعَاءُ يَوْم عَرَفَةَ، وَخَيْرُ مَا قُلْتُ أَنَا وَالنَّبيُّونَ منْ قَبْلي: لاَ إلَهَ إلاَّ الله وَحْدَهُ لاَ شَريكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَديرٌ**» [٢].

اغتنام يوم عرفة بصيامه :

يستحب صيام يوم عرفة استحبابًا شديدًا لمن كان خارج عرفات ، فقد روى الإمام مسلم عن أبي قتادة - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قال قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «صِيَامُ يَوْمِ عَرَفَةَ، أَحْتَسِبُ عَلَى اللهِ أَنْ يُكَفِّرَ السَّنَةَ الَّتِي قَبْلَهُ، وَالسَّنَةَ الَّتِي بَعْدَهُ» الحديث.

والذنوب التي يكفرها صيام يوم عرفة هي الصغائر، فإن لم توجد صغائر، أو كفرت بأعمال أخرى، فيرجى أن تكفر الكبائر أو تخفف منها.

قال النووي - رَحِمَهُ اللَّهُ - «: «معناه: يكفر ذنوب صائمه في السنتين ، قالوا: والمراد بها الصغائر .. فإن لم تكن صغائر يرجى التخفيف من الكبائر، فإن لم يكن رفعت درجات». ا هـ . مختصرًا [٣].

فلا ينبغي التفريط في صيام هذا اليوم؛ لما يترتب عليه من الفضل العظيم ، ولما في الصيام من تكفير الذنوب للسنة الماضية وَالسَّنَةَ الآتية ، وهذا لا يكاد يكون إلا في صيام يوم عرفة بأن يكون التكفير مقدما على الذنب.

---

(١)تحفة الأحوذي – (٨/ ٤٨٢) .

(٢)حسن :حسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب – (٢/ ١٠٦)(١٥٣٦) .

(٣)شرح النووي على مسلم – (٨/ ٥١) .

قال المناوي ـ رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ: «وَالسَّنَةَ الَّتِي بَعْدَهُ: بمعنى أنه تعالى يحفظه أن يذنب فيها، أو يعطى من الثواب ما يكون كفارة لذنوبها، أو يكفرها حقيقة ولو وقع فيها، ويكون المكفِّر مقدما على المكفَّر.

قال صاحب العدة ـ رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ :وذا لا يوجد شيء مثله في شيء من العبادات.ا هـ[1]

ومعنى قوله:(أحتسب على الله):

قال المناوي ـ رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ: «أي أرجو منه ، قال ابن الأثير: الاحتساب على الله، البدار إلى طلب الأجر وتحصيله باستعمال أنواع البر». ا هـ .[2]

فضل أهل عرفات:

من فضل الله على أهل عرفات، أنه يباهي بهم ملائكته ، ويغفر لهم ، ويشفعهم فيمن أرادوا، ويضمن لهم التبعات.

فقد روى الإمام أحمد عَنْ عَبْد الله بْن عَمْرو بْن الْعَاص ـ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا ـ أَنَّ النَّبيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَقُولُ: « إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ يُبَاهِـي مَلَائِكَتَهُ عَشِيَّةَ عَرَفَةَ بِأَهْلِ عَرَفَةَ، فَيَقُولُ: انْظُرُوا إِلَى عِبَادِي أَتَوْنِي شُعْثًا غُبْرًا » .[3]

وروى الطبراني والبزار عن ابن عمر ـ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا ـ أن رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قال لرجل من الأنصار ـ جاء يسأله عن وقوفه عشية عرفة ـ : « ... وأما وقوفك عشية عرفة فإن الله يهبط إلى السماء الدنيا فيباهي بكم الملائكة، يقول: هؤلاء عبادي، أتوني شعثا غبرا من كل فج عميق، يرجون رحمتي ومغفرتي، فلو كانت ذنوبكم كعدد رمل عالج أو كزبد البحر لغفرتها، أفيضوا عبادي مغفورًا لكم ولمن شفعتم

---

(١)فيض القدير (٤ / ٣٠٣) .

(٢)المصدر السابق (٤ / ٣٠٣) .

(٣)وهو عند ابن حبان والحاكم وصححه الألباني في صحيح الجامع (١٨٦٨) وهو في الصحيح المسند للإمام الوادعي :(٨٠٣)(١/ ٦٦٢)وجاء عن أبي هريرة ـ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ ـ وهو أيضًا في الصحيح المسند للإمام الوادعي(١٣٤٧)(٢/ ٣٠٦) .

له»[١]. الحديث.

وروى ابن المبارك عن أنس بن مالك ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ قال: وقف النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعرفات، وكادت الشمس أن تؤوب، فقال: «يا بلال، أنصت لي الناس»، فقام بلال، فقال: أنصتوا لرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فأنصت الناس، فقال: «معاشر الناس، أتاني جبريل آنفاً، فأقرأني من ربي السلام، وقال: إن الله غفر لأهل عرفات وأهل المشعر، وضمِن عنهم التبعات» فقام عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ الله هذا لنا خاصة؟ قال: «هذا لكم ولمن أتى من بعدكم إلى يوم القيامة» فقال عمر بن الخطاب: كثر خير الله وطاب[٢].

ومعنى:(يباهي بكم ملائكته):

قال النووي ـ رَحِمَهُ اللَّهُ ـ: «مَعْنَاهُ: يُظْهِر فَضْلكُمْ لَهُمْ، وَيُرِيهِمْ حُسْن عَمَلكُمْ، وَيُثْنِي عَلَيْكُمْ عِنْدهمْ، وَأَصْل الْبَهَاء: الْحُسْن وَالْجَمَال، وَفُلَان يُبَاهِي بِمَا لَهُ، أَيْ: يَفْخَر وَيَتَجَمَّل بِهِمْ عَلَى غَيْرهمْ وَيُظْهِر حُسْنهمْ». اهـ.[٣]

ومعنى قوله:(ويضمن عنكم التبعات): أي المظالم التي عليهم لغيرهم بأن يرضي أصحاب تلك التبعات، أو هي آثار الذنوب والمعاصي.

وفي يوم عرفة يعتق الله من شاء من خلقه من النار.

فقد ثبت عند الإمام مسلم عن عائشة ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ـ أن رَسُولَ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**مَا مِنْ يَوْمٍ أَكْثَرَ مِنْ أَنْ يُعْتِقَ اللهُ فِيهِ عَبْدًا مِنَ النَّارِ، مِنْ يَوْمِ عَرَفَةَ، وَإِنَّهُ لَيَدْنُو، ثُمَّ يُبَاهِي بِهِمِ الْمَلَائِكَةَ، فَيَقُولُ: مَا أَرَادَ هَؤُلَاءِ؟**».

(١) حسن :حسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب – (٢ / ٥)(١١١٣)
(٢) صحيح :صححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب – (٢ / ١٦)(١١٥١)
(٣)شرح صحيح مسلم (٩ / ٦٤)

يوم عرفة يوم عيد للمسلمين:

إن يوم عرفة هو أحد أعياد المسلمين التي ينبغي للمسلمين أن يعظموه، ويتقربوا فيه إلى الله بما استطاعوا من القربات، كالذكر والتكبير والتهليل والصدقة والصيام، فهذا هو العيد المراد شرعا ، فليس العيد في ارتكاب المعاصي والمخالفات ، إنما العيد لمن طاعته تزيد، وخاف يوم الوعيد، واتقى ذا العرش المجيد.

فمن أعياد المسلمين المشروعة عيد عرفة فقد روى النسائي عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ أَنَّ رَسُولَ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِنَّ يَوْمَ عَرَفَةَ وَيَوْمَ النَّحْرِ وَأَيَّامَ التَّشْرِيقِ عِيدُنَا أَهْلَ الْإِسْلَامِ، وَهِيَ أَيَّامُ أَكْلٍ وَشُرْبٍ» (١) .

وقوله: «وَهِيَ أَيَّامُ أَكْلٍ وَشُرْبٍ» : يعني أيام التشريق أيام أكل وشرب وأما يوم عرفة فإنه يستحب صيامه لمن كان خارج عرفات كما تقدم.

إكمال الدين في يوم عرفة:

إن يوم عرفة هو اليوم الذي أكمل الله فيه الدين وأتم فيه النعمة.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَـٰمَ دِينًا﴾ [المائدة:٣] .

وروى البخاري ومسلم عَنْ طَارِقِ بْنِ شِهَابٍ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ مِنَ الْيَهُودِ إِلَى عُمَرَ فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ آيَةٌ فِي كِتَابِكُمْ تَقْرَءُونَهَا لَوْ عَلَيْنَا نَزَلَتْ مَعْشَرَ الْيَهُودِ لَاتَّخَذْنَا ذَلِكَ الْيَوْمَ عِيدًا. قَالَ: وَأَيُّ آيَةٍ قَالَ: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَـٰمَ دِينًا﴾ فَقَالَ عُمَرُ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ: إِنِّي لَأَعْلَمُ الْيَوْمَ الَّذِى نَزَلَتْ فِيهِ وَالْمَكَانَ الَّذِى نَزَلَتْ فِيهِ نَزَلَتْ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ بِعَرَفَاتٍ فِي يَوْمِ جُمُعَةٍ.

---

(١) صحيح وهو عند أحمد والترمذي وأبي داود وصححه الألباني في صحيح أبي داود – (٧ / ١٧٨) (٢٠٩٠).

فتبين من هذا الحديث أن هذه الآية الكريمة نزلت في يوم عيدين عظيمين وهما يوم عرفة ويوم الجمعة، وهما من أعياد المسلمين كما تقدم.

قال ابن رجب ـ رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ: «لكن يوم عرفة عيد لأهل الموقف خاصة ، يشرع صيامه لأهل الأمصار عند جمهور العلماء» ا هـ.[١].

الوقوف بعرفة ركن من أركان الحج:

جعل الله الوقوف بعرفة ركنًا من أركان الحج، فلا يصح الحج إلا به، لما روى أبو داود عن عُروة بن مُضَرِّس الطائي ـ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ ـ قال: قال رسولُ الله – صلَّى الله عليه وسلم –: «**مَنْ أدرَكَ معناَ هذه الصلاة، وأتى عَرَفَاتٍ قبلَ ذلك ليلاً أو نهاراً فقد تم حجُّه وقضى تفَثَه**» [٢].

وروى النسائي عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ يَعْمَرَ ـ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ ـ قَالَ : شَهِدْتُ رَسُولَ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَتَاهُ نَاسٌ، فَسَأَلُوهُ عَنِ الْحَجِّ؟ فَقَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**الْحَجُّ عَرَفَةُ، فَمَنْ أَدْرَكَ لَيْلَةَ عَرَفَةَ قَبْلَ طُلُوعِ الْفَجْرِ مِنْ لَيْلَةِ جَمْعٍ، فَقَدْ تَمَّ حَجُّهُ**» [٣].

ومعنى قوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (الحج عرفة):

قال المناوي ـ رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ : «أي ركنه الأكبر، وذلك لدلالته على أن فاعله يقبل بوجهه إلى الله معرضا عما سواه». ا هـ.[٤]

---

(١) لطائف المعارف (١ / ٢٩٩).

(٢) صحيح :وهوعند أحمد والنسائي والترمذي والحاكم وصححه الألباني في صحيح أبي داود- (٦ / ١٩٦)(١٧٠٤) وهوفي الصحيح المسند للإمام الوادعي(٩٢٣)(٢/ ٢٣).

(٣) صحيح : رواه أبو داود والترمذي وابن ماجه وغيرهم وصححه الألباني وهو في الصحيح المسند للعلامة الوادعي (٩٠٠)(١/ ٦٨٩).

(٤) فيض القدير (٣/ ٧٢١).

وقال النووي ـ رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ «: الحج عرفة » : أي عماده ومعظمه عرفة. ا هـ .[1]

ومعنى ذلك: أن من فاته الوقوف بعرفة فقد فاته الحج.

اغتنام يوم النحر:

من النعم التي يفرح بها المسلمون، أن شرع الله لهم هذا اليوم العظيم، وجعله شعيرة من شعائر الدين، يجتمع فيه المسلمون ، فيصلون ويذكرون ربهم ويهللونه ويكبرون ، ويتقربون إليه بالهدايا والأضاحي، فيأكلون ويشربون ويتصدقون على المحتاجين، ويحجون بيت الله الحرام من استطاع منهم ، فينحرون الهدي، ويرمون الجمار، ويحلقون ويقصرون تقربًا إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

ويتزاورون، ويتبشبش بعضهم في وجوه بعض، ويهنئ بعضهم بعضا ، ويدعو بعضهم لبعض بقبول صالح الأعمال، فقد كان السلف الصالح يهنئ بعضهم بعضًا ويدعوبعضهم لبعض.

ويتوسعون في مثل هذا اليوم وسائر أيام الأعياد بالمباحات، ويلبسون الثياب الجميلة بلا إسراف ولا تبذير.

فضل يوم النحر:

لا يخفى على مسلم فضل هذا اليوم، فأكرِم به من يوم وأعظِم ، فإنه أعظم أيام السَنَة ، وهو يوم الحج الأكبر، فحُق لكل مسلم أن يفرح بهذا اليوم:﴿ قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُواْ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٥٨﴾ ﴾ [يونس : ٥٨] .

وقد أقسم الله في كتابه الكريم بهذا اليوم العظيم لعظمته، فقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ : ﴿ وَٱلْفَجْرِ ﴿١﴾ وَلَيَالٍ عَشْرٍ ﴿٢﴾ وَٱلشَّفْعِ وَٱلْوَتْرِ ﴿٣﴾ ﴾ [الفجر:١-٣] .

قال مجاهـد ومحمد بن كعب ومسروق: الفجر هو يوم النحر. وقال بعضهم: إن

---

(١)شرح مسلم (١ / ١٤٤).

الشفع هو يوم النحر، وقال بعضهم هو قوله: « والوتر».

وثبت عند أبي داود عن عبد الله بن قُرْطٍ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ عن النبيِّ – صلَّى الله عليه وسلم – قال: «إنَّ أعظم الأيامِ عندَ الله يومُ النحرِ، ثم يومُ القَرِّ»[١].

ويوم القر:هواليوم الحادي عشر من ذي الحجة.

قال ابن بطال: « سمي بذلك لأن الناس يستقرون فيه بمنى » . ا هـ .[٢]

وقال المناوي: « وهو ثاني يوم النحر لأنهم يقرون فيه أي يقيمون ويستحمون مما تعبوا في الأيام الثلاثة ..يعني يوم التروية ويوم عرفة ويوم النحر». ا هـ . [٣].

ومن فضل يوم النحر أن الله جعله عقب فريضة عظيمة، وهي أداء مناسك الحج، كما أنه جعل عيد الفطر عقب فريضة الصيام ، ليفرح المسلمون بهذه العبادات العظيمة، ويشكروا الله على نعمه ، ومنها نعمة الإسلام، فهذا هو الفرح الحقيقي الذي يشرع للمسلم أن يفرح به، كما قال سبحانه :﴿ قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُواْ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ۝٥٨ ﴾ [يونس : ٥٨] .

يوم الحج الأكبر:

فضَّل الله يوم النحر على غيره؛ لاجتماع كثير من مناسك الحج فيه، وهو يوم الحج الأكبر، كما قال الله تعالى: ﴿ وَأَذَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلنَّاسِ يَوْمَ ٱلْحَجِّ ٱلْأَكْبَرِ أَنَّ ٱللَّهَ بَرِىٓءٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۙ وَرَسُولُهُۥ ﴾[التوبة:٣] .

وقوله تعالى: ﴿ يَوْمَ ٱلْحَجِّ ٱلْأَكْبَرِ ﴾ هو يوم النحر.

فقد روى البخاري ومسلم عن أبي هُرَيْرَةَ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ قَالَ : بَعَثَنِي أَبُو بَكْرٍ فِي

(١)صحيح:رواه أبو داود وأحمد والحاكم وصححه الألباني في صحيح أبي داود(٦/ ١٤)(١٥٤٩) وهو في الصحيح المسند مما ليس في الصحيحين للعلامة الوادعي برقم(٨١٢)(١/ ٦٣٠) .
(٢)شرح صحيح البخارى (٤ / ٤١٠).
(٣)فيض القدير (٢ / ٤) .

تِلْكَ الحَجَّةِ فِي مُؤَذِّنِينَ يَوْمَ النَّحْرِ، نُؤَذِّنُ بِمِنَى: أَنْ لاَ يَحُجَّ بَعْدَ العَامِ مُشْرِكٌ وَلاَ يَطُوفَ بِالْبَيْتِ عُرْيَانٌ.

وروى الترمذي عن عَمْرو بْن الأَحْوَص ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ أَنَّهُ شَهِدَ حَجَّةَ الوَدَاعِ مَعَ رَسُولِ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَحَمِدَ اللهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ وَذَكَّرَ وَوَعَظَ ثُمَّ قَالَ: «أَيُّ يَوْمٍ أَحْرَمُ، أَيُّ يَوْمٍ أَحْرَمُ، أَيُّ يَوْمٍ أَحْرَمُ؟» قَالَ: فَقَالَ: النَّاسُ: يَوْمُ الحَجِّ الأَكْبَرِ يَا رَسُولَ الله، قَالَ: «فَإِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ وَأَعْرَاضَكُمْ عَلَيْكُمْ حَرَامٌ كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا فِي بَلَدِكُمْ هَذَا فِي شَهْرِكُمْ هَذَا»[1] الحديث.

وروى الترمذي عَنْ عَلِيٍّ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ قَالَ: سَأَلْتُ رَسُولَ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ يَوْمِ الحَجِّ الأَكْبَرِ، فَقَالَ: «يَوْمُ النَّحْرِ»[2]. روي مرفوعًا وموقوفًا والموقوف أصح.

وكانت خطبته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يوم النحر أن عظَّم أمر هذا اليوم، وعظم أمر الدماء والأموال والأعراض، فجعل حرمتها كحرمة هذا اليوم لفضله وشرفه.

ففي صحيح مسلم عن أبي بكرة ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: لَمَّا كَانَ ذَلِكَ الْيَوْمُ قَعَدَ عَلَى بَعِيرِه، وَأَخَذَ إِنْسَانٌ بِخِطَامِه، فَقَالَ: «أَتَدْرُونَ أَيَّ يَوْمٍ هَذَا؟» قَالُوا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ سَيُسَمِّيهِ سِوَى اسْمِه، فَقَالَ: «أَلَيْسَ بِيَوْمِ النَّحْرِ؟» قُلْنَا: بَلَى، يَا رَسُولَ الله، قَالَ: «فَأَيُّ شَهْرٍ هَذَا؟» قُلْنَا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «أَلَيْسَ بِذِي الْحِجَّةِ؟» قُلْنَا: بَلَى، يَا رَسُولَ الله، قَالَ: «فَأَيُّ بَلَدٍ هَذَا؟» قُلْنَا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ سَيُسَمِّيهِ سِوَى اسْمِه، قَالَ: «أَلَيْسَ بِالْبَلْدَةِ؟» قُلْنَا: بَلَى، يَا رَسُولَ الله، قَالَ: «فَإِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ وَأَعْرَاضَكُمْ عَلَيْكُمْ حَرَامٌ، كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا،

---

(١) حسن، وهو عندأحمد وابن ماجه والبيهقي والنسائي وحسنه الألباني في صحيح وضعيف سنن الترمذي – (٧/ ٨٧)(٣٠٨٧)، وأصله في الصحيحين، وهو في الصحيح المسند للعلامة الوادعي(١١٥٠)(٢/ ٢٠٤)عن نبيط بن شريط ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ.

(٢) صححه الألباني في صحيح وضعيف سنن الترمذي – (٧/ ٨٨)(٣٠٨٨)

فِي شَهْرِكُمْ هَذَا، فِي بَلَدِكُمْ هَذَا، فَلْيُبَلِّغِ الشَّاهِدُ الْغَائِبَ»، قَالَ : ثُمَّ انْكَفَأَ إِلَى كَبْشَيْنِ أَمْلَحَيْنِ فَذَبَحَهُمَا، وَإِلَى جُزَيْعَةٍ مِنَ الْغَنَمِ فَقَسَمَهَا بَيْنَنَا. وأصله في صحيح البخاري.

فكما أنه لا يجوز انتهاك حرمة الدماء والأموال والأعراض، فكذلك لا يجوز انتهاك حرمة البلد الحرام والشهر الحرام وانتهاك حرمة هذا اليوم العظيم.

وانتهاكه يكون بارتكاب المعاصي فيه، فإن مما يؤسف أن كثيرًا من المسلمين يرتكبون المعاصي والمخالفات في هذا اليوم المبارك بحجة التسلية والفرح، ولا يجوز التسلي بالمعاصي ولا الفرح بها ، فبعضهم يستمع إلى الأغاني، وبعضهم يختلط بالنساء، وبعضهم يصور ذوات الأرواح ، وربما بعضهم يسفك الدم الحرام، وهذا لا يصدر ممن يعظم حرمات الله ، وإنما يصدرمن ضعفاء الإيمان، لكنَّ الذين في قلوبهم تعظيم لله، فسيعظمون ماعظمه الله ، فمن تعظيم هذا اليوم: الوقوف عند حدود الله واجتناب نواهيه، فهذا هو حقيقة التقوى كما قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَـٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴿٣٢﴾ ﴾ [الحج : ٣٢] .

يوم النحر عيد المسلمين:

أعياد المسلمين هي: عيد الأضحى، وعيد الفطر، ويوم عرفة، ويوم الجمعة، وأيام التشريق الثلاثة، أما غيرها من الأعياد المحدثة فليست أعيادا شرعية ، كعيد الوحدة، وعيد الثورة، وعيد الأم، وبداية السَنة الجديدة وغيرها، فهذه أعياد مبتدعة، لا يجوز الاحتفال بها ، لأنها مستوردة من الغرب، ولا يجوز التشبه بهم فقد روى أبو داود عن ابن عمر ـ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا ـ أن رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قال: «ومن تشبه بقوم فهو منهم»[١] .

فمن أعياد المسلمين المباركة عيد الأضحى، فقد روى أبو داود عن أنس بن

(١) صحيح: وهو عند أحمد وابن ماجه وصححه الألباني صحيح الترغيب والترهيب (٢ / ٢٣٢ (٢٠٨٩) وانظر حديث رقم : (٦١٤٩) في صحيح الجامع.

مالك ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ قال: قَدِمَ رسولُ الله – صلَّى الله عليه وسلم – المدينةَ ولهم يَوْمَانِ يلعبون فيهما، فقال: «**ما هذان اليومَان؟** » ، قالوا: كنا نلعبُ فيهما في الجاهلية، فقال رسولُ الله – صلَّى الله عليه وسلم –: «**إنَّ الله قَدْ أبدَلَكُم بهما خَيرًا مِنهما: يَومُ الأضحى، ويَومُ الفِطرِ**» [1] .

وروى الترمذي عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامرـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَوْمُ عَرَفَةَ، وَيَوْمُ النَّحْرِ، وَأَيَّامُ التَّشْرِيقِ، عِيدُنَا أَهْلَ الإِسْلاَمِ» [2] .

ومن الغنيمة في هذا اليوم، التقرب إلى الله تعالى بالأضاحي، والأكل منها، والصدقة منها ، وإطعام البائس الفقير، ومشاركته الفرحة في هذا اليوم العظيم، ليتعفف عن سؤال الناس يوم العيد، ويغتنم بالذكر وصلة الأرحام ونحوذلك من الأعمال الصالحة، فإن هذا اليوم آخر أيام العشر المباركات التي يفضل فيها العمل الصالح على الجهاد في سبيل الله كما تقدم .

ففي صحيح مسلم عن عائشة ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ـ أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «فكلوا وادخروا وتصدقوا». أي: من لحوم الأضاحي.

بعض آداب يوم العيد:

يشرع في هذا اليوم مخالفة الطريق في الذهاب والإياب من وإلى مصلى العيد، فقد روى البخاري عن جابرـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ : «أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان إذا خرج إلى المصلى خالف الطريق».

وقد ذكر أهل العلم تعليلات في مخالفة الطريق إلى المصلى يوم العيد.

منها :لتشهد له الطريقان.

(١) صحيح: وهو عند أحمد والنسائي وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٥/ ٣٤) برقم (٢٠٢١).
(٢) صحيح: وهو عند أحمد والترمذي وأبي داود وصححه الألباني في صحيح أبي داود (٧ / ١٧٨) (٢٠٩٠).

ومنها: ليتصدق على أهل الطريقين.

ومنها:لتكثير سواد المسلمين أمام أعداء الدين.

ومنها:لزيارة الأقارب.

ومنها: ليكثرمن ذكر الله في الطريقين. وغير ذلك من المقاصد الشرعية.

ويستحب في هذا اليوم المشي على الأقدام إلى المصلى، وعدم الأكل حتى يرجع العبد من مصلاه في الأضحى، بينما في عيد الفطر يأكل تمرات قبل الخروج إلى المصلى، كما كان يفعل رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

ففي صحيح البخاري عَنْ أَنَس بْن مَالك ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ قَالَ: «**كَانَ رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لاَ يَغْدُو يَوْمَ الفِطْرِ حَتَّى يَأْكُلَ تَمَرَاتٍ**» «**وَيَأْكُلُهُنَّ وِتْرًا**».

وفي سنن الترمذي عَنْ بُرَيْدَةَ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ قَالَ: «كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لاَ يَخْرُجُ يَوْمَ الفِطْرِ حَتَّى يَطْعَمَ، وَلاَ يَطْعَمُ يَوْمَ الأَضْحَى حَتَّى يُصَلِّيَ» ،وفي رواية: «حتى ينحر»(١).

ويستحب في هذا اليوم التكبير والتهليل إلى آخر أيام التشريق كما قَالَ تَعَالَى: ﴿ كَذَٰلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٣٧﴾ ﴾ [الحج:٣٧].

التزين ليوم العيد:

يشرع الاغتسال والتجمل في هذا اليوم، ولبس الثياب الجديدة والجميلة أو النظيفة بدون تكلف ولا مفاخرة ، فقد كان ابن عمر ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا يتجمل للعيد، وأعطى عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حلة يلبسها للعيد والوفود .

(١) صحيح : وهو عند أحمدوالحاكم والبيهقي وصححه الألباني في صحيح وضعيف سنن الترمذي- (٢ / ٤٢)(٥٤٢) ، والتعليقات على صحيح ابن حبان المجلد الرابع: [٢٠٩٩ ـ ٢٩٤٣] – (٤ / ١٣٩٢)(٢٨٠١) و(المشكاة) (١٤٤٠).

فقد روى البخاري عن ابْنِ عُمَرَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - قَالَ : وَجَدَ عُمَرُ حُلَّةَ إِسْتَبْرَقٍ تُبَاعُ فِي السُّوقِ فَأَتَى بِهَا رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللهِ ابْتَعْ هَذِهِ الْحُلَّةَ فَتَجَمَّلْ بِهَا لِلْعِيدِ وَلِلْوُفُودِ». الحديث .

الشاهد منه مشروعية التجمل بالثياب الجميلة أو الجديدة يوم العيد.

قال ابن بطال - رحمه الله - «فيه أن من السُّنَّة المعروفة التجمل للوفد والعيد بحسن الثياب ؛ لأن فى ذلك جمالاً للإسلام وأهله ، وإرهابًا على العدو ، وتعظيمًا للمسلمين.

وقول عمر - رضي الله عنه - : (تجمل بها للوفد) يدل أن ذلك من عادتهم وفعلهم . وقال الأبهرى : إنما نهى النبى (صلى الله عليه وسلم) عن الحرير والذهب للرجال ؛ لأنه من زى النساء وفعلهم» . اهـ.[1]

وقال أيضًا: «التجمل فى العيدين بحسن الثياب سنة مندوب إليها كل من يقدر عليها . قال المهلب : وكذلك التجمل فى الجماعات والوفود بحسن الثياب مما جرى به العمل». اهـ. [2]

حضور صلاة العيد واستماع الخطبة:

ويستحب التبكير لحضور صلاة العيد ، وسماع الخطبة بينما يجب حضور صلاة العيد لأمر النبي صلى الله عليه وسلم بذلك.

فقد روى أبو داود عَنْ أَبِي عُمَيْرِ بْنِ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قال: حَدَّثَنِي عُمُومَتِي مِنَ الْأَنْصَارِ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – قَالُوا: أُغْمِيَ عَلَيْنَا هِلَالُ شَوَّالٍ، فَأَصْبَحْنَا صِيَامًا، فَجَاءَ رَكْبٌ مِنْ آخِرِ النَّهَارِ، فَشَهِدُوا عِنْدَ النَّبِيِّ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – أَنَّهُمْ رَأَوُا الْهِلَالَ بِالْأَمْسِ، فَأَمَرَهُمْ رَسُولُ اللهِ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

(١) شرح صحيح البخارى (٥ / ٢١٦)
(٢) شرح صحيح البخاري- (٢ / ٥٤٧)

- أَنْ يُفْطِرُوا، وَأَنْ يَخْرُجُوا إِلَى عِيدِهِمْ مِنْ الْغَد»[١].

الشاهد أنه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أمرهم أن يخرجوا إلى صلاة العيد ، والأمر يقتضي الوجوب، كما هو معلوم من قواعد الشريعة ومقتضى اللغة العربية.

فمن فاتته صلاة العيد وجب عليه أن يصليها، ولو منفردا مادام وقتها باقيا وهو إلى قبيل الزوال ، وينتهي وقتها بقبيل زوال الشمس عن كبد السماء، فإن خرج وقتها ، قضاها من اليوم الثاني كما تقدم في الحديث الآنف الذكر.

قال البخاري - رَحِمَهُ اللهُ - باب إِذَا فَاتَهُ الْعِيدُ يُصَلِّي رَكْعَتَيْنِ ، وَكَذَلِكَ النِّسَاءُ ، وَمَنْ كَانَ فِي الْبُيُوتِ وَالْقُرَى ، لِقَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : «**هَذَا عِيدُنَا أَهْلَ الإِسْلَامِ**».

وَأَمَرَ أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ مَوْلَاهُمُ ابْنَ أَبِي عُتْبَةَ بِالزَّاوِيَةِ فَجَمَعَ أَهْلَهُ وَبَنِيهِ وَصَلَّى كَصَلَاةِ أَهْلِ الْمِصْرِ وَتَكْبِيرِهِمْ.

وَقَالَ : عِكْرِمَةُ أَهْلُ السَّوَادِ يَجْتَمِعُونَ فِي الْعِيدِ يُصَلُّونَ رَكْعَتَيْنِ كَمَا يَصْنَعُ الإِمَامُ.

وَقَالَ : عَطَاءٌ إِذَا فَاتَهُ الْعِيدُ صَلَّى رَكْعَتَيْنِ.

وروى البخاري أيضا عَنْ أُمِّ عَطِيَّةَ - رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قَالَتْ :أُمِرْنَا أَنْ نُخْرِجَ الْحُيَّضَ يَوْمَ الْعِيدَيْنِ، وَذَوَاتِ الْخُدُورِ فَيَشْهَدْنَ جَمَاعَةَ الْمُسْلِمِينَ، وَدَعْوَتَهُمْ» الحديث.

الشاهد من هذا الحديث أنه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أمر النساء بالخروج إلى مصلى العيد ، وهن لا تجب عليهن الجمعة والجماعة فيكون في حق الرجال من باب أولى.

وقال بعض أهل العلم بوجوب صلاة العيد على النساء، لكن الصحيح أنها لاتجب إلا على الرجال.

---

(١)صحيح: صححه الألباني في صحيح ابن ماجه - (١ / ٢٧٦)(١٣٤٠) والوادعي في الصحيح المسند(١٥١٦)(٢/ ٤٥٢) وهوعند ابن ماجه وأحمد.

صلة الأرحام يوم العيد:

لا مانع من المزاورة في مثل هذا اليوم وصلة الأرحام بدون تخصيص، على أنه لا يجوز قطع الأرحام في غير الأعياد، لأن من الناس من لا يصل أرحامه إلا أيام الأعياد، وهذا تقصير ونوع من القطيعة ولا يجوز ذلك.

ويجب على المسلم أن يتجنب المخالفات أثناء صلة الأرحام، من مصافحة النساء الأجنبيات، والاختلاط بهن، أو الخلوة بالمرأة الأجنبية، فإنه لا يجوز مصافحة النساء الأجنبيات، ولا الاختلاط بهن، فقد بين الله مَن هنَّ المحارم اللاتي يجوز الاختلاط بهنَّ ومصافحتهن ونحو ذلك في سورة النساء بقوله: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَٰتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَٰتُكُمْ وَعَمَّٰتُكُمْ وَخَٰلَٰتُكُمْ وَبَنَاتُ ٱلْأَخِ وَبَنَاتُ ٱلْأُخْتِ وَأُمَّهَٰتُكُمُ ٱلَّٰتِىٓ أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَٰتُكُم مِّنَ ٱلرَّضَٰعَةِ وَأُمَّهَٰتُ نِسَآئِكُمْ وَرَبَٰٓئِبُكُمُ ٱلَّٰتِى فِى حُجُورِكُم مِّن نِّسَآئِكُمُ ٱلَّٰتِى دَخَلْتُم بِهِنَّ فَإِن لَّمْ تَكُونُوا۟ دَخَلْتُم بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلَٰٓئِلُ أَبْنَآئِكُمُ ٱلَّذِينَ مِنْ أَصْلَٰبِكُمْ وَأَن تَجْمَعُوا۟ بَيْنَ ٱلْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٢٣﴾﴾[النساء:٢٣].

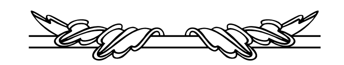
«والربيبة»: هي بنت الزوجة من رجل آخر، فهي من المحارم، «وحلائل الأبناء»: هن زوجات الأبناء، وهن من المحارم.

فهؤلاء هن المحارم، أما غيرهن فلسن محارمَ، كزوجة الأخ، وزوجة العم، وزوجة الخال، وبنت العم أو بنت العمة، وبنت الخال أوبنت الخالة، وغيرهن، فلا يجوز الاختلاط بهن، ولا الخلوة بهن، ولا مصافحتهن.

فقد روى البخاري ومسلم عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ: أَنَّ رَسُولَ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِيَّاكُمْ وَالدُّخُولَ عَلَى النِّسَاءِ» فَقَالَ: رَجُلٌ مِنَ الأَنْصَارِ: يَا رَسُولَ الله، أَفَرَأَيْتَ الحَمْوَ؟ قَالَ: «الحَمْوُ المَوْتُ».

وروى الطبراني عن مَعْقِلِ بْن يَسَارٍ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ قال: قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ: «**لَأَنْ يُطْعَنَ فِي رَأْسِ أَحَدِكُمْ بِمِخْيَطٍ مِنْ حَدِيدٍ؛ خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَمَسَّ امْرَأَةً لَا تَحِلُّ لَهُ**»[١].

فلا يجوز للمسلمين أن يقابلوا هذه الشعائر وهذه النعم بالمعاصي والمخالفات، وإنما يجب أن يقابلوها بالطاعات والشكر لعل الله أن يتقبل منهم ويغفر لهم.



(١)صحيح: صححه الألباني في السلسلة الصحيحة (١ / ٣٩٥) وهو عند البيهقي.

اغتنام أيام التشريق



ومن أيام الله المعظمة في شرعنا أيام التشريق، وهي: الحادي عشر والثاني عشر والثالث عشر من شهر ذي الحجة، وسميت أيام التشريق لأن الحجاج كانوا يشرقون فيها لحوم الأضاحي على الشمس لئلا تفسد.

قال الشيخ عطية بن محمد بن سالم: «وسميت أيام التشريق تشريقاً؛ لأنهم كانوا في الإسلام وقبل الإسلام، تكثر لحوم الأضاحي والهدايا عن حاجة يومهم فيدخرون لحومها، فكانوا يشرحونها شرائح رقيقة، وينشرونها على الصخور أو على الجبال حتى تتعرض إلى أشعة الشمس، فيذهب عنها الرطوبة التي هي سبب في فسادها. اهـ.»[1].

وأيام التشريق هي الأيام المعدودات التي ذكرها الله في كتابه، وأمرعباده بذكره فيها فقال:﴿ ۞ وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ فِيٓ أَيَّامٖ مَّعۡدُودَٰتٖۚ ﴾ [البقرة:٢٠٣].

قال المفسر البغوي ـ رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ: الأيام المعدودات هي أيام التشريق، والأيام المعلومات هي أيام عشر ذي الحجة. اهـ..

اغتنام أيام التشريق بذكر الله:

يستحب الإكثار من ذكر الله في أيام التشريق، لما روى مسلم وأبو داود عَنْ نُبَيْشَةَ الْهُذَلِيِّ ـ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ ـ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَيَّامُ التَّشْرِيقِ أَيَّامُ أَكْلٍ وَشُرْبٍ وذكر لله عَزَّوَجَلَّ».

---

(١)شرح بلوغ المرام – (١٥٥ / ٣)

فينبغي على المسلمين عموما، وعلى الحجيج خصوصا، أن تلهج ألسنتهم بذكر الله، من التسبيح والتكبير والتهليل خصوصا في هذه الأيام ، عملا بقوله تعالى: ﴿ ۞ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْدُودَٰتٍ ۚ فَمَن تَعَجَّلَ فِى يَوْمَيْنِ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَن تَأَخَّرَ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ ۚ لِمَنِ ٱتَّقَىٰ ۗ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٠٣﴾ ﴾

[البقرة:٢٠٣].

قال ابن كثير ـ رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ في تفسيره: «قَالَ : ابْنُ عَبَّاس: «الْأَيَّامُ المعْدُودَاتُ» أَيَّامُ التَّشْرِيق، و«الْأَيَّامُ المعْلُومَاتُ» أَيَّامُ العَشْر. وَقَالَ : عِكْرِمَةُ: ﴿ ۞ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْدُودَٰتٍ ۚ ﴾ يَعْنِي: التَّكْبِيرُ أيامَ التَّشْرِيقِ بَعْدَ الصَّلَوَاتِ المكْتُوبَاتِ: الله أَكْبَرُ، الله أَكْبَرُ. ا هـ . .

وقال السعدي ـ رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ: «أمر تعالى بذكره في الأيام المعدودات، وهي أيام التشريق الثلاثة بعد العيد، لمزيتها وشرفها، وكون بقية أحكام المناسك تفعل بها، ولكون الناس أضيافا لله فيها، ولهذا حرم صيامها، فللذكر فيها مزية ليست لغيرها، ولهذا قال النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أيام التشريق، أيام أكل وشرب، وذكر الله »، ويدخل في ذكر الله فيها، ذكره عند رمي الجمار، وعند الذبح، والذكر المقيد عقب الفرائض، بل قال بعض العلماء: إنه يستحب فيها التكبير المطلق، كالعشر، وليس ببعيد» ا هـ .

أي أنه يشرع التكبير في هذه الأيام مطلقًا في سائر الأوقات ، ويشرع التكبير مقيدًا بعد الصلوات.

وقال الله في كتابه الكريم: ﴿ فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَٰسِكَكُمْ فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَذِكْرِكُمْ ءَابَآءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا ۗ ﴾[البقرة:٢٠٠] .

قال المفسر ابن كثير ـ رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ: يأمرُ تَعَالَى بذِكْرِه وَالْإِكْثَار منْهُ بَعْدَ قَضَاء المنَاسِك وَفَرَاغِهَا. وَقَوْلُهُ: ﴿ كَذِكْرِكُمْ ءَابَآءَكُمْ ﴾ اخْتَلَفُوا فِي مَعْنَاهُ، فَقَالَ : ابْنُ جُرَيج،

عَنْ عَطَاء: هُوَ كَقَوْلِ الصَّبِيِّ: «أَبَهْ أَمَّهْ»، يَعْنِي: كَمَا يَلْهَج الصَّبِيُّ بِذِكْر أَبِيه وَأُمِّه، فَكَذَلِكَ أَنْتُمْ، فَالْهَجُوا بِذِكْر الله بَعْدَ قَضَاء النُّسُك. وَكَذَا قَالَ : الضَّحَّاكُ وَالرَّبِيعُ بْنُ أَنَس.. وَقَالَ : سَعِيدُ بْنُ جُبَير، عَن ابْنِ عَبَّاس قال : كَانَ أَهْلُ الْجَاهِلِيَّة يَقِفُونَ فِي الْمَوْسِم فَيَقُولُ الرَّجُلُ مِنْهُمْ: كَانَ أَبِي يُطْعِمُ وَيَحْمِلُ الْحَمَالات وَيَحْمِلُ الدِّيَات. لَيْسَ لَهُمْ ذِكْرٌ غَيْرُ فِعَال آبَائِهِمْ. فَأَنْزَلَ الله عَلَى مُحَمَّد صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿ فَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَذِكۡرِكُمۡ ءَابَآءَكُمۡ أَوۡ أَشَدَّ ذِكۡرٗاۗ ﴾. اهـ .

وقال المفسر البغوي ـ رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ: ﴿ فَإِذَا قَضَيۡتُم مَّنَٰسِكَكُمۡ ﴾ أَيْ: فَرَغْتُمْ مِنْ حَجِّكُمْ وَذَبَحْتُمْ نَسَائِكَكُمْ، أَيْ: ذَبَائِحَكُمْ، يُقَالُ: نَسَكَ الرَّجُلُ يَنْسُكُ نُسُكًا إِذَا ذَبَحَ نَسِيكَتَهُ، وَذَلِكَ بَعْدَ رَمْيِ جَمْرَة الْعَقَبَة وَالاسْتِقْرَار بِمِنَى، فَاذْكُرُوا الله بِالتَّكْبِير وَالتَّحْمِيد وَالثَّنَاء عَلَيْه، كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ، وَذَلِكَ أَنَّ الْعَرَبَ كَانَتْ إِذَا فَرَغَتْ مِنَ الْحَجِّ وَقَفَتْ عِنْدَ الْبَيْتِ فَذَكَرَتْ مَفَاخِرَ آبَائِهَا». اهـ .

أيام التشريق أيام ذبح الأضاحي والهدايا:

ويشرع في هذه الأيام ذبح الهدايا والأضاحي إلى غروب شمس الثالث عشر من ذي الحجة ، وهو آخر أيام التشريق وعند غروبها ينتهي وقت الذبح، ويبدأ الذبح من اليوم العاشر من ذي الحجة وهو يوم العيد كما تقدم .

فقد روى الإمام أحمد عَنْ جُبَيْر بْنِ مُطْعِمٍ ـ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ ـ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : «كُلُّ أَيَّامِ التَّشْرِيقِ ذَبْحٌ » .[1]

فيشرع للناس أن يأكلوا ويتصدقوا من هذه اللحوم، ويدخروا منها إلى ما بعد أيام التشريق ، ويذكروا الله ويشكروه على هذه النعمة العظيمة .

فقد روى أبو داود عن نُبيْشةَ ـ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ ـ قال: قال رسولُ الله –صلَّى الله عليه وسلم–: «إنَّا كنَّا نَهَيْناكُم عن لُحُومها أن تأكُلُوها فوق ثَلاثٍ، لكي تَسَعَكُم فقد جاء

(١) صحيح: صححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٥ / ٦١٧) برقم(٢٤٧٦) وهو عند البيهقي

الله بالسَّعة، فكُلوا وادَّخِرُوا واتّجِرُوا، ألا وإنَّ هذِهِ الأيامَ أيَّامُ أكلٍ وشُرْبٍ وذِكرٍ للهِ عزَ وجلَّ»[1]

ويجب على العبد أن يخلص لله في هذه القربة، ويشكره عليها، وذلك بتقواه، وصرفها حيث أراد الله ، والإكثار من ذكر الله، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقْوَىٰ مِنكُمْ كَذَٰلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُواْ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ وَبَشِّرِ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٣٧﴾ ﴾ [الحج:٣٧].

وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ : ﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا لِّيَذْكُرُواْ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَٰمِ فَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَلَهُۥٓ أَسْلِمُواْ وَبَشِّرِ ٱلْمُخْبِتِينَ ﴿٣٤﴾ ﴾

[الحج:٣٤] .

أيام التشريق من أعياد المسلمين:

إن أيام التشريق أيام عظمها الله في كتابه، وعظمها رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في سنته، وهي من أعياد المسلمين ، كما ثبت عند الإمام أحمد عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ- رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَنَّ رَسُولَ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِنَّ يَوْمَ عَرَفَةَ وَيَوْمَ النَّحْرِ وَأَيَّامَ التَّشْرِيقِ عِيدُنَا أَهْلَ الْإِسْلَامِ، وَهِيَ أَيَّامُ أَكْلٍ وَشُرْبٍ وذكر لله». ورواه الترمذي وأبو داود والحاكم وصححه الألباني.

فأباح الله فيها التوسع بالأكل والشرب، والأكل من لحوم الأضاحي، مع كثرة ذكر الله فيها؛ شكرًا له على نعمه، وعلى ما أحل لهم من بهيمة الأنعام، ونهى عن الصيام فيها ؛لأنها من ضمن الأعياد التي شرعها الله للمسلمين.

---

(١) صحيح: صححه الألباني في صحيح وضعيف سنن أبي داود - (٦/ ٣١٣)(٢٨١٣)والوادعي في الصحيح المسند(١١٤٨)(٢/ ٢٠٣) وهو عند الإمام أحمد.

تحريم صيام أيام التشريق:

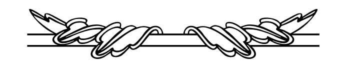
نهى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن الصيام فيها؛ لأنها من أعياد المسلمين، وهي أيام أكل وشرب وذكرلله ، ولأن الناس أضياف الله فيها.

فقد روى النسائي عن حمزة بن عمرو الأسلمي - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**لا تصوموا هذه الأيام أيام التشريق فإنها أيام أكل وشرب**» (١) .

قال أهل العلم: لا يجوز صيام أيام التشريق إلا لمن لم يجد الهدي في حق من كان في مكة من الحجاج.

فقد روى البخاري عَنْ عَائِشَةَ، وَ ابْنِ عُمَرَ - رَضِيَ الله عَنْهُمْ - قَالاَ: «**لَمْ يُرَخَّصْ فِي أَيَّامِ التَّشْرِيقِ أَنْ يُصَمْنَ، إِلَّا لِمَنْ لَمْ يَجِدِ الهَدْيَ**» .

وروى الطيالسي عَنْ أَنَس بن مالك - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - قَالَ : «**نَهَى رَسُولُ الله صَلَّى الله عَلَيْه وَسَلَّمَ عَنْ صَوْم ستَّة أَيَّام منَ السَّنَة، ثَلَاثَة أَيَّام مِنَ التَّشْرِيقِ، وَيَوْمِ الْفِطْرِ، وَيَوْمِ الْأَضْحَى، وَيَوْمِ الْجُمُعَةِ، مُخْتَصَّةً مِنَ الأَيَّامِ**» (٢).



(١)(صحيح) انظر حديث رقم : (٧٣٥٥)في صحيح الجامع .وهو عند أحمد.
(٢)صحيح: صححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٥ / ٥٢٢)برقم(٢٣٩٨).

الفصل الثالث

اغتنام الساعات والأوقات المباركة



بعد أن ذكرنا الشهور والأيام والليالي المباركة واغتنامها بفعل الخيرات ، نذكر هنا الساعات والأوقات التي ثبتت بركتها شرعا، وهي كثيرة، فينبغي اغتنامها في طاعة الله، وسنقتصر في هذا الفصل على أوقات الإجابة، والساعات التي يستجاب فيها الدعاء، ونتطرق إلى أسباب الإجابة وموانعها للمناسبة ، ولا يلزم أن تكون الساعة ستين دقيقة كما هو في عرف الناس في هذا الزمان ، وإنما تطلق الساعة على الزمن القصير من الوقت، فقد تكون ستين دقيقة أو أقل أو أكثر.

تنبيه: لا تثبت البركة إلا بدليل:

لا يجوز إثبات البركة لساعة من الساعات أو لوقت من الأوقات بغير دليل، ولا يجوز كذلك التشاؤم بساعة من الساعات أو بوقت من الأوقات، فإننا نسمع من بعض العامة القول بأن هناك ساعات طيبة، وساعات مشئومة ، فتراهم يتحرون الساعة الطيبة ـ بزعمهم ـ للعقد أو لخروج العروسة من بيت أبيها ودخولها إلى بيت زوجها ونحو ذلك ، فهذا كله من الطيرة، وهي من الشرك، وقد أبطلها الشرع .

ويستحب التفاؤل بالكلمة الطيبة، فإن التفاؤل شيء، والطيرة شيء آخر، فالتفاؤل حسن ظن بالله ، والتطير سوء ظن بالله والعياذ بالله.

فقد روى البخاري ومسلم عن أَنَس بْن مَالِك ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : «**لاَ عَدْوَى، وَلاَ طِيَرَةَ وَيُعْجِبُنِي الْفَأْلُ قَالُوا وَمَا الْفَأْلُ قَالَ : الكَلِمَةُ الطَيِّبَةُ**» .

وعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ قَالَ : « الطِّيَرَةُ شِرْكٌ الطِّيَرَةُ شِرْكٌ ». ثَلاَثًا « وَمَا مِنَّا إِلاَّ وَلَكِنَّ اللَّهَ يُذْهِبُهُ بِالتَّوَكُّلِ »(١).

وقوله : «وما منا إلا ولكن الله يذهبه بالتوكل»من قول ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

اغتنام الدعاء:

الدعاء من أعظم العبادات ، بل هو حقيقة العبادة، لما روى أبو داود عَن النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ : سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «الدُّعَاءُ هُوَ العِبَادَةُ ثُمَّ قَرَأَ: ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾ ﴾وهو عند الترمذي وصححه الألباني.

فينبغي على المؤمن أن يلجأ إلى ربه بالدعاء والتضرع بين يديه، لاسيما وقت المدلهمات والفتن والمعضلات، وأن يتحرى أوقات الإجابة، ويعمل بأسبابها ويجتنب موانعها، لعل الله أن يفرج همه، أو يكشف كربه، أو يقضي دينه ، أو يغفر ذنبه، بسبب دعوة يدعو بها فيستجيب الله له.

والعبد إذا دعا ربه فإنه لا يحرم من خيره ، فإنه بين ثلاثة أمور كلها خير ، فإما أن يستجيب الله له عاجلا أو آجلا ، أو يصرف عنه من السوء مالم يحتسب، أو يدخرله دعاءه إلى يوم القيامة فينفعه الله به أحوج ما يكون إليه في ذلك اليوم.

فقد روى الإمام أحمد عن أبي سعيد ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال : «**ما من مسلم يدعو بدعوة ليس فيها إثم ولا قطيعة رحم إلا أعطاه الله بها إحدى ثلاث، إما أن تعجَّل له دعوته، وإما أن يدخرها له في الآخرة ، وإما أن يصرف عنه من السوء مثلها**» ، قالوا: إذا نكثر، قال: « **الله أكثر** »(٢).

---

(١)صحيح: رواه أبو داود والترمذي وابن حبان وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (١ / ٤٢٨) (٤٢٩) والوادعي في الصحيح المسند(٨٥٨)(١/ ٦٥٩)

(٢)صحيح: صححه العلامتان الألباني والوادعي، الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٢ / ١٢٨) (١٦٣١)والوادعي في الصحيح المسند(٤١٢)(١/ ٣٤٨) ورواه البزار وأبو يعلى والحاكم.

أي :أكثر إجابة.

فلاينبغي إهمال جانب الدعاء فله نفع عظيم في الدنيا والآخرة.

وكما قيل:

أتهزأ بالدعاء وتزدريه وما تدري ما صنع الدعاءُ

سهام الليل لا تخطي ولكن له أمدٌ وللأمد انقضاءُ

والله تعالى أمر عباده بالدعاء، ووعدهم بالإجابة، وتوعد من استكبر عن دعائه بالنار، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾ ﴾ [غافر : ٦٠] .

اغتنام أوقات الإجابة

هناك أوقات أرشد الله ورسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى تحريها عند الدعاء؛ لكونها أوقاتًا فاضلةً يرجى أن يستجيب الله لمن دعاه فيها، وذلك بعد توفر الشروط وانتفاء الموانع، وإرادة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ رحمة عبده الداعي بالإجابة، ووجود الأسباب الداعية للإجابة، فإنه كلما كان القلب متصلا بالله، متلهفا لإعانته، حاضرا في مناجاته، مفتقرا إليه ، معترفا به، مقرا بقدرته ، موقنا بإجابته، مضطرا إليه، منقطعا عن غيره، كانت الإجابة أقرب ، وهكذا كلما كان الجسد أتعب وأرهق، والعبد أحوج إلى ربه ، وأمثل لطاعته، وأبعد عن معصيته، كانت الإجابة أقرب في جميع أحواله ، بإذن الله رب العالمين .

وسنذكر هنا أهمها بأدلتها، وهي كالتالي:

١- آخر ساعة من الليل وقت السحر.

٢- عند السجود.

٣-عند النداء وبين الأذان والإقامة.

٤ - ساعة من يوم الجمعة.

٥ - أدبار الصلوات (قبل السلام).

٦ - في السفر.

٧-عند الصوم.

٨-عند نزول المطر.

٩ - عند التحام الجيشين .

١٠- دعوة المظلوم.

١١- دعوة الوالدين.

١٢- دعوة المسلم لأخيه المسلم بظهر الغيب.

١ـ آخر ساعة من الليل وقت السحر:

إن من الأوقات الفاضلة والمباركة، لهو وقت السحر، والدعاء فيه مستجاب ، فقد روى البخاري ومسلم عن أَبِي هُرَيْرَةَ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ : « يَنْزِلُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الآخِرُ فَيَقُولُ مَنْ يَدْعُونِى فَأَسْتَجِيبَ لَهُ وَمَنْ يسألني فَأُعْطِيَهُ وَمَنْ يَسْتَغْفِرُنِى فَأَغْفِرَ لَهُ ».

وروى الترمذي عن عمرو بن عبسة ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ أنه سمع النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: « أقرب ما يكون الرب من العبد في جوف الليل الآخر، فإن استطعت أن تكون ممن يذكر الله في تلك الساعة فكن»[١] .

وروى الطبراني عن عمرو بن عبسة ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «أفضل

---

(١)صحيح : صححه الألباني في صحيح وضعيف سنن الترمذي - (٨ / ٧٩)(٣٥٧٩) وحسنه الوادعي في الصحيح المسند(٢/ ٩١)(١٠١٥) وهوعند النسائي والحاكم.

الساعات جوف الليل الآخر » (١) .

وكان هذا الوقت فاضلا ، وهومن أوقات الإجابة ؛لأنه وقت النزول الإلهي كما هو مبين في الحديث، ولأنه وقت يغفل فيه الناس وينامون ، وهو أقرب إلى الإخلاص والبعد عن الرياء، وحضور القلب وافتقاره إلى ربه، وعدم انشغاله بشيء من أمور الدنيا، وهو وقت صفاء الذهن، وراحة الجسد، وخشوع الجوارح، والبعد عن الإرهاق والمكدرات، فحري أن يستجاب لمن اتصف بهذه الصفات، وينبغي اغتنام هذا الوقت بالعبادات من ذكر واستغفار وصلاة ونحو ذلك.

قال تعالى: ﴿ ٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْمُنفِقِينَ وَٱلْمُسْتَغْفِرِينَ بِٱلْأَسْحَارِ ﴿١٧﴾ ﴾[آل عمران : ١٧].

٢ـ عند السجود.

دعاء المسلم وهو ساجد بين يدي ربه مستجاب بإذن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، لما روى مسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ـ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ ـ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ -صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ : « أَقْرَبُ مَا يَكُونُ الْعَبْدُ مِنْ رَبِّهِ وَهُوَ سَاجِدٌ فَأَكْثِرُوا الدُّعَاءَ ».

وروى مسلم أيضًاعَن ابْـنِ عَبَّاسٍ ـ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا قَـالَ : كَشَفَ رَسُـولُ اللَّهِ -صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- السِّتَارَةَ وَالنَّاسُ صُفُوفٌ خَلْفَ أَبِي بَكْرٍ فَقَالَ : « **أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّهُ لَمْ يَبْقَ مِنْ مُبَشِّرَاتِ النُّبُوَّةِ إِلاَّ الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ يَرَاهَا الْمُسْلِمُ أَوْ تُرَى لَهُ أَلاَ وَإِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَقْرَأَ الْقُرْآنَ رَاكِعًا أَوْ سَاجِدًا فَأَمَّا الرُّكُوعُ فَعَظِّمُوا فِيهِ الرَّبَّ عَزَّ وَجَلَّ وَأَمَّا السُّجُودُ فَاجْتَهِدُوا فِي الدُّعَاءِ فَقَمِنٌ أَنْ يُسْتَجَابَ لَكُمْ** ».

ومن الحكم في ذلك أن السجود أشرف ركن في الصلاة، وغالبا ما يُعبر عن الصلاة بالسجود، ومن ذلك أن العبد يمرغ أشرف عضوفي الأرض وهو وجهه تقربا إلى الله ، فيكون الله تعالى أقرب إليه برحمته وإجابة دعائه.

---

(١)صحيح :صححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٢ / ٨٣)برقم(٥٥١)

قال النووي -رَحِمَهُ ٱللَّهُ-: «وَهُوَ مُوَافِق لِقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿ وَٱسْجُدْ وَٱقْتَرِب ﴾ وَلأَنَّ السُّجُود غَايَة التَّوَاضُع وَالْعُبُودِيَّة لِلَّهِ تَعَالَى، وَفِيهِ تَمْكِين أَعَزّ أَعْضَاء الْإِنْسَان وَأَعْلَاهَا وَهُوَ وَجْهه مِنْ التُّرَاب الَّذِي يُدَاس وَيُمْتَهَن وَاَللَّه أَعْلَم» اهـ.(١).

فينبغي الإكثار من السجود فإنه من أسباب مرافقة النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

فقد روى الإمام مسلم عن رَبِيعَةَ بْن كَعْب الأَسْلَمِيُّ ـ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ ـ قَالَ: كُنْتُ أَبِيتُ مَعَ رَسُول اللَّه -صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فَأَتَيْتُهُ بوَضُوئه وَحَاجَته فقَالَ: لي: «**سَلْ**». فَقُلْتُ: أَسْأَلُكَ مُرَافَقَتَكَ فِي الْجَنَّة. قَالَ: «**أَوَغَيْرَ ذَلِكَ**». قُلْتُ: هُوَ ذَاكَ. قَالَ: «**فَأَعِنِّي عَلَى نَفْسِكَ بِكَثْرَةِ السُّجُودِ**».

٣ـ عند النداء وبين الأذان والإقامة:

الدعاء بعد النداء وبينه وبين الإقامة مستجاب، لماروى أبو داود وغيره عن سَهْل بْن سَعْد ـ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ ـ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله -صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «**ثِنْتَان لاَ تُرَدَّانِ أَوْ قَلَّمَا تُرَدَّانِ: الدُّعَاءُ عِنْدَ النِّدَاء، وَعِنْدَ الْبَأْسِ حِينَ يُلْحِمُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا**»(٢).

وقوله: (**عِنْدَ النِّدَاء**)، أي: عند تمام الأذان.

وروى أبو داود عن أَنَس بْن مَالِك ـ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ ـ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله -صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- «**لاَ يُرَدُّ الدُّعَاءُ بَيْنَ الأَذَانِ وَالإِقَامَةِ**»(٣).

وذلك لشرف هذا الوقت، لأنه وقت عبادة وتفرغ لها وهو بين عبادتين عظيمتين وهما الأذان والصلاة. وهو وقت تفتح فيه السماء فيستجاب فيه الدعاء.

---

(١) شرح مسلم (٢/ ٢٣٨)

(٢) صحيح: صححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب - (١/ ٦٥)(٢٦٦)، وهو عند الحاكم وابن حبان.

(٣) صحيح: صححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب - (١/ ٦٥)(٢٦٥) وهو عند الترمذي والنسائي وابن خزيمة وابن حبان.

فقد روى الحاكم وغيره عن أبي أمامة ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : «**إذا نادى المنادي فتحت أبواب السماء واستجيب الدعاء**» . صححه الألباني(١).

وفي هذين الوقتين تفر الشياطين عند سماع النداء والإقامة.

فقد روى البخاري ومسلم واللفظ للبخاري عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ أَنَّ رَسُولَ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : «**إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ أَدْبَرَ الشَّيْطَانُ وَلَهُ ضُرَاطٌ حَتَّى لاَ يَسْمَعَ التَّأْذِينَ فَإِذَا قَضَى النِّدَاءَ أَقْبَلَ حَتَّى إِذَا ثُوِّبَ بالصَّلَاةِ أَدْبَرَ حَتَّى إِذَا قَضَى التَّثْوِيبَ أَقْبَلَ حَتَّى يَخْطُرَ بَيْنَ الْمَرْءِ وَنَفْسِهِ يَقُولُ اذْكُرْ كَذَا اذْكُرْ كَذَا لِمَا لَمْ يَكُنْ يَذْكُرُ حَتَّى يَظَلَّ الرَّجُلُ لاَ يَدْرِي كَمْ صَلَّى**».

٤ـ ساعة من يوم الجمعة:

في يوم الجمعة ساعة يستجاب فيها الدعاء، فقد روى البخاري ومسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ أَنَّ رَسُولَ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَكَرَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ فَقَالَ :«**فِيهِ سَاعَةٌ لاَ يُوَافِقُهَا عَبْدٌ مُسْلِمٌ وَهْوَ قَائِمٌ يُصَلِّي يَسْأَلُ اللهَ تَعَالَى شَيْئًا إِلاَّ أَعْطَاهُ إِيَّاهُ**»وَأَشَارَ بِيَدِهِ يُقَلِّلُهَا.

ومعنى : وهو قائم يصلي :أي يدعو، ومعنى يقللها، أي: يصغرها.

وقد اختلف أهل العلم في تعيين هذه الساعة إلى أقوال كثيرة ، أرجحها وأرجاها أنها آخر ساعة من يوم الجمعة بعد العصر، لما روى أبو داود عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ـ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أَنَّهُ قَالَ : « **يَوْمُ الْجُمُعَةِ ثِنْتَا عَشْرَةَ** ». يُرِيدُ سَاعَةً « **لاَ يُوجَدُ مُسْلِمٌ يَسْأَلُ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ شَيْئًا إِلاَّ آتَاهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فَالْتَمِسُوهَا آخِرَ سَاعَةٍ بَعْدَ الْعَصْرِ** »(٢) .

---

(١)(صحيح) انظر حديث رقم : (٨٠٣) في صحيح الجامع

(٢)صحيح: صححه الألباني في صحيح أبي داود - (٤ / ٢١٦)(٩٦٣) والوادعي في الصحيح المسند(٢٣٨)(١/ ١٩٣).وهو عند النسائي والحاكم.

ذكر الخلاف في هذه الساعة:

نذكر كافة الأقوال في تعيين هذه الساعة لمن أراد أن يجمع بينها فيدعو في جميعها:

١ـ هي آخرساعة من يوم الجمعة، وهو الراجح كما تقدم.

٢ـ وقيل :هي من بعد صلاة العصر إلى غروب الشمس .

٣ـ وقيل:هي من بعد طلوع الفجر إلى طلوع الشمس .

٤ـ وقيل:هي عند زوال الشمس .

٥ـ وقيل:هي ما بين أن تزيغ الشمس بشبر إلى ذراع .

٦ـ وقيل:هي إذا أذن المؤذن للصلاة .

٧ـ وقيل:هي الساعة التي اختار الله فيها الصلاة، أي صلاة الجمعة .

٨ـ وقيل: هي إذا جلس الإمام على المنبر .

٩ـ وقيل :هي عند الإقامة .

١٠ـ وقيل:هي ما بين أن يحرم البيع إلى أن يحل.

١١ـ وقيل:هي ما بين مجلس الإمام إلى أن تقضى الصلاة[١].

٥ ـ أدبار الصلوات(قبل السلام):

الدعاء في أدبار الصلوات مستجاب،لما روى الترمذي عن أبي أمامة ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ قال : قيل لرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أي الدعاء أسمع ؟، قال: « **جوف الليل الآخر ودبر الصلوات المكتوبات**» .[٢]

(١) انظر كتاب شرح صحيح البخارى ـ لابن بطال – (٢ / ٥٢٠ـ٥٢١) .
(٢) صحيح :صححه الألباني صحيح الترغيب والترهيب – (٢ / ١٣١)(١٦٤٨).

وروى أبو داود عَنْ مُعَاذ بْن جَبَل ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ أَنَّ رَسُولَ الله – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – أَخَذَ بيَده وَقَالَ : « **يَا مُعَاذُ وَاللهِ إِنِّي لأُحِبُّكَ وَاللهِ إِنِّي لأُحِبُّكَ** ». فَقَالَ : « **أُوصِيكَ يَا مُعَاذُ لاَ تَدَعَنَّ فِي دُبُرِ كُلِّ صَلاَةٍ تَقُولُ اللَّهُمَّ أَعِنِّى عَلَى ذِكْرِكَ وَشُكْرِكَ وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ** »[1]

وأدبار الصلوات هو قبل السلام ورجحه شيخ الإسلام ابن تيمية والعلامة ابن عثيمين – رَحِمَهُمَا اللَّهُ –.

قال شيخ الإسلام – رَحِمَهُ اللَّهُ – : «دُبُرُ كُلّ شَيْءٍ منه ، كَدُبُرِ الْحَيَوَانِ ، بمعنى أنه من أصله وفي مؤخرته » اهـ . [2] .

وقال ابن عثيمين– رَحِمَهُ اللَّهُ –:«ما ورد من الدعاء مقيدًا بدبر الصلاة فهو قبل السلام، وماورد من الذكر مقيدا بدبر الصلاة فهو بعد الصلاة لقوله تعالى:﴿ فَإِذَا قَضَيْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ قِيَـٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ ﴾ [النساء:١٠٣]اهـ .[3]

٦ـ في السفر :

للمسافر دعوة مستجابة لما روى أبو داود عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ أَنَّ النَّبِيَّ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – قَالَ : « **ثَلاَثُ دَعَوَاتٍ مُسْتَجَابَاتٌ لاَ شَكَّ فِيهِنَّ دَعْوَةُ الْوَالِدِ وَدَعْوَةُ الْمُسَافِرِ وَدَعْوَةُ الْمَظْلُومِ** »[4].

وكانت دعوة المسافر مستجابة؛ لشدة حاجته، وافتقاره إلى ربه، وغربته عن بلده، وغيابه عن أهله وأقاربه، ولما يصاب به من العناء والإرهاق والتعب والجوع والعطش أثناء سفره.

---

(١)صحيح:ورواه أحمد والنسائي وابن حبان والحاكم وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب – (٢ / ١١٩)(١٥٩٦) والوادعي في الصحيح المسند(١١٠٧)(٢/ ١٦٩) .

(٢)زاد المعاد (١ / ٢٨٥) .

(٣)كتاب الدعاءص(٥٤) .

(٤)صحيح :صححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب – (٢ / ١٣١)(١٦٤٨) وهو عند أحمد والترمذي .

ففي الصحيحين عن أَبي هُرَيْرَةَ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ أَنَّ رَسُولَ اللَّه -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ: «السَّفَرُ قِطْعَةٌ مِنَ الْعَذَابِ يَمْنَعُ أَحَدَكُمْ نَوْمَهُ وَطَعَامَهُ وَشَرَابَهُ فَإِذَا قَضَى أَحَدُكُمْ نَهْمَتَهُ مِنْ وَجْهِهِ فَلْيُعَجِّلْ إِلَى أَهْلِهِ».

٧: عند الصوم:

للصائم دعوة مستجابة، في رمضان وفي غيره، لما روى البيهقي وغيره عن أبي هريرة ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ أَنَّ النَّبِيَّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ: «ثلاث دعوات مستجابات: دعوة الصائم ودعوة المظلوم ودعوة المسافر»[١]

وروى الإمام أحمد عَنْ أَبِي سَعِيد ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ للهِ عُتَقَاءَ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ، وإن لِكُلِّ مسلم في كل يوم وليلة دَعْوَةً مُسْتَجَابَةً». [٢]

والحديث في فضل شهر رمضان وصيامه، والشاهد منه أن دعوة الصائم مستجابة.

وكانت دعوة الصائم مستجابة لفضل الصيام، وقرب الصائم من ربه، وانشغاله بطاعته، ، وسمته، وحسن خلقه، وبعده عن المعاصي والشهوات ، وذلك لخلو جوفه من الطعام وضعف جسده ، ولأن مجاري الشيطان مضيقة عنده، ونحو ذلك من الحكم، فكان ذلك أدعى للإجابة.

تنبيه:

كثير من الصائمين يحجم عن الدعاء سائر يومه، إلى قبيل إفطاره بلحظات، فيدعو عند إفطاره، اعتمادا على حديث ضعيف وهو :(**ثلاثة لا ترد دعوتهم : الإمام العادل، والصائم حين يفطر ،ودعوة المظلوم؛ يرفعها الله تعالى فوق الغمام وتفتح لها**

---

(١)حسن: حسنه الألباني في السلسلة الصحيحة (٢ / ٩٥)(٥٩٦)وهو عند الترمذي وأبي داود وأحمد وابن حبان.

(٢)كتاب الدعاءص(٥٤) .

أبواب السماء ويقول الرب تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ : **وعزتي لأنصرنك ولو بعد حين)**(١).

وجاء الحديث بألفاظ أخرى مضمونها أن للصائم دعوة مستجابة عند فطره كلها ضعيفة ، والصحيح أن للصائم دعوة مستجابة سائر يومه كما تقدم من حديث أبي هريرة الآنف الذكر ، فينبغي على الصائم أن يغتنم صومه بالإكثار من الدعاء في سائر الأوقات.

٨ـ عند نزول المطر:

يستجاب الدعاء وقت نزول المطر،لما روى أبو داود عن سهل بن سعد ـ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ ـ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: « **ثنتان ما تردان : الدعاء عند النداء وتحت المطر** »(٢).

قال بعض أهل العلم وذلك لأنه وقت نزول الرحمة.

مصداقه ما رواه مسلم عن أَنَسٌ ـ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ ـ قال: أَصَابَنَا وَنَحْنُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ –صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ– مَطَرٌ، قَالَ : فَحَسَرَ رَسُولُ اللَّهِ –صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ– ثَوْبَهُ حَتَّى أَصَابَهُ مِنَ الْمَطَرِ.

قال النووي–رَحِمَهُٱللَّهُ– : «مَعْنَى (حَسَرَ): كَشَفَ ، أَيْ: كَشَفَ بَعْض بَدَنه ، وَمَعْنَى (حَدِيث عَهْد بِرَبِّهِ) أَيْ بِتَكْوِينِ رَبّه إِيَّاهُ ، مَعْنَاهُ أَنَّ الْمَطَر رَحْمَة ، وَهِيَ قَرِيبَة الْعَهْد بِخَلْقِ اللَّه تَعَالَى لَهَا فَيَتَبَرَّك بِهَا . وَفِي هَذَا الْحَدِيث دَلِيل لِقَوْلِ أَصْحَابنَا أَنَّهُ يُسْتَحَبّ عِنْد أَوَّل الْمَطَر أَنْ يَكْشِف غَيْر عَوْرَته لِيَنَالهُ الْمَطَر». اهـ .(٣)

---

(١)ضعيف: رواه أحمد والترمذي والبيهقي عن أبي هريرة ـ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ ـ. قال الشيخ الألباني في الجامع الصغير وزيادته (١ / ٦٣٤) :(ضعيف) انظر حديث رقم : (٢٥٩٢) في ضعيف الجامع.

(٢) (حسن) رواه الحاكم وحسنه الألباني، انظر حديث رقم : (٣٠٧٨) في صحيح الجامع .

(٣) شرح صحيح مسلم (٣/ ٣٠٢).

٩ـ عند التحام الجيشين :

يستجاب دعاء المسلم تحت ظلال السيوف عندما يلتحم الجيشان، لما روى أبو داود عن سهل بن سعد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: « ثنتان لا تردان : الدعاء عند النداء وعند البأس حين يلحم بعضهم بعضا » [٤].

وكان الدعاء مستجابا في هذا الموطن ؛لأن الجهاد في سبيل الله من أعظم الشعائر، ومن أفضل الأعمال ، وفيه نصرة للحق، وإقامة للدين، وكسرلشوكة الكفر والشرك ، وخذيلة للباطل، وفيه مخاطرة بالنفس والمال في سبيل الله، من سفك الدماء، وإزهاق الأرواح، والخوف، والجوع، والعطش، والسهر، ونحو ذلك، فحري أن يستجاب للمجاهـد.

ولهذا روى النسائي عن رجل من أصحاب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : أن رجلا قال يا رسول الله ما بال المؤمنين يفتنون في قبورهم إلا الشهيد قال: « كفى ببارقة السيوف على رأسه فتنة » .[٥]

وسيأتي ذكر بعض فضائل الجهاد في سبيل الله في باب الأعمال المباركة إن شاء الله تعالى.

١٠ـ دعوة المظلوم:

يستجاب للمظلوم دعاؤه ولو كان فاجرا ، ولو كان كافرا، وحسابه على ربه،، فينبغي على المظلوم أن يلجأ إلى القوي سبحانه في هذه الحالة ويغتنم الفرصة بالدعاء على من ظلمه، فإن نواصي العباد بيديه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى .

فقدروى البخاري ومسلم عن معاذ بن جبل ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ أن رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ

(٤)صحيح: صححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب - (١ / ٦٥)(٢٦٦)، وهو عند الحاكم وابن حبان .

(٥)صحيح:صححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب - (٢ / ٦٨)(١٣٨٠)

عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال له: « . وَاتَّقِ دَعْوَةَ الْمَظْلُومِ فَإِنَّهُ لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللهِ حِجَابٌ»

وروى أبو داود عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ أَنَّ النَّبِيَّ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – قَالَ : **«ثَلاَثُ دَعَوَاتٍ مُسْتَجَابَاتٌ لاَ شَكَّ فِيهِنَّ دَعْوَةُ الْوَالِدِ وَدَعْوَةُ الْمُسَافِرِ وَدَعْوَةُ الْمَظْلُومِ »**(١).

وروى الطبراني عن خزيمة بن ثابت ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ قال قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «اتقوا دعوة المظلوم فإنها تحمل على الغمام يقول الله وعزتي وجلالي لأنصرنك ولو بعد حين » .(٢)

وروى أحمد والطيالسي عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: « دعوة المظلوم مستجابة وإن كان فاجرا ففجوره على نفسه»(٣)

وروى أحمدعن أبي عبد الله الأسدي قال سمعت أنس بن مالك ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ يقول قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :**«دعوة المظلوم وإن كان كافرًا ليس دونها حجاب »** .(٤)

وكانت دعوة المظلوم مستجابة لشدة لجوئه إلى الله تعالى وافتقاره إليه، وانقطاعه عما سواه، وأنه ليس له ناصر إلا الله، ولقبح الظلم وسوء عاقبته، ولأن الله وعد المظلوم بنصرته ولو بعد حين .

فلا يستعجل المظلوم على الإجابة فإن الله وعد بالانتصار له ولو بعد حين، فإن بعض الناس من المظلومين يرى الظالم في أمن وعافية فييأس، ويترك الدعاء ، فإن الإجابة قد تؤخر حينًا من الدهر لحكمة بالغة لا يعلمها المظلوم، وربما هو استدراج من الله تعالى للظالم ثم يأخذه أخذ عزيز مقتدر.

ولا يأمن الظالم من مكر الله به ، ولا يأمن من دعوة المظلوم ، فإنها تسري إلى

---

(١)صحيح :صححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب – (٢ / ١٣١)(١٦٤٨) وهو عند أحمد والترمذي .
(٢)حسن:حسنه الألباني في السلسلة الصحيحة (٢ / ٤٤٤)(٨٧٠) .
(٣)حسن: حسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب – (٢ / ٢٦٥)(٢٢٢٩).
(٤)حسن: حسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب – (٢ / ٢٦٥)(٢٢٣١).

السماء كالسهام، فقد روى الحاكم عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «اتَّقُوا دَعْوَةَ الْمَظْلُومِ، فَإِنَّهَا تَصْعَدُ إِلَى اللَّهِ كَأَنَّهَا شَرَارَةٌ»[١].

وما أحسن قول القائل:

لا تظلمن إذا ما كنت مقتدرًا فالظلم آخره يفضي إلى الندمِ

تنام عيناك والمظلوم منتبهٌ يدعو عليك وعين الله لم تنمِ

فهم خاطئ:

بعض العامة يعتقد أن الدعاء على الظالم يقع على الظالم والمظلوم ، وحجتهم في ذلك قول الملك: «ولك مثل ذلك » فإذا ماقيل للمظلوم: لماذا ماتدعو على من ظلمك؟، يقول: «الدعوة نصفان، ولكن حسبي عليه الله»وهذا غير صحيح، فقد تقدم أن دعوة المظلوم مستجابة ولو كان فاجرًا، وأما قول الملك: «ولك مثل»هذا في حق من دعا لأخيه بخير، فإن الملك يقول ولك مثل ذلك .

١١ـ دعوة الوالدين:

دعوة الوالدين لولدهما مستجابة لما روى ابن ماجه عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى الله عَلَيْهِ وسَلَّمَ : «**ثَلاَثُ دَعَوَاتٍ يُسْتَجَابُ لَهُنَّ ، لاَ شَكَّ فِيهِنَّ : دَعْوَةُ الْمَظْلُومِ ، وَدَعْوَةُ الْمُسَافِرِ ، وَدَعْوَةُ الْوَالِدِ لِوَلَدِهِ**» [٢] .

فليغتنم الوَلد هذا المقام العظيم، وليطلب الدعاء من والديه، قبل أن يموتا، فيغلق عليه باب من أبواب الخير، وليحرص على طاعتهما والإحسان إليهما ليظفر بدعائهما والأجور المترتبة على برهما.

وهكذا ليحذر الولد من عقوق الوالدين ، فيخشى على العاق أن تصيبه سهامهما

---

(١)صحيح :صححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب – (٢ / ٢٦٥)(٢٢٢٨) .

(٢)حسن :حسنه الألباني في صحيح وضعيف سنن ابن ماجه – (٨ / ٣٦٢)(٣٨٦٢).

وذلك بالدعاء عليه.

فقد روى الترمذي عن أبي هريرة ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: « ثلاث دعوات مستجابات لا شك فيهن، دعوة المظلوم، ودعوة المسافر، ودعوة الوالد على ولده» [(١)].

وكانت دعوة الوالدين مستجابة؛ لحرصهما على الخير للولد وإخلاصهما في الدعاء له، فإنه من المعلوم عند كل أحد أن الوالدين يقدمان مصلحة الولد على مصلحتهما، ولا يريدان أن يريا فيه سوءًا أو مكروها، فالوالدان نور للولد يوشك أن ينطفئ.

وتكون دعوتهما على الولد مستجابة؛ إذا عقهما ونهرهما، فإنه يصيبهما القهر بسبب مايحصل منه تجاههما، كونه أقرب الناس إليهما، ولهما الحق عليه، وقد ربَّيَاهُ وتعبا وسهرا وجاعا من أجله، ثم يصدرمنه العقوق! حينها ليس لهما حيلة إلا أن يلجآ إلى الله بالدعاء عليه بقلب محترق ومتضرع، يستغيثان الله منه، فيستجيب الله لهما، فتنزل به العقوبات العاجلة قبل الآجلة، وهذا ملاحظ ومشاهد في الواقع لايستطيع أحد إنكاره، فليحذر الأولاد من العقوق، واللبيب من اعتبر بغيره قبل أن يكون هو عبرة لغيره.

نصيحة للوالدين:

وننصح الوالدين بعدم التسرع في الدعاء على الأولاد لأتفه الأسباب، وليدعوا لهم بالهداية والصلاح أولى، فلأن يهديهم الله خير لهما من أن يأخذهم من بين أيديهما، أو يعاقبهم بمصيبة ربما تعم الجميع، فلا ينتفعان منهم، ولايسلمان من شرهم، فإن بعض الآباء والأمهات يدعون على أولادهم، فيصاب الأولاد، فتدرك الوالدين الشفقة والرحمة، فيتحسران ويندمان على ما صدر منهما، ثم يتضرعان إلى الله

(١)حسن: حسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب - (٢ / ١٣٣)(١٦٥٥) وهوعندأحمد.

بالعفو عن الأولاد المدعو عليهم، لكن بعد أن وقع الفأس على الرأس، وربما تضرر الوالدان ، فيرهقهما ذلك الولد المبتلى الذي أصابه ذلك الدعاء.

وقد نهى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن الدعاء على الأولاد، كما روى الإمام مسلم عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ـ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – : « **لاَ تَدْعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ وَلاَ تَدْعُوا عَلَى أَوْلاَدِكُمْ وَلاَ تَدْعُوا عَلَى خَدَمِكُمْ وَلاَ تَدْعُوا عَلَى أَمْوَالِكُمْ لاَ تُوَافِقُوا مِنَ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى سَاعَةَ نَيْلٍ فِيهَا عَطَاءٌ فَيَسْتَجِيبَ لَكُمْ** ».

ومن رحمة الله أنه يعفو عن الكثير، فلو استجاب كثيرًا من الدعوات ، للحق الضرر بكثير من الناس، قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَلَوْ يُعَجِّلُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ ٱلشَّرَّ ٱسْتِعْجَالَهُم بِٱلْخَيْرِ لَقُضِيَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ فَنَذَرُ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا فِي طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١١﴾ ﴾

[يونس : ١١] .

تنبيه:

لاتضر دعوة الوالدين على الولد إذا لم يكن عاقًا أو مقصرًا في حقهما ، أو بسبب أنه عصاهما في معصية الله ، فدَعَوَا عليه ظلمًا فإن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، لا يستجيب دعوة فيها إثم أو قطيعة رحم كما تقدم ، قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴾

[فصلت : ٤٦].

وهكذا كل من دعا على إنسان ظُلمًا ، فإن الله لا يستجيب له ولا يتقبل دعوته ، قَالَ تَعَالَى: ﴿ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ [الأنعام : ٢١] .

١٢ـ دعوة المسلم لأخيه المسلم بظهر الغيب:

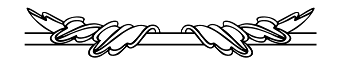
من الدعوات المستجابات، دعوة المسلم لأخيه المسلم وهو غائب ، لما روى الإمام مسلم عَنْ صَفْوَانَ – وَهُوَ ابْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ صَفْوَانَ – وَكَانَتْ تَحْتَهُ الدَّرْدَاءُ ، قَالَ : قَدِمْتُ الشَّامَ فَأَتَيْتُ أَبَا الدَّرْدَاءِ فِي مَنْزِلِهِ فَلَمْ أَجِدْهُ وَوَجَدْتُ أُمَّ الدَّرْدَاءِ قَالَتْ

: أَتُرِيدُ الْحَجَّ الْعَامَ فَقُلْتُ نَعَمْ. قَالَتْ : فَادْعُ اللهَ لَنَا بِخَيْرٍ فَإِنَّ النَّبِيَّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- كَانَ يَقُولُ : « **دَعْوَةُ الْمَرْءِ الْمُسْلِمِ لأَخِيهِ بِظَهْرِ الْغَيْبِ مُسْتَجَابَةٌ، عِنْدَ رَأْسِهِ مَلَكٌ مُوَكَّلٌ كُلَّمَا دَعَا لأَخِيهِ بِخَيْرٍ قَالَ : الْمَلَكُ الْمُوَكَّلُ بِهِ آمِينَ وَلَكَ بِمِثْلٍ** ».

وكانت دعوة المسلم لأخيه المسلم بظهر الغيب مستجابة، لما جاء في الحديث أن الملائكة تؤمن وتدعو للداعي.

ومن ذلك أنه يدل على إخلاص الداعي في الدعاء وحبه الخير لأخيه المسلم، إذ لا يظهر في ذلك محاباة ولا رياء وذلك لغيبة أخيه عنه والله أعلم.

قال النووي -رَحِمَهُ اللهُ- : «أَمَّا قَوْله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (بِظَهْرِ الْغَيْب) فَمَعْنَاهُ: فِي غَيْبَة الْمَدْعُوّ لَهُ ، وَفِي سِرّه ؛ لِأَنَّهُ أَبْلَغ فِي الْإِخْلَاص » اهـ.[1].



(١) شرح مسلم (٩ / ٩٦).

أسباب الإجابة

بعد أن ذكرنا أهم أوقات الإجابة، أحببنا أن نذكر الآن ما تيسر من أسباب الاستجابة، وسنذكرها تعدادا ثم ندلل عليها، فمنها:

١ـ الإخلاص.

٢ـ رفع الكفين عند الدعاء.

٣ـ دعاء الشعث التفل رث الهيئة.

٤ـ التوسل إلى الله بالربوبية.

٥ـ السفر.

٦ـ استقبال القبلة.

٧ـ دعاء المضطر.

٨ـ انكسار القلب وافتقاره.

٩ـ الإكثار من الدعاء في الرخاء من أسباب الاستجابة في الشدة.

١٠ـ المداومة على النوافل والإكثار منها.

١١ـ الدعاء بعد (لا إله إلا الله).

١٢ـ العزم والإلحاح في الدعاء.

١٣ـ حسن الظن بالله عند الدعاء.

١٤ـ اليقين عند الدعاء.

١٥ـ حضور القلب عند الدعاء.

١٦ـ الدعاء باسم الله الأعظم.

١٧ـ التوسل بأسماء الله الحسنى والصفات العليا.

١٨ـ التوسل إلى الله بالأعمال الصالحة.

١٩ـ تسبيح الله وتحميده وتكبيره وتمجيده والصلاة على نبيه عند الدعاء.

٢٠ـ بر الوالدين.

٢١ـ الدعاء يوم عرفة.

٢٢ـ خفض الصوت في الدعاء

٢٣ـ دعاء المريض والمكروب.

دليل الإخلاص:

الدليل على أن الإخلاص من أسباب الاستجابـة ، قوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلۡحَيُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدۡعُوهُ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَۗ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٦٥ ﴾

[غافر : ٦٥].

قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسيره: « ﴿ فَٱدۡعُوهُ ﴾ وهذا شامل لدعاء العبادة، ودعاء المسألة ﴿ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ﴾ أي: اقصدوا بكل عبادة ودعاء وعمل، وجه الله تعالى، فإن الإخلاص، هو المأمور به ، كما قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ ﴾ [البينة : ٥] ». اهـ .

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَإِذَا رَكِبُواْ فِي ٱلۡفُلۡكِ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمۡ إِلَى ٱلۡبَرِّ إِذَا هُمۡ يُشۡرِكُونَ ٦٥ ﴾ [العنكبوت : ٦٥] .

الشاهد أن الله تعالى لما علم إخلاصهم استجاب دعاءهم فأنجاهم وهم كفار، ولايقبل الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ من الأعمال ولايستجيب من الدعاء إلا ماتحقق فيه شرط الإخلاص.

دليل رفع الكفين عند الدعاء:

الدليل على أن رفع اليدين عند الدعاء من أسباب الإجابة ، ما رواه الترمذي عَنْ سَلْمَانَ الفارسي ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ قَالَ : قَالَ : رَسُولُ اللَّه –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– :« **إِنَّ رَبَّكُمْ تَبَارَكَ وَتَعَالَى حَيِيٌّ كَرِيمٌ يَسْتَحْيِي مِنْ عَبْدِهِ إِذَا رَفَعَ يَدَيْهِ إِلَيْهِ أَنْ يَرُدَّهُمَا صِفْرًاخائبتين** »[1].

وحديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الآتي: وفيه : «يمد يديه إلى السماء » الحديث .

دليل دعاء الشعث التفل رث الهيئة ، والتوسل إلى الله بالربوبية، وطول السفر وإطابة المطعم :

الدليل على أن دعاء الشعث التفل رث الهيئة مستجاب الدعوة، وكذلك التوسل إلى الله بربوبيته بأن يقول الداعي:يارب ، وكذلك طول السفر، وكذلك طيب المطعم من أسباب الإجابة ، ما رواه مسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ الله– صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– : « **أَيُّهَا النَّاسُ ؛ إِنَّ اللَّهَ طَيِّبٌ لاَ يَقْبَلُ إِلاَّ طَيِّبًا،وَإِنَّ اللهَ أَمَرَ الْمُؤْمِنِينَ بِمَا أَمَرَ بِهِ الْمُرْسَلِينَ فَقَالَ** : ﴿ **يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعْمَلُواْ صَٰلِحًاۖ إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٞ ٥١** ﴾[المؤمنون : ٥] ، وَقَالَ : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ ﴾[البقرة : ١٧٢] . **ثُمَّ ذَكَرَ الرَّجُلَ يُطِيلُ السَّفَرَ أَشْعَثَ أَغْبَرَ يَمُدُّ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ يَا رَبِّ يَا رَبِّ وَمَطْعَمُهُ حَرَامٌ وَمَشْرَبُهُ حَرَامٌ وَمَلْبَسُهُ حَرَامٌ وَغُذِىَ بِالْحَرَامِ فَأَنَّى يُسْتَجَابُ لِذَلِكَ** ».

---

(١)صحيح:صححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب - (٢ / ١٢٨)(١٦٣٥) وهو عند أبي داود وابن ماجه وأحمد والبيهقي والحاكم.

وروى مسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَنَّ رَسُولَ اللهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ : «**رُبَّ أَشْعَثَ مَدْفُوعٍ بِالأَبْوَابِ لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللهِ لأَبَرَّهُ**».

وروى أبو داود عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَنَّ النَّبِيَّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ : « **ثَلاَثُ دَعَوَاتٍ مُسْتَجَابَاتٌ لاَ شَكَّ فِيهِنَّ دَعْوَةُ الْوَالِدِ وَدَعْوَةُ الْمُسَافِرِ وَدَعْوَةُ الْمَظْلُومِ** »[1].

في الحديث الأول دليل على طول السفر، وفي الحديث الثاني دليل على السفر مطلقًا، وكلاهما مستجاب الدعوة، وإن كان طول السفر أرجى، فإنه كلما حصل الإرهاق والتعب أكثر كانت الإجابة أقرب بإذن الله.

دليل استقبال القبلة:

الدليل على أن استقبال القبلة من أسباب الاستجابة، أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان يستقبل القبلة عند الدعاء، كما في حديث الاستسقاء من حديث عَبَّادِ بْنِ تَمِيمٍ عَنْ عَمِّهِ قَالَ : رَأَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ خَرَجَ يَسْتَسْقِي، قَالَ : « **فَحَوَّلَ إِلَى النَّاسِ ظَهْرَهُ، وَاسْتَقْبَلَ الْقِبْلَةَ يَدْعُو، ثُمَّ حَوَّلَ رِدَاءَهُ، ثُمَّ صَلَّى لَنَا رَكْعَتَيْنِ جَهَرَ فِيهِمَا بِالْقِرَاءَةِ**» . رواه البخاري وغيره.

دليل دعاء المضطر:

الدليل على أن من أسباب الإجابة الاضطرار، وذلك لافتقار القلب إلى الله، وانقطاعه عما سواه، قوله تعالى:﴿ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَـٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾ ﴾[النمل : ٦٢] .

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ في تفسيره: «أي: مَنْ هو الذي لا يلجأ المضطر إلا إليه، والذي لا يكشف ضر المضرورين سواه» اهـ . .

---

(١)صحيح :صححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب - (٢ / ١٣١) (١٦٤٨) وهو عند أحمد والترمذي .

دليل انكسار القلب وافتقاره إلى اللّه تعالى:

الأدلة على أن دعاء الضعيف منكسر القلب المفتقر إلى الله من أسباب الإجابة قوله تعالى: ﴿ ٱدۡعُواْ رَبَّكُمۡ تَضَرُّعٗا وَخُفۡيَةًۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ ٥٥ ﴾

[الأعراف : ٥٥].

وقوله تعالى: ﴿ إِنَّهُمۡ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَيَدۡعُونَنَا رَغَبٗا وَرَهَبٗاۖ وَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَ ٩٠ ﴾[الأنبياء : ٩٠].

وحديث حَارِثَةَ بْنِ وَهْبِ الْخُزَاعِيِّ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ قَالَ : سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: « **أَلاَ أُخْبِرُكُمْ بِأَهْلِ الْجَنَّةِ كُلُّ ضَعِيفٍ مُتَضَعِّفٍ لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللهِ لأَبَرَّهُ أَلاَ أُخْبِرُكُمْ بِأَهْلِ النَّارِ كُلُّ عُتُلٍّ جَوَّاظٍ مُسْتَكْبِرٍ** ».متفق عليه واللفظ للبخاري.

الشاهد :قوله: «**لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللهِ لأَبَرَّهُ**» .

قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ وقوله: «**لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللهِ لأَبَرَّهُ**» قيل لو دعا لأجابه.

وقال في موضع آخر : «**لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللهِ لأَبَرَّهُ**»، أي: لو حلف يمينا على شيء أن يقع طمعا في كرم الله بإبراره لأبره وأوقعه لأجله، وقيل : هو كناية عن إجابة دعائه » اهـ .[1].

ويدخل تحت هذا أدلة كثيرة كدعوة المظلوم، ودعوة الوالدين، ودعوة الملهوف، ودعوة الغريق، ودعوة اليتيم، والمسكين وغيرذلك ، فإن الكل منكسر القلب بين يدي الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ضعيف مفتقر إلى الله.

الإكثار من الدعاء في الرخاء من أسباب الاستجابة في الشدة:

الدليل على أن الإكثار من الدعاء في الرخاء من أسباب الاستجابة في الشدة ،

---

(١)فتح الباري (١ / ١٧٣).

ما روى الترمذي عن أبي هريرة ـ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ ـ قال : قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : «**من سره أن يستجيب الله له عند الشدائد والكرب ؛ فليكثر الدعاء في الرخاء**» [١].

وروى الطبراني عن ابن عباس ـ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا ـ قال : قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**تعرف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة**»[٢] .

وهذا الحديث عام ، ويدخل تحته التعرف إلى الله بالدعاء.

المداومة على النوافل والإكثار منها:

الدليل على أن المداومة على النوافل والإكثار منها من أسباب استجابة الدعاء، ما رواه البخاري عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ـ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ ـ قَالَ : قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : «**إِنَّ اللَّهَ قَالَ : مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطُشُ بِهَا وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا وَإِنْ سَأَلَنِي لأُعْطِيَنَّهُ وَلَئِنِ اسْتَعَاذَنِي لأُعِيذَنَّهُ وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدُّدِي عَنْ نَفْسِ الْمُؤْمِنِ يَكْرَهُ الْمَوْتَ وَأَنَا أَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ**».

الشاهد قوله:(**وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ...**)إلى قوله:(**وَإِنْ سَأَلَنِي لأُعْطِيَنَّهُ وَلَئِنِ اسْتَعَاذَنِي لأُعِيذَنَّهُ**) .

قال ابن بطال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ورأيت لبعض الناس أن معنى قوله تعالى: (فأكون عينيه اللتين يبصر بهما وأذنيه ويديه ورجليه) قال: وجه ذلك أنه لا يحرك جارحة من جوارحه إلا فى الله ولله، فجوارحه كلها تعمل بالحق، فمن كان كذلك لم تُردّ له دعوة. ا هـ .[٣].

---

(١)حسن:حسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب – (٢ / ١٢٧)(١٦٢٨) وهو عند الحاكم.
(٢)صحيح :صححه الألباني انظر حديث رقم : (٢٩٦١) في صحيح الجامع . وهوالحاكم.
(٣)شرح صحيح البخارى ـ لابن بطال – (١٠ / ٢١٢).

ـ الدعاء بعد (لا إله إلا الله):

الأدلة على أن الدعاء بعد (لا إله إلا الله) بإخلاص من أسباب الإجابة كثيرة منها:

ما روى الترمذي عن سعد ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: « دعوة ذي النون إذ دعا وهو في بطن الحوت لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين، فإنه لم يدع بها رجل مسلم في شيء قط إلا استجاب الله له»[1].

وروى النسائي عن سعد ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ قَالَ: كُنَّا جُلُوسًا عِنْدَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقَالَ: «أَلاَ أُخْبِرُكُمْ، أَوْ أُحَدِّثُكُمْ، بِشَيْءٍ إِذَا نَزَلَ بِرَجُلٍ مِنْكُمْ كَرْبٌ أَوْ بَلاَءٌ مِنَ بَلاَءِ الدُّنْيَا دَعَا بِه فُرِّجَ عَنْهُ؟» فَقِيلَ لَهُ: بَلَى، قَالَ: «دُعَاءُ ذِي النُّونِ: لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ»[2].

وروى البخاري عن عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**مَنْ تَعَارَّ مِنَ اللَّيْلِ فَقَالَ: لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ الْحَمْدُ للهِ وَسُبْحَانَ اللهِ، وَلاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَاللهُ أَكْبَرُ، وَلاَ حَوْلَ، وَلاَ قُوَّةَ إِلاَّ بِاللهِ ثُمَّ قَالَ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي، أَوْ دَعَا اسْتُجِيبَ لَهُ فَإِنْ تَوَضَّأَ وَصَلَّى قُبِلَتْ صَلاَتُهُ**».

ومعنى تعار: انتبه واستيقظ من نومه.

وفي القاموس المحيط: سهر وتقلب في الليل مع كلام.

دليل العزم والإلحاح في الدعاء:

روى البخاري عَنْ أَنَسٍ، رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِذَا**

---

(١) صحيح: صحححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب - (٢ / ١٣٠)(١٦٤٤) وهو عند أحمد والنسائي والحاكم.

(٢) صحيح: صححه الألباني في السلسلة الصحيحة - (٤ / ٢٤٣)(١٧٤٤). وأخرجه الحاكم من طريق ابن أبي الدنيا.

دَعَا أَحَدُكُمْ فَلْيَعْزِمِ الْمَسْأَلَةَ ، وَلاَ يَقُولَنَّ اللَّهُمَّ إِنْ شِئْتَ فَأَعْطِنِي فَإِنَّهُ لاَ مُسْتَكْرِهَ لَهُ».

وروى البخاري عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، أَنَّ رَسُولَ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: **«لاَ يَقُولَنَّ أَحَدُكُمُ اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي اللَّهُمَّ ارْحَمْنِي إِنْ شِئْتَ ، لِيَعْزِمِ الْمَسْأَلَةَ فَإِنَّهُ لاَ مُكْرِهَ لَهُ»**.

وعند مسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ : **«إِذَا دَعَا أَحَدُكُمْ فَلاَ يَقُلِ اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي إِنْ شِئْتَ وَلَكِنْ لِيَعْزِمِ الْمَسْأَلَةَ وَلْيُعَظِّمِ الرَّغْبَةَ فَإِنَّ اللهَ لاَ يَتَعَاظَمُهُ شَيْءٌ أَعْطَاه »**.

قال المباركفوري رَحِمَهُ اللَّهُ : «قَوْلُهُ : (لِيَعْزِمْ الْمَسْأَلَةَ):الْمُرَادُ بِالْمَسْأَلَةِ الدُّعَاءُ قَالَ : الْعُلَمَاءُ : عَزْمُ الْمَسْأَلَةِ الشِّدَّةُ فِي طَلَبِهَا وَالْحَزْمُ بِهِ مِنْ غَيْرِ ضَعْفٍ فِي الطَّلَبِ وَلَا تَعْلِيقٍ عَلَى مَشِيئَةٍ وَنَحْوِهَا : وَقِيلَ هُوَ حُسْنُ الظَّنِّ بِاَللَّهِ تَعَالَى فِي الْإِجَابَةِ . وَمَعْنَى الْحَدِيثِ اِسْتِحْبَابُ الْجَزْمِ فِي الطَّلَبِ وَكَرَاهَةُ التَّعْلِيقِ عَلَى الْمَشِيئَةِ .

قَالَ الْعُلَمَاءُ : سَبَبُ كَرَاهَتِهِ أَنَّهُ لَا يَتَحَقَّقُ اسْتِعْمَالُ الْمَشِيئَةِ إِلَّا فِي حَقِّ مَنْ يَتَوَجَّهُ عَلَيْهِ الْإِكْرَاهُ وَاَللَّهُ تَعَالَى مُنَزَّهٌ عَنْ ذَلِكَ، وَهُوَ مَعْنَى قَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي آخِرِ الْحَدِيثِ : «فَإِنَّهُ لَا مُسْتَكْرِهَ لَهُ» . وَقِيلَ سَبَبُ الْكَرَاهَةِ أَنَّ فِي هَذَا اللَّفْظِ صُورَةَ الِاسْتِغْنَاءِ عَنْ الْمَطْلُوبِ وَالْمَطْلُوبِ مِنْهُ قَالَهُ النَّوَوِيُّ» اهـ . [١]

دليل حسن الظن بالله عند الدعاء:

حديث أَبِي هُرَيْرَةَ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– « إِنَّ اللَّهَ يَقُولُ أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي وَأَنَا مَعَهُ إِذَا دَعَانِي ».متفق عليه واللفظ لمسلم.

---

(١)تحفة الأحوذي – (٨/ ٣٩٦) .

ـ دليل اليقين عند الدعاء:

روى الترمذي عن أبي هريرة ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «**ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة واعلموا أن الله لا يستجيب دعاء من قلب غافل لاهٍ**»(١).

ـ دليل حضور القلب عند الدعاء:

روى الإمام أحمد عن عبد الله بن عمرو ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**القلوب أوعية وبعضها أوعى من بعض فإذا سألتم الله عَزَّ وَجَلَّ يا أيها الناس فاسألوه وأنتم موقنون بالإجابة فإن الله لا يستجيب لعبد دعاه عن ظهر قلب غافل**»(٢).

الدعاء باسم الله الأعظم:

روى أبوداود عن بُرَيْدَةَ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ سَمِعَ رَجُلاً يَقُولُ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ أَنِّي أَشْهَدُ أَنَّكَ أَنْتَ اللهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ؛ الأَحَدُ الصَّمَدُ الَّذِى لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ. فَقَالَ: «**لَقَدْ سَأَلْتَ اللَّهَ بِالاِسْمِ الَّذِى إِذَا سُئِلَ بِهِ أَعْطَى وَإِذَا دُعِيَ بِهِ أَجَابَ**» (٣).

وروى أبوداود عَنْ أَنَس بْنِ مَالِك ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ قَالَ: سَمِعَ النَّبِيُّ صَلَّى الله عَلَيْهِ وسَلَّمَ رَجُلاً يَقُولُ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِأَنَّ لَكَ الْحَمْدَ، لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ، وَحْدَكَ لاَ شَرِيكَ لَكَ، الْمَنَّانُ، بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْض، ذُو الْجَلاَلِ وَالإِكْرَام، فَقَالَ: «**لَقَدْ سَأَلَ اللَّهَ بِاسْمِهِ الأَعْظَمِ، الَّذِي إِذَا سُئِلَ بِهِ أَعْطَى، وَإِذَا دُعِيَ بِهِ أَجَابَ**»(٤).

---

(١) حسن: حسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب - (٢ / ١٣٣)(١٦٥٣) وهو عند الحاكم.
(٢) حسن: حسنه الألباني في السلسلة الصحيحة - (٢ / ٩٣)(٥٩٤) وهو عند الترمذي.
(٣) صحيح: صححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب - (٢ / ١٣٠)(١٦٤٠) والوادعي في الصحيح المسند(١/ ١٣١)(١٥٢) ورواه الترمذي وابن ماجه وابن حبان.
(٤) حسن: حسنه الألباني في السلسلة الصحيحة (٢٧ / ٢٣)(٣٤١١) وحسنه الوادعي في الصحيح المسند(١/ ٩١)(١٠١) ورواه أحمد والنسائي وابن ماجه.

وأرجح الأقوال أن الاسم الأعظم هو: (**الله**) فقد ذهب كثير من أهل العلم إلى أن هذا الاسم هو الاسم الأعظم الذي إذا دُعي الله به أجاب) .

قال التستري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: « الله : هو الاسم الأعظم الذي حوى الأسماء كلها» وممن قال بهذا ابن خزيمة والطحاوي والإمام الألباني والعلامة الحجوري وغيرهم رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ .

دليل التوسل بأسماء الله الحسنى والصفات العليا:

قوله تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ﴾ [الأعراف : ١٨٠].

ودليل التوسل بصفات الله قوله تعالى: ﴿ وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٨٦﴾ ﴾

[يونس : ٨٦].

وروى النسائي عن السائب قال : صلى بنا عمار بن ياسر صلاة فأوجز فيها فقال له بعض القوم لقد خففت أو أوجزت الصلاة، فقال أما على ذلك فقد دعوت فيها بدعوات سمعتهن من رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فلما قام تبعه رجل من القوم هو أُبي غير أنه كنى عن نفسه فسأله عن الدعاء ثم جاء فأخبر به القوم: «اللهم بعلمك الغيب ، وقدرتك على الخلق، أحيني ما علمت الحياة خيرًا لي ،وتوفني إذا علمت الوفاة خيرًا لي ، اللهم وأسألك خشيتك في الغيب والشهادة، وأسألك كلمة الحق في الرضا والغضب، وأسألك القصد في الفقر والغنى، وأسألك نعيما لا ينفد ، وأسألك قرة عين لا تنقطع، وأسألك الرضا بعد القضاء، وأسألك برد العيش بعد الموت، وأسألك لذة النظر إلى وجهك، والشوق إلى لقائك ؛ في غير ضراء مضرة ، ولا فتنة مضلة ،اللهم زينا بزينة الإيمان، واجعلنا هداة مهتدين» [١].

الشاهد أنه توسل بعلم الله وقدرته في قوله : « بعلمك الغيب ، وقدرتك على الخلق» .

---

(١)صحيح: رواه الحاكم وصححه الألباني في صحيح وضعيف سنن النسائي – (٣ / ٤٤٩) (١٣٠٥).

ـ دليل التوسل إلى الله بالأعمال الصالحة:

قَالَ تَعَالَى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ إِنَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٦﴾ ﴾[آل عمران: ١٦].

توسلوا إلى الله بإيمانهم أن يغفر لهم وينجيهم من النار، والإيمان عمل صالح.

وعن عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا ـ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: انْطَلَقَ ثَلاَثَةُ رَهْطٍ مِمَّنْ كَانَ قَبْلَكُمْ حَتَّى أَوَوُا الْمَبِيتَ إِلَى غَارٍ فَدَخَلُوهُ فَانْحَدَرَتْ صَخْرَةٌ مِنَ الْجَبَلِ فَسَدَّتْ عَلَيْهِمُ الْغَارَ فَقَالُوا إِنَّهُ لاَ يُنْجِيكُمْ مِنْ هَذِهِ الصَّخْرَةِ إِلاَّ أَنْ تَدْعُوا اللهَ بِصَالِحِ أَعْمَالِكُمْ، فَقَالَ: رَجُلٌ مِنْهُمُ اللَّهُمَّ كَانَ لِي أَبَوَانِ شَيْخَانِ كَبِيرَانِ وَكُنْتُ لاَ أَغْبِقُ قَبْلَهُمَا أَهْلاً وَلاَ مَالاً، فَنَأَى بِي فِي طَلَبِ شَيْءٍ يَوْمًا، فَلَمْ أُرِحْ عَلَيْهِمَا حَتَّى نَامَا فَحَلَبْتُ لَهُمَا غَبُوقَهُمَا فَوَجَدْتُهُمَا نَائِمَيْنِ وَكَرِهْتُ أَنْ أَغْبِقَ قَبْلَهُمَا أَهْلاً، أَوْ مَالاً فَلَبِثْتُ وَالْقَدَحُ عَلَى يَدَيَّ أَنْتَظِرُ اسْتِيقَاظَهُمَا حَتَّى بَرَقَ الْفَجْرُ فَاسْتَيْقَظَا فَشَرِبَا غَبُوقَهُمَا اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتُ فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ فَفَرِّجْ عَنَّا مَا نَحْنُ فِيهِ مِنْ هَذِهِ الصَّخْرَةِ، فَانْفَرَجَتْ شَيْئًا لاَ يَسْتَطِيعُونَ الْخُرُوجَ، قَالَ: النَّبِيُّ ﷺ، وَقَالَ الآخَرُ: اللَّهُمَّ كَانَتْ لِي بِنْتُ عَمٍّ كَانَتْ أَحَبَّ النَّاسِ إِلَيَّ فَأَرَدْتُهَا عَنْ نَفْسِهَا فَامْتَنَعَتْ مِنِّي حَتَّى أَلَمَّتْ بِهَا سَنَةٌ مِنَ السِّنِينَ فَجَاءَتْنِي فَأَعْطَيْتُهَا عِشْرِينَ وَمِئَةَ دِينَارٍ عَلَى أَنْ تُخَلِّيَ بَيْنِي وَبَيْنَ نَفْسِهَا فَفَعَلَتْ حَتَّى إِذَا قَدَرْتُ عَلَيْهَا قَالَتْ: لاَ أُحِلُّ لَكَ أَنْ تَفُضَّ الْخَاتَمَ إِلاَّ بِحَقِّهِ فَتَحَرَّجْتُ مِنَ الْوُقُوعِ عَلَيْهَا فَانْصَرَفْتُ عَنْهَا وَهْيَ أَحَبُّ النَّاسِ إِلَيَّ وَتَرَكْتُ الذَّهَبَ الَّذِي أَعْطَيْتُهَا، اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتُ فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ فَافْرُجْ عَنَّا مَا نَحْنُ فِيهِ فَانْفَرَجَتِ الصَّخْرَةُ غَيْرَ أَنَّهُمْ لاَ يَسْتَطِيعُونَ الْخُرُوجَ مِنْهَا، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: وَقَالَ: الثَّالِثُ اللَّهُمَّ إِنِّي اسْتَأْجَرْتُ أُجَرَاءَ فَأَعْطَيْتُهُمْ أَجْرَهُمْ غَيْرَ رَجُلٍ وَاحِدٍ تَرَكَ الَّذِي لَهُ وَذَهَبَ فَثَمَّرْتُ أَجْرَهُ حَتَّى كَثُرَتْ مِنْهُ الأَمْوَالُ فَجَاءَنِي بَعْدَ

حِين فَقَالَ : يَا عَبْدَ الله أَدِّ إِلَيَّ أَجْرِي فَقُلْتُ لَهُ كُلُّ مَا تَرَى مِنْ أَجْرِكَ مِنَ الإِبِلِ وَالْبَقَرِ وَالْغَنَم وَالرَّقِيق فَقَالَ : يَا عَبْدَ الله لاَ تَسْتَهْزِئْ بِي فَقُلْتُ : إِنِّي لاَ أَسْتَهْزِئُ بِكَ فَأَخَذَهُ كُلَّهُ فَاسْتَاقَهُ فَلَمْ يَتْرُكْ مِنْهُ شَيْئًا اللَّهُمَّ فَإِنْ كُنْتُ فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ فَافْرُجْ عَنَّا مَا نَحْنُ فِيهِ فَانْفَرَجَتِ الصَّخْرَةُ فَخَرَجُوا يَمْشُونَ». متفق عليه واللفظ للبخاري.

ومعنى ، نأى: أي بَعُد، ومعنى: أغبق : أسقى اللبن، والغبوق شرب آخر النهار مقابل الصبوح.

دليل تسبيح الله وتحميده وتكبيره وتمجيده والصلاة على نبيه عند الدعاء:

روى أبو داود عن فَضَالَةَ بْن عُبَيْد ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ أن رَسُولَ اللَّه - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - سمع رَجُلاً يَدْعُو فِي صَلاَتِهِ لَمْ يُمَجِّدِ اللَّهَ تَعَالَى وَلَمْ يُصَلِّ عَلَى النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَقَالَ رَسُولُ اللَّه - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : « عَجِلَ هَذَا ». ثُمَّ دَعَاه فَقَالَ لَهُ أَوْ لِغَيْرِه « إِذَا صَلَّى أَحَدُكُمْ فَلْيَبْدَأْ بِتَحْمِيدِ رَبِّهِ جَلَّ وَعَزَّ وَالثَّنَاءِ عَلَيْهِ ثُمَّ يُصَلِّي عَلَى النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - ثُمَّ يَدْعُو بَعْدُ بِمَا شَاءَ »[1].

والذي يظهر من لفظ الحديث أن ذلك يكون في دبر الصلاة بعد التشهد وقبل التسليم، ولا مانع من حمل الحديث على عمومه ، وهو قبل أن يدعو العبد يبدأ بتمجيد الله والثناء عليه ويصلي على نبيه ، ثم يدعو بما شاء، كما في حديث الرجل الذي سمعه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يدعوالله ويثني عليه ويمجده كما عند أبي داود عَنْ أَنَس بْن مَالِك ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ قَالَ : سَمِعَ النَّبِيُّ صَلَّى الله عَلَيْهِ وسَلَّمَ رَجُلاً يَقُولُ : اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِأَنَّ لَكَ الْحَمْدَ ، لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ ، وَحْدَكَ لاَ شَرِيكَ لَكَ ، الْمَنَّانُ ، بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ ، ذُو الْجَلاَلِ وَالإِكْرَامِ ، فَقَالَ : «لَقَدْ سَأَلَ اللَّهَ بِاسْمِهِ الأَعْظَمِ ،

(١)صحيح: صححه الألباني في صحيح أبي داود - (٥ / ٢٢١)(١٣٣١) والوادعي في الصحيح المسند(٢/ ١٢٤)(١٠٦٤) وهو عند الترمذي وأحمد.

الَّذِي إِذَا سُئِلَ بِهِ أَعْطَى ، وَإِذَا دُعِيَ بِهِ أَجَابَ»[١].

الشاهد أن الرجل مجد الله وأثنى عليه ، ووافق الاسم الأعظم.

ولذلك يشرع في صلاة الجنازة تحميد الله وتمجيده قبل الدعاء للميت ، وذلك عند قراءة الفاتحة بعد التكبيرة الأولى وفيها تحميد وتمجيد لله تعالى، وبعد التكبيرة الثانية الصلاة على النبي صَلَّىٰللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ ، ثم الدعاء للميت بعد التكبيرة الثالثة.

وروى الإمام أحمد والنسائي عن أنس بن مالك ـ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ ـ قال جاءت أم سليم إلى النبي صَلَّىٰللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ فقالت : يا رسول الله علمني كلمات أدعو بهن قال: « تسبحين الله عز وجل عشرًا وتحمدينه عشرًا وتكبرينه عشرًا ثم سلي حاجتك فإنه يقول قد فعلت قد فعلت»[٢].

دليل بر الوالدين :

بر الوالدين من الأعمال الصالحة التي يستجيب الله بسببه الدعاء، ويشرع التوسل إلى الله ببر الوالدين، كما تقدم من توسل الثلاثة النفرإلى ربهم بأعمالهم الصالحة ومنهم رجل بار بوالديه .

وروى الإمام مسلم عَنْ أُسَيْرِ بْنِ جَابِرٍ قَالَ : كَانَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ إِذَا أَتَى عَلَيْهِ أَمْدَادُ أَهْلِ الْيَمَنِ سَأَلَهُمْ أَفِيكُمْ أُوَيْسُ بْنُ عَامِرٍ حَتَّى أَتَى عَلَى أُوَيْسٍ فَقَالَ : أَنْتَ أُوَيْسُ بْنُ عَامِرٍ قَالَ : نَعَمْ . قَالَ : مِنْ مُرَادٍ ثُمَّ مِنْ قَرَنٍ قَالَ : نَعَمْ.

قَالَ : فَكَانَ بِكَ بَرَصٌ فَبَرَأْتَ مِنْهُ إِلاَّ مَوْضِعَ دِرْهَمٍ قَالَ : نَعَمْ. قَالَ : لَكَ وَالِدَةٌ قَالَ : نَعَمْ. قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ –صَلَّىٰللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ– يَقُولُ : « يَأْتِي عَلَيْكُمْ أُوَيْسُ بْنُ عَامِرٍ مَعَ أَمْدَادِ أَهْلِ الْيَمَنِ مِنْ مُرَادٍ ثُمَّ مِنْ قَرَنٍ كَانَ بِهِ بَرَصٌ فَبَرَأَ مِنْهُ إِلاَّ

(١)حسن:حسنه الألباني في السلسلة الصحيحة (٢٧ / ٢٣)(٣٤١١) وحسنه الوادعي في الصحيح المسند(١/ ٩١)(١٠١) ورواه أحمد والنسائي وابن ماجه

(٢)حسن: حسنه الإمام الوادعي في الصحيح المسند مما ليس في الصحيحين (١/ ٦٠)(٤٧).

مَوْضِعَ دِرْهَم لَهُ وَالِدَةٌ هُوَ بِهَا بَرٌّ لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللهِ لأَبَرَّهُ فَإِن اسْتَطَعْتَ أَنْ يَسْتَغْفِرَ لَكَ فَافْعَلْ». فَاسْتَغْفِرْ لِي. فَاسْتَغْفَرَ لَهُ. فَقَالَ: لَهُ عُمَرُ أَيْنَ تُرِيدُ قَالَ: الْكُوفَةَ. قَالَ: أَلاَ أَكْتُبُ لَكَ إِلَى عَامِلِهَا قَالَ: أَكُونُ فِي غَبْرَاءِ النَّاسِ أَحَبُّ إِلَيَّ. قَالَ: فَلَمَّا كَانَ مِنَ الْعَامِ الْمُقْبِلِ حَجَّ رَجُلٌ مِنْ أَشْرَافِهِمْ فَوَافَقَ عُمَرَ فَسَأَلَهُ عَنْ أُوَيْسٍ قَالَ: تَرَكْتُهُ رَثَّ الْبَيْتِ قَلِيلَ الْمَتَاعِ. قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يَقُولُ: «يَأْتِي عَلَيْكُمْ أُوَيْسُ بْنُ عَامِرٍ مَعَ أَمْدَادِ أَهْلِ الْيَمَنِ مِنْ مُرَادٍ ثُمَّ مِنْ قَرَنٍ كَانَ بِهِ بَرَصٌ فَبَرَأَ مِنْهُ إِلاَّ مَوْضِعَ دِرْهَمٍ لَهُ وَالِدَةٌ هُوَ بِهَا بَرٌّ لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللهِ لأَبَرَّهُ فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ يَسْتَغْفِرَ لَكَ فَافْعَلْ». فَأَتَى أُوَيْسًا فَقَالَ: اسْتَغْفِرْ لِي. قَالَ: أَنْتَ أَحْدَثُ عَهْدًا بِسَفَرٍ صَالِحٍ فَاسْتَغْفِرْ لِي. قَالَ: اسْتَغْفِرْ لِي. قَالَ: أَنْتَ أَحْدَثُ عَهْدًا بِسَفَرٍ صَالِحٍ فَاسْتَغْفِرْ لِي. قَالَ: لَقِيتَ عُمَرَ قَالَ: نَعَمْ. فَاسْتَغْفَرَ لَهُ. فَفَطِنَ لَهُ النَّاسُ فَانْطَلَقَ عَلَى وَجْهِهِ. قَالَ: أُسَيْرٌ وَكَسَوْتُهُ بُرْدَةً فَكَانَ كُلَّمَا رَآهُ إِنْسَانٌ قَالَ: مِنْ أَيْنَ لأُوَيْسٍ هَذِهِ الْبُرْدَةُ».

دليل الدعاء يوم عرفة.

روى الترمذي عَنْ عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: **«خَيْرُ الدُّعَاءِ دُعَاءُ يَوْمِ عَرَفَةَ، وَخَيْرُ مَا قُلْتُ أَنَا وَالنَّبِيُّونَ مِنْ قَبْلِي: لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ»**[١].

وهو عام لمن كان في عرفات أو خارج عرفات لفضل هذا اليوم.

ودليل خفض الصوت عند الدعاء:

قوله تعالى: ﴿ ٱدْعُواْ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٥٥﴾ ﴾

[الأعراف: ٥٥].

---

(١) حسن: صحيح الترغيب والترهيب - (٢ / ١٠٦)(١٥٣٦)

قال المفسر ابن كثير ـ رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ :«قيل معناه: تذللا واستكانة، و﴿ وَخُفْيَةً ﴾ كما قال: ﴿ وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ ٱلْجَهْرِ مِنَ ٱلْقَوْلِ بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْأَصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ﴿٢٠٥﴾ ﴾ [الأعراف:٢٠٥] .

وقال المفسر البغوي ـ رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ: أي: تذللا واستكانة ﴿ وَخُفْيَةً ﴾ أي: سرًا قال الحسن: بين دعوة السر والعلن سبعون ضعفًا ولقد كان المسلمون يجتهدون في الدعاء وما يسمع لهم صوت وإن كان إلا همسا بينهم وبين ربهم. ا هـ .

وعَنْ أَبِي مُوسَى الأَشْعَرِيِّ ، رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ، قَالَ : كُنَّا مَعَ رَسُول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَكُنَّا إِذَا أَشْرَفْنَا عَلَى وَاد هَلَّلْنَا وَكَبَّرْنَا ارْتَفَعَتْ أَصْوَاتُنَا فَقَالَ : النَّبِيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: « يَا أَيُّهَا النَّاسُ ارْبَعُوا عَلَى أَنْفُسكُمْ فإِنَّكُمْ لاَ تَدْعُونَ أَصَمَّ ، وَلاَ غَائبًا إِنَّهُ مَعَكُمْ إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ تَبَارَكَ اسْمُهُ وَتَعَالَى جَدُّهُ».متفق عليه.

قال النووي ـ رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ: « مَعْنَاهُ :ارْفُقُوا بِأَنْفُسِكُمْ وَاخْفِضُوا أَصْوَاتكُمْ فَإِنَّ رَفْعَ الصَّوْت إِنَّمَا يَفْعَلُهُ الْإِنْسَانُ لِبُعْد مَنْ يُخَاطِبُهُ لِيُسْمِعَهُ وَأَنْتُمْ تدعون الله تعالى وليس هو بأصم ولاغائب بَلْ هُوَ سَمِيعٌ قَرِيبٌ وَهُوَ مَعَكُمْ بِالْعِلْم وَالْإِحَاطَة ، فَفِيهِ النَّدْبُ إِلَى خَفْض الصَّوْتِ بِالذِّكْرِ إِذَا لَمْ تَدْعُ حَاجَةٌ إِلَى رَفْعِهِ فَإِنَّهُ إِذَا خَفَضَهُ كَانَ أَبْلَغَ فِي تَوْقِيرِهِ وَتَعْظِيمِه». ا هـ .[1] .

وكان خفض الصوت أقرب إلى إجابة الدعاء؛ لأن فيه تأدبا مع الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وتعظيما له، بينما رفع الصوت عند الدعاء لغير حاجة، فيه نوع من الاعتداء في الدعاء، ولهذا حث الله على التضرع في الدعاء بين يديه خفية، وختم الآية بذم الاعتداء كما في قوله تعالى: ﴿ ٱدْعُواْ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٥٥﴾ ﴾[الأعراف : ٥٥] .

(١)شرح النووي على مسلم (٩ / ٦٨)

دليل دعاء المريض والمكروب:

يرجى استجابة دعاء المريض والمكروب؛لما يكون عندهما من الذل والانكسار بين يدي الله وشدة الحاجة إليه ، واليأس مما عند الناس، فإن الغالب على المريض والمكروب أنهما يقبلان على الله بقلوبهما، ولا يلجآن إلا إليه تعالى في هذه الحالة، حتى الكفار وقت الشدة والكرب فإنهم يلجئون إلى الله ، فحري أن يُستجاب لمن افتقر قلبه إلى الله واستكان لربه وانقطع عن الخلق كائنا من كان.

والله تعالى يقول في كتابه الكريم:﴿ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾ ﴾ [النمل : ٦٢] .

وقال تعالى :﴿ وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوْجٌ كَٱلظُّلَلِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ فَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ ۚ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ ﴿٣٢﴾ ﴾ [لقمان : ٣٢] .

موانع الإجابة:

بعد أن ذكرنا أوقات الإجابة وأسبابها، سنتطرق إلى ذكر بعض موانع الإجابة للمناسبة في ذكرها ، منها:

١. أكل الحرام

٢. الدعاء بإثم أوقطيعة رحم.

٣. استعجال الإجابة

٤. الغفلة عند الدعاء.

٥. الاعتداء في الدعاء.

٦. السكوت عن المنكرمع القدرة على تغييره.

أولا: أكل الحرام:

أكل الحرام والتكسب من الحرام من أي وجه كان مانع من موانع إجابة الدعاء، وذلك لأن الداعي غذى جسده وأفسد قلبه بالحرام، وسواء كان الحرام في المأكل أو الملبس أو المشرب أو المسكن، فإنه يعد مانعا من موانع الإجابة لأن العلة واحدة.

فقد روى مسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- « أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ اللَّهَ طَيِّبٌ لاَ يَقْبَلُ إِلاَّ طَيِّبًا وَإِنَّ اللهَ أَمَرَ الْمُؤْمِنِينَ بِمَا أَمَرَ بِهِ الْمُرْسَلِينَ فَقَالَ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعْمَلُواْ صَٰلِحًا ۖ إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٥١﴾ ﴾ [المؤمنون: ٥]، وَقَالَ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ ﴾ [البقرة: ١٧٢]. **ثُمَّ ذَكَرَ** الرَّجُلَ يُطِيلُ السَّفَرَ أَشْعَثَ أَغْبَرَ يَمُدُّ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ يَا رَبِّ يَا رَبِّ وَمَطْعَمُهُ حَرَامٌ وَمَشْرَبُهُ حَرَامٌ وَمَلْبَسُهُ حَرَامٌ وَغُذِىَ بِالْحَرَامِ فَأَنَّى يُسْتَجَابُ لِذَلِكَ ».

ففي الحديث أربعة أسباب من أسباب الإجابة ومانع واحد من موانعها، فغلب المانع الأسباب، ولهذا قال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «فكيف يستجاب له» ؟!.

ثانيا. الدعاء بإثم أوقطيعة رحم.

لايستجيب الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى دعاء من دعا بإثم أو قطيعة رحم، لما روى الإمام مسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ عَنِ النَّبِيِّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أَنَّهُ قَالَ: « **لاَ يَزَالُ يُسْتَجَابُ لِلْعَبْدِ مَا لَمْ يَدْعُ بِإِثْمٍ أَوْ قَطِيعَةِ رَحِمٍ مَا لَمْ يَسْتَعْجِلْ** » الحديث.

وروى الإمام أحمد عن أبي سعيد ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: « **ما من مسلم يدعو بدعوة ليس فيها إثم ولا قطيعة رحم إلا أعطاه الله بها إحدى ثلاث، إما أن تعجل له دعوته وإما أن يدخرها له في الآخرة وإما أن يصرف عنه من السوء مثلها قالوا إذا نكثر قال الله أكثر** » [1].

(١) صحيح: صححه العلامتان الألباني والوادعي، الألباني في صحيح الترغيب والترهيب(٢ / ١٢٨) (١٦٣١)والوادعي في الصحيح المسند(٤١٢)(١/ ٣٤٨) ورواه البزار وأبو يعلى والحاكم.

والدعاء بإثم : مثل أن يسأل الله شيئا محرما ، أو يسأل الله أن يسهل له معصية ما، والدعاء في قطيعة الرحم ، مثل أن يدعو على أحد ظلماً كأن يدعو على أبيه أو أخيه أو ابنه ظلماً ، أو يدعو الله أن يفرق بين فلان وبعض أقاربه ، هذا وأمثاله فيه قطيعة رحم ، لا يستجيبه الله تعالى .

ثالثا: استعجال الإجابة:

الدليل على أن الاستعجال من موانع الإجابة، حديث أَبِي هُرَيْرَةَ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ قَال :قال رَسُولُ اللَّهِ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– « **يُسْتَجَابُ لأَحَدِكُمْ مَا لَمْ يَعْجَلْ فَيَقُولُ قَدْ دَعَوْتُ رَبِّى فَلَمْ يَسْتَجِبْ لِي** » . متفق عليه

وعند مسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ عَنِ النَّبِيِّ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– أَنَّهُ قَالَ : « **لاَ يَزَالُ يُسْتَجَابُ لِلْعَبْدِ مَا لَمْ يَدْعُ بِإِثْمٍ أَوْ قَطِيعَةِ رَحِمٍ مَا لَمْ يَسْتَعْجِلْ** » . قِيلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا الاسْتِعْجَالُ قَالَ : « **يَقُولُ قَدْ دَعَوْتُ وَقَدْ دَعَوْتُ فَلَمْ أَرَ يَسْتَجِيبُ لِي فَيَسْتَحْسِرُ عِنْدَ ذَلِكَ وَيَدَعُ الدُّعَاءَ** ».

ومعنى ، يستحسر :أي ينقطع عن الدعاء.

فرواية مسلم فيها بيان المانع من إجابة الدعاء وهو الانقطاع عنه بسبب الاستعجال.وربما حصل عند العبد نوع من اليأس وسوء الظن بالله تعالى، فأضاف مانعا آخر من موانع الاستجابة.

رابعا: الغفلة عند الدعاء:

من موانع الإجابة أن يدعو العبد وقلبه غافل، غيرحاضر، فقد روى الترمذي عن أبي هريرةـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ قال : قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة واعلموا أن الله لا يستجيب دعاء من قلب غافل لاه»[1].

---

(١)حسن:حسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٢ / ١٣٣)(١٦٥٣) وهو عند الحاكم.

فينبغي على العبد أن يدعو وقلبه حاضر يستحضر ما يقول، ويتدبر معاني الكلمات التي يدعو بها، مع اللهفة والرجاء.

خامسا:الاعتداء في الدعاء.

الاعتداء في الدعاء :هو الخُروج فيه عن الوَضْع الشَّرعي والسُّنّة المأثُورَةِ أو سؤال أشياء لا تليق به أو لا يستحقها أو سؤال المستحيل أو مخالفة السُّنَّة في الدعاء.

قال تعالى: ﴿ ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٥٥﴾ ﴾

[الأعراف : ٥٥] .

قال المفسر السعدي ـ رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ في تفسير قوله تعالى: ﴿ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴾ أي: المتجاوزين للحد في كل الأمور، ومن الاعتداء كون العبد يسأل الله مسائل لا تصلح له، أو يتنطع في السؤال، أو يبالغ في رفع صوته بالدعاء، فكل هذا داخل في الاعتداء المنهي عنه». اهـ .

وروى ابن ماجه عن عَبْد اللهِ بْن مُغَفَّل ـ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ ـ أنه سَمِعَ ابْنَهُ يَقُولُ : اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْقَصْرَ الأَبْيَضَ عَنْ يَمِينِ الْجَنَّة ، إِذَا دَخَلْتُهَا ، فَقَالَ : أَيْ بُنَيَّ سَلِ اللَّهَ الْجَنَّةَ، وَعُذْ بِهِ مِنَ النَّار ، فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى الله عَلَيْهِ وسَلَّمَ يَقُولُ : «**سَيَكُونُ قَوْمٌ يَعْتَدُونَ فِي الدُّعَاءِ**» [1].

وعَن ابْنٍ لسَعْد أَنَّهُ قَالَ : سَمِعَنِى أَبِي وَأَنَا أَقُولُ» اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْجَنَّةَ وَنَعِيمَهَا وَبَهْجَتَهَا وَكَذَا وَكَذَا، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ النَّارِ وَسَلاَسِلِهَا وَأَغْلاَلِهَا وَكَذَا وَكَذَا، فَقَالَ : يَا بُنَىَّ إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ –صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– يَقُولُ : « **سَيَكُونُ قَوْمٌ يَعْتَدُونَ فِي الدُّعَاءِ** ». فَإِيَّاكَ أَنْ تَكُونَ مِنْهُمْ إِنْ أُعْطِيتَ الْجَنَّةَ أُعْطِيتَهَا وَمَا فِيهَا مِنَ الْخَيْرِ وَإِنْ

---

(١)صحيح:وهو عند أحمد وأبي داود وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه – (٢ / ٣٣١) (٣٨٥٤) وانظر(صحيح) المشكاة (٤١٨) ، صحيح أبي داود (٨٦) ، الارواء (١٤٠).

أُعِذْتَ مِنَ النَّارِ أُعِذْتَ مِنْهَا وَمَا فِيهَا مِنَ الشَّرِّ. [١]

سادسا: السكوت عن المنكر مع القدرة على تغييره.

روى الترمذي وأحمد عن حذيفة بن اليمان ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **قال: « والذي نفسي بيده لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر ، أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عقابًا منه؛ ثم تدعونه فلا يستجاب لكم»**[٢].

ذكر بعض آداب الدعاء:

تقدم في هذا الفصل ذكر آداب كثيرة من آداب الدعاء بأدلتها، ذكرناهـا متفرقة حسب المناسبات ، وسنذكرهنا أهمها جملة؛للفت الانتباه إليها وعدم الغفلة عنها.

منها:

❊ الإخلاص في الدعاء .

❊ حضور القلب عند الدعاء.

❊ اليقين عند الدعاء.

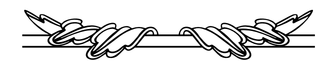
❊ الإلحاح في الدعاء.

❊ استقبال القبلة.

❊ عدم الاعتداء في الدعاء.

❊ خفض الصوت والتذلل فيه وعدم رفع الصوت إلا لحاجة.

وغير ذلك.



(١)حسن: رواه أبوداود وحسنه الألباني في صحيح أبي داود - (٥ / ٢٢٠)(١٣٣٠).
(٢)حسن: حسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب - (٢ / ٢٨٦)(٢٣١٣)

الباب الثاني
فضل الأماكن المباركة واغتنامها



يقول الله في كتابه الكريم: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٨﴾﴾ [القصص:٦٨] .

فإن الله تعالى خلق المخلوقات، وفضل بعضها على بعض بحكمته، فخلق البشر وفضل بعضهم على بعض، ففضل الأنبياء والمرسلين على سائر البشر، وفضل أولي العزم من الرسل على سائر الأنبياء والمرسلين، وفضل نبينا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على سائر الخلق أجمعين.

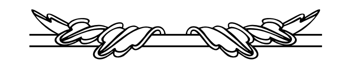
وخلق الأزمنة، ففضل فيها شهر رمضان على سائر الشهور، وفضل ليالي العشر الأواخر من رمضان على سائر الليالي، وفضل ليلة القدر على سائر ليالي السَنة، وفضل أيام عشر ذي الحجة على سائر الأيام ، وفضل يوم النحر على سائر أيام السَنة، وفضل يوم الجمعة على سائر أيام الأسبوع.

وفضل من الأمكنة المساجد ، وجعلها أحب البقاع إليه ، وفضل المساجد الثلاثة على سائر المساجد.

فهذه الأوقات والأماكن فضلها الله على غيرها ، وجعل فيها مزية وفضيلة على غيرها لحكم يعلمها سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فجعل أوقاتا وأماكن مباركة، وجعل الأجور فيها مضاعفة، واختص فيها أعمالا بمزيد فضل، وبالمقابل فهناك أوقات وأماكن نهى عن العبادات فيها، وتوعد من تعبد له فيها، فيجب التقيد بما شرع الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، بالامتثال لأوامره ، والاجتناب لنواهيه، والوقوف عند حدوده،

لأنه علم ما يصلح عباده فشرعه لهم، وما يفسدهم فناهم عنه، فشرع لهم ما فيه صلاحهم، وحرم عليهم ما فيه فسادهم ، قال تعالى: ﴿ قُلْ ءَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ ٱللَّهُ ﴾ [البقرة:١٤٠]، وقال تعالى: ﴿ صِبْغَةَ ٱللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً ﴾ [البقرة : ١٣٨] ، وقال تعالى: ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾ [المائدة : ٥٠] .

واختار لهم أشياء تنفعهم، ومنعهم من أشياء تضرهم، وكل ذلك بمقتضى حكمته، فلا معقب لحكمه ، ولا راد لقضائه ، ولا اعتراض على أقداره، ﴿ وَٱللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِۦ وَهُوَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴾[الرعد : ٤١] .



الفصل الأول

ذكر ما جاء في البقاع



المبحث الأول : فضل مكة المكرمة

إنه لا يخفى على مسلم فضل مكة المكرمة التي كرمها الله وفضلها على غيرها من البلدان ، وجعلها أحب البقاع إليه وإلى رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وبعث فيها رسوله، وجعلها مهبط الوحي ، ومنبع الرسالة ، وفيها قبلة المسلمين ، وحرمها إلى قيام الساعة، وفيها أفضل المساجد، وهو بيته الحرام، كما سيأتي ذكر فضائله، وخصها الله بخصائص كثيرة سيأتي ذكر بعضها .

فضائل مكة:

ـ فمن فضائلها أنها خير البلدان وأحبها إلى الله وإلى رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فقد روى الترمذي عن عَبْدِ اللهِ بْنِ عَدِيِّ بْنِ الْحَمْرَاءِ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ قَالَ : رَأَيْتُ رَسُولَ الله صَلَّى الله عَلَيْه وسَلَّمَ ، وَهُوَ عَلَى نَاقَته ، وَاقفٌ بِالْحَزْوَرَة يَقُولُ : «**وَاللَّه إِنَّك ، لَخَيْرُ أَرْضِ اللهِ ، وَأَحَبُّ أَرْضِ اللهِ إِلَيَّ ، وَاللَّهِ لَوْلاَ أَنِّي أُخْرِجْتُ مِنْكِ ، مَا خَرَجْتُ**»[1].

وروى الترمذي عن ابن عباس ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ـ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لمكة: «**ما أطيبك من بلد وأحبك إلي ، ولولا أن قومي أخرجوني منك ما سكنت غيرك** ».[2]

ومن عظمتها أن الله أقسم بها في قوله تعالى : ﴿ لَآ أُقْسِمُ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ۝١ وَأَنتَ حِلٌّۢ

(١)صحيح:صححه الألباني في صحيح الترمذي(٣ / ٢٥٠)(٣٠٨٢) والوادعي في الصحيح المسند(١/ ٥٧٤)(٧١٠). وهو عند ابن ماجه والنسائي وأحمدوالبيهقي وابن حبان والحاكم.

(٢)صحيح:صححه الألباني في صحيح الترمذي(٣ / ٢٥٠)(٣٠٨٢) والوادعي في الصحيح المسند(١/ ٥٧٤)(٧١٠). وهو عند ابن ماجه والنسائي وأحمدوالبيهقي وابن حبان والحاكم

بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ﴿٢﴾ وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ ﴿٣﴾ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِى كَبَدٍ ﴿٤﴾ ﴾ [البلد : ١ – ٤] والله عظيم يقسم بما شاء من مخلوقاته العظيمة.

ومن فضلها أن الله أحلها لنبيه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **ساعة من نهار يوم فتح مكة ولا تحل لأحد بعده إلى قيام الساعة.**

قال تَعَالَى : ﴿ إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَٰذِهِ ٱلْبَلْدَةِ ٱلَّذِى حَرَّمَهَا وَلَهُۥ كُلُّ شَىْءٍ ۖ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٩١﴾ ﴾[النمل : ٩١].

وروى البخاري ومسلم عَن ابْنِ عَبَّاس ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا ـ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : «**إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَ مَكَّةَ فَلَمْ تَحِلَّ لأَحَد قَبْلِي ، وَلاَ تَحِلُّ لأَحَد بَعْدِي وَإِنَّمَا أُحِلَّتْ لِي سَاعَةً مِنْ نَهَار لاَ يُخْتَلَى خَلاَهَا ، وَلاَ يُعْضَدُ شَجَرُهَا ، وَلاَ يُنَفَّرُ صَيْدُهَا ، وَلاَ تُلْتَقَطُ لُقَطَتُهَا إِلاَّ لِمُعَرِّف** » ، وَقَالَ :الْعَبَّاسُ يَا رَسُولَ اللهِ إِلاَّ الإِذْخِرَ لِصَاغَتِنَا وَقُبُورِنَا فَقَالَ: « **إِلاَّ الإِذْخِر** » .

ومن خصائص مكة، أن الله جعلها دار أمن ، ولا يجوز لأحد أن يخوف أحدًا فيها، وأنه بارك فيها وفي ما يخرج منها، فقد أخبر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أنه أنعم على هذه البلدة بالأمن التام في غير ما آية، قال تعَالَى : ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِۦمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَٱرْزُقْ أَهْلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُم بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۖ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُۥٓ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٢٦﴾ ﴾ [البقرة : ١٢٦] .

وقَالَ تَعَالَى عن إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ : ﴿ رَّبَّنَآ إِنِّىٓ أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِى بِوَادٍ غَيْرِ ذِى زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ ٱلْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجْعَلْ أَفْـِٔدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهْوِىٓ إِلَيْهِمْ وَٱرْزُقْهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴿٣٧﴾ ﴾[إبراهيم : ٣٧] .

وقَالَ تَعَالَى : ﴿ لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ ﴿١﴾ إِۦلَٰفِهِمْ رِحْلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيْفِ ﴿٢﴾ فَلْيَعْبُدُوا۟ رَبَّ هَٰذَا ٱلْبَيْتِ ﴿٣﴾ ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍۭ ﴾[قريش ١:٤] .

قال المفسر ابن كثير ـ رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ في قوله تعالى: ﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ ۝١﴾ أي: لائتلافهم واجتماعهم في بلدهم آمنين.

وقيل: المراد بذلك ما كانوا يألفونه من الرحلة في الشتاء إلى اليمن، وفي الصيف إلى الشام في المتاجر وغير ذلك، ثم يرجعون إلى بلدهم آمنين في أسفارهم؛ لعظمتهم عند الناس، لكونهم سكان حرم الله، فمن عَرَفهم احترمهم، بل من صوفي إليهم وسار معهم أمن بهم. هذا حالهم في أسفارهم ورحلتهم في شتائهم وصيفهم. وأما في حال إقامتهم في البلد، فكما قال الله: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا ءَامِنًا وَيُتَخَطَّفُ ٱلنَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ ۚ أَفَبِٱلْبَٰطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ ٱللَّهِ يَكْفُرُونَ ۝٦٧﴾[العنكبوت : ٦٧] اهـ.

وقال تعالى: ﴿وَقَالُوٓا۟ إِن نَّتَّبِعِ ٱلْهُدَىٰ مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَآ ۚ أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَمًا ءَامِنًا يُجْبَىٰٓ إِلَيْهِ ثَمَرَٰتُ كُلِّ شَىْءٍ رِّزْقًا مِّن لَّدُنَّا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ۝٥٧﴾

[القصص : ٥٧] .

قال ابن كثير ـ رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ في قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَمًا ءَامِنًا﴾ يعني: هذا الذي اعتذروا به كذب وباطل؛ لأن الله جعلهم في بلد أمين، وحَرَم معظَّم آمن منذ وُضع» . اهـ .

وقال المفسر السعدي ـ رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ: «قال الله مبينا لهم حالة هم بها دون الناس وأن الله اختصهم بها، فقال: ﴿أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَمًا ءَامِنًا يُجْبَىٰٓ إِلَيْهِ ثَمَرَٰتُ كُلِّ شَىْءٍ رِّزْقًا مِّن لَّدُنَّا﴾ أي: أولم نجعلهم متمكنين ممكنين في حرم يكثره المنتابون ويقصده الزائرون، قد احترمه البعيد والقريب، فلا يهاج أهله، ولا ينتقصون بقليل ولا كثير.

والحال أن كل ما حولهم من الأماكن، قد حف بها الخوف من كل جانب، وأهلها غير آمنين ولا مطمئنين، فَلْيَحْمَدُوا ربهم على هذا الأمن التام، الذي ليس فيه غيرهم، وعلى الرزق الكثير، الذي يجيء إليهم من كل مكان، من الثمرات

والأطعمة والبضائع، ما به يرتزقون ويتوسعون. ولْيَتَّبِعُوا هذا الرسول الكريم، ليتم لهم الأمن والرغد» اهـ . .

ومن خصائص هذه البلدة المباركة، أنه لا يجوز قطع أشجارها ولا عشبها، ولا تؤخذ لقطتها إلا لمنشد، فقد روى البخاري عَن ابْن عَبَّاس ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا ـ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ فَتْح مَكَّةَ: « **إِنَّ هَذَا الْبَلَدَ حَرَّمَهُ اللهُ لاَ يُعْضَدُ شَوْكُهُ ، وَلاَ يُنَفَّرُ صَيْدُهُ ، وَلاَ يَلْتَقِطُ لُقَطَتَهُ إِلاَّ مَنْ عَرَّفَهَا**».وفي رواية له: « ولا يختلى خلاهـا» وهو العشب.

وأما حكم لقطة مكة فإنها تعرف دائما ولا يستفاد منها:

قال الشيخ عبد المحسن العباد–حفظه الله– عند قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :« (ولا تحل لقطتها إلا لمنشد) أي: لمن يستمر على التعريف بها، وذلك أن اللقطة إذا فقدت في مكة فإن مكة يتردد عليها الناس للحج في كل عام، ولذلك ميزت على غيرها ؛لأن لقطتها لا تكون كلقطة غيرها بأن تعرف ثم يستفيد منها من عرفها، بل إنها تعرف دائماً، وذلك أن صاحبها قد يأتي في حجة أخرى أو في حجة ثانية أو ثالثة وهكذا، فلا تملك لقطتها أو لا يستفاد من لقطتها كما يستفاد منها في الأماكن الأخرى غير مكة»ا هـ[١].

ومن خصائص هذه البلدة أن الله تعالى وكَّلَ عليها ملائكة يحرسونها ولا يدخلها الدجال:

ففي صحيح البخاري ومسلم عن أَنَس بْنُ مَالك ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ عَن النَّبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : «**لَيْسَ مِنْ بَلَد إِلاَّ سَيَطَؤُهُ الدَّجَّالُ إِلاَّ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةَ لَيْسَ لَهُ مِنْ نِقَابِهَا نَقْبٌ إِلاَّ عَلَيْه الْمَلاَئِكَةُ صَافِّينَ يَحْرُسُونَهَا ثُمَّ تَرْجُفُ الْمَدِينَةُ بِأَهْلِهَا ثَلاَثَ رَجَفَات فَيُخْرِجُ اللهُ كُلَّ كَافِرٍ وَمُنَافِقٍ**».

فتغتنم هذه البلدة بسكناها لمن استطاع ذلك ، أو مزاورتها ومزاورة المسجد الحرام والصلاة فيه، كما سيأتي ذكر فضائله.

---

(١)شرح سنن أبي داود (١٠ / ٣٣٤) .

المبحث الثاني
فضل المدينة النبوية



إن للمدينة النبوية فضلا عظيما ، فضلها الله واختصها على سائر البلدان، وجعلها مهبطًا للوحي، ومقامًا لنبيه، ودارا لهجرته، ومأوى لأوليائه، ومعقلا لدينه، فانتشر منها الإسلام ، وكُسرت شوكة المشركين والكافرين، وكُبت المنافقون، وأُجلي منها اليهود، وأظهر الله فيها رسوله، وأعلى كلمته، وأعز دينه، وفيها المسجد النبوي، وفيها خير خلقه، وهم رسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وخلفاؤه ، وصحابته ، هاجروا إليها، وعاشوا فيها، وماتوا ودفنوا فيها، وسماها الله ورسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ طيبة، لطيبتها، وطيب ساكنيها، وطيب العيش فيها، وحرمها النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كما حرم مكة، ودعا لها، كما دعا إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ لمكة ، وتوعد ولعن من آذى أو أخاف أهلها.

فهي خير ما سكن الناس ، لما في الصحيحين عَنْ سُفْيَانَ بْن أَبِي زُهَيْر - رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ - قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّه - صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يَقُولُ : « يُفْتَحُ الْيَمَنُ فَيَأْتِي قَوْمٌ يُبِسُّونَ فَيَتَحَمَّلُونَ بِأَهْلِيهِمْ وَمَنْ أَطَاعَهُمْ وَالْمَدِينَةُ خَيْرٌ لَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ، ثُمَّ يُفْتَحُ الشَّامُ فَيَأْتِي قَوْمٌ يُبِسُّونَ فَيَتَحَمَّلُونَ بِأَهْلِيهِمْ وَمَنْ أَطَاعَهُمْ ، وَالْمَدِينَةُ خَيْرٌ لَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ، ثُمَّ يُفْتَحُ الْعِرَاقُ فَيَأْتِي قَوْمٌ يُبِسُّونَ فَيَتَحَمَّلُونَ بِأَهْلِيهِمْ وَمَنْ أَطَاعَهُمْ، وَالْمَدِينَةُ خَيْرٌ لَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ».

ومعنى يُبِسُّون:أي ، يسوقون النوق ويزجرونها.

وسميت طيبة لطيبها وطيب أهلها ، فعن جَابر بْن سَمُرَةَ - رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يَقُولُ : « **إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى سَمَّى الْمَدِينَةَ طَابَةَ** » رواه مسلم.

وفي رواية عند الطبراني وأحمد واللفظ له : «إن الله تبارك وتعالى سمى المدينة طيبة»[١].

قال بدر الدين العيني الحنفي: «أي من أسمائها طابة وليس فيه ما يدل على أنها لا تسمى بغير ذلك وأصل طابة طيبة لأنها من الطيب فقلبت الياء ألفا لتحركها وانفتاح ما قبلها فوزنها فالة لا فاعة». اهـ . [٢].

وقال القاضي أبو الفضل عياض اليحصبي «وقيل : سميت المدينة طابة وطيبة، من الطيب ، وهو تطهيرها من الشرك وظهور الإسلام بها وقيل غيره » اهـ .[٣].

ومن خصائص المدينة أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حرمها كما حرم مكة وحرم قطع أشجارها وتنفير صيدها وجعل الله فيها ملائكة يحرسونها:

ففي صحيح الإمام مسلم عَنْ أَبِي سَعِيدٍ مَوْلَى الْمَهْرِيِّ أَنَّهُ أَصَابَهُمْ بِالْمَدِينَةِ جَهْدٌ وَشِدَّةٌ وَأَنَّهُ أَتَى أَبَا سَعِيدٍ الْخُدْرِيَّ فَقَالَ : لَهُ إِنِّي كَثِيرُ الْعِيَالِ وَقَدْ أَصَابَتْنَا شِدَّةٌ فَأَرَدْتُ أَنْ أَنْقُلَ عِيَالِي إِلَى بَعْضِ الرِّيفِ. فَقَالَ : أَبُو سَعِيدٍ لاَ تَفْعَلِ الْزَمِ الْمَدِينَةَ فَإِنَّا خَرَجْنَا مَعَ نَبِيِّ اللَّهِ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – أَظُنُّ أَنَّهُ قَالَ :– حَتَّى قَدِمْنَا عُسْفَانَ فَأَقَامَ بِهَا لَيَالِيَ فَقَالَ: النَّاسُ وَاللَّهِ مَا نَحْنُ هَا هُنَا فِي شَيْءٍ وَإِنَّ عِيَالَنَا لَخُلُوفٌ مَا نَأْمَنُ عَلَيْهِمْ. فَبَلَغَ ذَلِكَ النَّبِيَّ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– فَقَالَ : « مَا هَذَا الَّذِى بَلَغَنِى مِنْ حَدِيثِكُمْ – مَا أَدْرِى كَيْفَ قَالَ :– وَالَّذِي أَحْلِفُ بِهِ أَوْ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِه لَقَدْ هَمَمْتُ أَوْ إِنْ شِئْتُمْ– لاَ أَدْرِي أَيَّتَهُمَا قَالَ : – لآمُرَنَّ بِنَاقَتِي تُرْحَلُ ثُمَّ لاَ أَحُلُّ لَهَا عُقْدَةً حَتَّى أَقْدَمَ الْمَدِينَةَ– وَقَالَ: – اللَّهُمَّ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ حَرَّمَ مَكَّةَ فَجَعَلَهَا حَرَمًا وَإِنِّي حَرَّمْتُ الْمَدِينَةَ حَرَامًا مَا بَيْنَ مَأْزِمَيْهَا أَنْ لاَ يُهَرَاقَ فِيهَا دَمٌ وَلاَ يُحْمَلَ فِيهَا سِلاَحٌ لِقِتَالٍ وَلاَ يُخْبَطَ فِيهَا شَجَرَةٌ إِلاَّ لِعَلْفٍ،

---

(١)صحيح:صححه الألباني انظر حديث رقم : (١٧٢٣) في صحيح الجامع .

(٢)عمدة القاري شرح صحيح البخاري – (١٦ / ١٨٣).

(٣)إكمال المعلم في شرح صحيح مسلم :(٣ / ٢٨٣).

اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي مَدِينَتِنَا، اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي صَاعِنَا، اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي مُدِّنَا، اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي صَاعِنَا، اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي مُدِّنَا، اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي مَدِينَتِنَا، اللَّهُمَّ اجْعَلْ مَعَ الْبَرَكَةِ بَرَكَتَيْنِ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا مِنَ الْمَدِينَةِ شِعْبٌ وَلاَ نَقْبٌ إِلاَّ عَلَيْهِ مَلَكَانِ يَحْرُسَانِهَا حَتَّى تَقْدَمُوا إِلَيْهَا - ثُمَّ قَالَ: لِلنَّاسِ - ارْتَحِلُوا».

و عند أبي داود عَنْ عَلِيٍّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - عَنِ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ: «**لاَ يُخْتَلَى خَلاَهَا وَلاَ يُنَفَّرُ صَيْدُهَا وَلاَ تُلْتَقَطُ لُقَطَتُهَا إِلاَّ لِمَنْ أَشَادَ بِهَا وَلاَ يَصْلُحُ لِرَجُلٍ أَنْ يَحْمِلَ فِيهَا السِّلاَحَ لِقِتَالٍ وَلاَ يَصْلُحُ أَنْ يُقْطَعَ مِنْهَا شَجَرَةٌ إِلاَّ أَنْ يَعْلِفَ رَجُلٌ بَعِيرَهُ**»[1].

قال الشيخ عبد المحسن العباد عند قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «[(ولا تلتقط لقطتها إلا لمن أشاد بها)] هذه الجملة تدل على أن المدينة مثل مكة فيما يتعلق باللقطة، وأنها لا تحل لمن يأخذها إلا أن ينشدها، بخلاف اللقطة في الأماكن الأخرى فإن صاحبها يعرفها حولاً كاملاً وبعد ذلك يتمولها ويتملكها، ولو جاء صاحبها فيما بعد ووصفها وصفاً يطابق وصفها، فإنه يعطيه إياها. وأما بالنسبة للقطة الحرمين مكة والمدينة فإنها تعرف دائماً، قيل: ولعل السر في ذلك أن مكة والمدينة يتردد عليها الناس في مختلف الأوقات». اهـ.[2]

وقال: «فلا يحل للإنسان أن يتملك اللقطة في الحال إلا إذا عرف أن صاحبها قد تركها مستغنياً عنها، أو كانت من الأشياء التافهة التي لا يؤبه ولا يهتم بها، وإلا فإن الأصل هو التعريف لها». اهـ.[3]

- ومن خصائصها أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دعا لها:

فعَنْ عَائِشَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - قَالَتْ: قَدِمْنَا الْمَدِينَةَ وَهْيَ وَبِيئَةٌ فَاشْتَكَى أَبُو بَكْرٍ وَاشْتَكَى

---

(١) صحيح: صححه الألباني في صحيح أبي داود - (٦ / ٢٧٤)(١٧٧٤).
(٢) شرح سنن أبي داود - (١٠ / ٣٨١).
(٣) المصدر السابق (٢٦ / ٢٤٩).

بلالٌ فَلَمَّا رَأَى رَسُولُ اللَّهِ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– شَكْوَى أَصْحَابِه قَالَ : « **اللَّهُمَّ حَبِّبْ إِلَيْنَا الْمَدِينَةَ كَمَا حَبَّبْتَ مَكَّةَ أَوْ أَشَدَّ وَصَحِّحْهَا وَبَارِكْ لَنَا فِي صَاعِهَا وَمُدِّهَا وَحَوِّلْ حُمَّاهَا إِلَى الْجُحْفَةِ** ».متفق عليه.

وفي رواية لمسلم عن عَبْد اللَّهِ بْنِ زَيْدِ بْنِ عَاصِم أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– قَالَ: « **إِنَّ إِبْرَاهِيمَ حَرَّمَ مَكَّةَ وَدَعَا لأَهْلِهَا وَإِنِّي حَرَّمْتُ الْمَدِينَةَ كَمَا حَرَّمَ إِبْرَاهِيمُ مَكَّةَ وَإِنِّي دَعَوْتُ فِي صَاعِهَا وَمُدِّهَا بِمِثْلَيْ مَا دَعَا بِهِ إِبْرَاهِيمُ لأَهْلِ مَكَّةَ** ».

وروى مسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ أَنَّهُ قَالَ :كَانَ النَّاسُ إِذَا رَأَوْا أَوَّلَ الثَّمَرِ جَاءُوا بِهِ إِلَى النَّبِيِّ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– فَإِذَا أَخَذَهُ رَسُولُ اللَّهِ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– قَالَ : «**اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي ثَمَرِنَا وَبَارِكْ لَنَا فِي مَدِينَتِنَا وَبَارِكْ لَنَا فِي صَاعِنَا وَبَارِكْ لَنَا فِي مُدِّنَا اللَّهُمَّ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ عَبْدُكَ وَخَلِيلُكَ وَنَبِيُّكَ وَإِنِّي عَبْدُكَ وَنَبِيُّكَ وَإِنَّهُ دَعَاكَ لِمَكَّةَ وَإِنِّي أَدْعُوكَ لِلْمَدِينَةِ بِمِثْلِ مَا دَعَاكَ لِمَكَّةَ وَمِثْلِهِ مَعَهُ** ». قَالَ :ثُمَّ يَدْعُو أَصْغَرَ وَلِيدٍ لَهُ فَيُعْطِيهِ ذَلِكَ الثَّمَرَ.

ومن خصائصها : أن الله توعد ولعن من أخاف أهلها أو مكر بهم أو أرادهم بسوء :

ففي الصحيحين عَنْ عَائِشَةَ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ـ قَالَتْ :سَمِعْتُ سَعْدًا ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ قَالَ : سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: « **لاَ يَكِيدُ أَهْلَ الْمَدِينَةِ أَحَدٌ إِلاَّ انْمَاعَ كَمَا يَنْمَاعُ الْمِلْحُ فِي الْمَاءِ**».

وفي رواية لمسلم عن سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاص ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ أيضًا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– قَالَ: « **وَلاَ يُرِيدُ أَحَدٌ أَهْلَ الْمَدِينَةِ بِسُوءٍ إِلاَّ أَذَابَهُ اللَّهُ فِي النَّارِ ذَوْبَ الرَّصَاصِ ، أَوْ ذَوْبَ الْمِلْحِ فِي الْمَاءِ** ».

ومعنى أنماع :أي ذاب ، وقد فسرتها رواية مسلم.

وروى الطبراني عن السائب بن خلاد ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: « اللهم من ظلم أهل المدينة وأخافهم فأخفه وعليه لعنة الله والملائكة والناس

أجمعين لا يقبل الله منه صرفًا ولا عدلاً »[١] .

ومن خصائصها : أن الإحداث فيها أكبر من غيرها، والمُحدِث فيها ملعون:

لما جاء في الصحيحين واللفظ لمسلم من طريق عَاصِم قَالَ : قُلْتُ لأَنَس بْن مَالك أَحَرَّمَ رَسُولُ اللَّه -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- الْمَدِينَةَ قَالَ : نَعَمْ مَا بَيْنَ كَذَا إِلَى كَذَا فَمَنْ أَحْدَثَ فِيهَا حَدَثًا - قَالَ :- ثُمَّ قَالَ : لِي هَذه شَدِيدَةٌ « مَنْ أَحْدَثَ فِيهَا حَدَثًا »وفي رواية (أو آوى محدثا) فَعَلَيْه لَعْنَةُ اللَّه وَالْمَلائكَة وَالنَّاس أَجْمَعِينَ لاَ يَقْبَلُ اللهُ مِنْهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ صَرْفًا وَلاَ عَدْلاً ». قَالَ : فَقَالَ : ابْنُ أَنَسٍ أَوْ آوَى مُحْدِثًا.

ومعنى من أحدث فيها:أي ارتكب معصية أو أحدث بدعة، ومعنى آوى محدثًا: أي أجار مجرما أو مبتدعا ودافع عنه.

قال النووي ـ رَحِمَهُ اللَّهُ ـ: «قَالَ : الْقَاضِي : مَعْنَاهُ مَنْ أَتَى فِيهَا إِثْمًا أَوْ آوَى مَنْ أَتَاهُ وَضَمَّهُ إِلَيْهِ وَحَمَاهُ» اهـ . [٢].

وقال أبو الفضل عياض اليحصبي : «قيل الحدث هنا الإثم وقيل يعم الجنايات وغيرها والحدث في الدين كله» اهـ . [٣]

ومعنى لا يقبل الله منه صرفًا ولا عدلاً: أي لا يقبل منه فريضة ولا نافلة ، وبيان ذلك في ما يأتي:

قال النووي ـ رَحِمَهُ اللَّهُ ـ: «قَوْله : (لَا يَقْبَل اللَّه مِنْهُ يَوْم الْقِيَامَة صَرْفًا وَلَا عَدْلًا)، قَالَ الْقَاضِي : قَالَ الْمَازرِيّ : اِخْتَلَفُوا فِي تَفْسِيرهمَا ، فَقِيلَ : الصَّرْف : الْفَرِيضَة ، وَالْعَدْل : النَّافِلَة ، وَقَالَ الْحَسَن الْبَصْرِيّ : الصَّرْف : النَّافِلَة ، وَالْعَدْل : الْفَرِيضَة، عَكْس قَوْل الْجُمْهُور ، وَقَالَ الْأَصْمَعِيّ : الصَّرْف : التَّوْبَة ، وَالْعَدْل : الْفِدْيَة ،

---

(١)صحيح:صححه الألباني في السلسلة الصحيحة (١ / ٣٥٠)(٣٥١) وهو عند النسائي.
(٢)شرح صحيح مسلم (٥ / ٣١).
(٣)مشارق الأنوار على صحاح الآثار - (١ / ١٨٤).

وَرُوِيَ ذَلِكَ عَنْ النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَقَالَ : يُونُس : الصَّرْف الاكْتِسَاب ، وَالْعَدْل : الْفِدْيَة ، وَقَالَ أَبُو عُبَيْدَة : الْعَدْل : الْحِيلَة ، وَقِيلَ : الْعَدْل : الْمِثْل . وَقِيلَ : الصَّرْف : الدِّيَة ، وَالْعَدْل: الزِّيَادَة ، قَالَ الْقَاضِي : وَقِيلَ : الْمَعْنَى : لَا تُقْبَل فَرِيضَته وَلَا نَافِلَته قَبُول رِضًا ، وَإِنْ قُبِلَتْ قَبُول جَزَاء ، وَقِيلَ : يَكُون الْقَبُول هُنَا بِمَعْنَى تَكْفِير الذَّنْب بِهِمَا ، قَالَ وَقَدْ يَكُون مَعْنَى الْفِدْيَة هُنَا : أَنَّهُ لَا يَجِد فِي الْقِيَامَة فِدَاء يَفْتَدِي بِهِ بِخِلَافِ غَيْره مِنْ الْمُذْنِبِينَ الَّذِينَ يَتَفَضَّل اللَّه عَزَّ وَجَلَّ عَلَى مَنْ يَشَاء مِنْهُمْ بِأَنْ يَفْدِيه مِنْ النَّار بِيَهُودِيٍّ أَوْ نَصْرَانِيّ ، كَمَا ثَبَتَ فِي الصَّحِيح» اهـ. [١] .

ومن فضائل المدينة أن فيها جبل أحد، الذي أحبه الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وفيها وادي العقيق المبارك:

فقد روى البخاري ومسلم عَنْ أَنَس بْن مَالِك ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ أَنَّ رَسُولَ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ طَلَعَ لَهُ أُحُدٌ فَقَالَ : «**هَذَا جَبَلٌ يُحِبُّنَا وَنُحِبُّهُ اللَّهُمَّ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ حَرَّمَ مَكَّةَ وَإِنِّي أُحَرِّمُ مَا بَيْنَ لَابَتَيْهَا**».

وعن أَنَس بْن مَالِك ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَعدَ أُحُدًا ، وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ وَعُثْمَانُ فَرَجَفَ بِهِمْ فَقَالَ :« **اثْبُتْ أُحُدُ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ نَبِيٌّ وَصِدِّيقٌ وَشَهِيدَانِ**» متفق عليه.

وروى البخاري عن عُمَرَ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قال : سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِوَادِي الْعَقِيقِ يَقُولُ :«**أَتَانِي اللَّيْلَةَ آتٍ مِنْ رَبِّي فَقَالَ : صَلِّ فِي هَذَا الْوَادِي الْمُبَارَكِ وَقُلْ عُمْرَةً فِي حَجَّةٍ**». فيه فضل الصلاة في وادي العقيق.

فتغتنم المدينة النبوية بالسكنى فيها لمن استطاع ، أو الإكثار من زيارتها وزيارة المسجد النبوي والصلاة فيه ، كما سيأتي ذكر فضائله.

---

(١) شرح صحيح مسلم (٥ / ٣١) .

المبحث الثالث

فضل الشـــام



للشام فضائل عديدة، وخصائص كثيرة، منها:

أن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ اختصها بإرسال الرسل، وبارك فيها وفي أهلها، وبعث كثيرًا من الأنبياء والمرسلين فيها، ومنهم ثلاثة من أولي العزم وهم إبراهـيم وموسى وعيسى عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، ولأنها الأرض المقدسة، وفيها بيت المقدس الذي عرج منه نبينا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى سدرة المنتهى، وصلى فيه بالأنبياء، والصلاة فيه بمائتين وخمسين صلاة، كما سيأتي ذكر فضله في بابه إن شاء الله، ودعا النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لأرض الشام ، وفيها البقعة المباركة، والوادي المقدس الذي كلم الله موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ فيهما كما أخبر الله في كتابه، وفيها ينزل عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ آخر الزمان ويصلي خلف المهدي ويقتل الدجال.

قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عن إبراهـيم الخليل عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿ وَنَجَّيْنَـٰهُ وَلُوطًا إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَـٰرَكْنَا فِيهَا لِلْعَـٰلَمِينَ ﴿٧١﴾ ﴾ [الأنبياء : ٧١] .

قال ابن كثير ـ رَحِمَهُ اللَّهُ ـ : «يقول تعالى مخبرًا عن إبراهـيم، أنه سلمه الله من نار قومه، وأخرجه من بين أظهرهم مهاجرًا إلى بلاد الشام، إلى الأرض المقدسة منها، كما قال الربيع بن أنس، عن أبي العالية، عن أُبيّ بن كعب في قوله: ﴿ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَـٰرَكْنَا فِيهَا لِلْعَـٰلَمِينَ ﴾ قال الشام، وما من ماء عذب إلا يخرج من تحت الصخرة. وكذا قال أبو العالية أيضًا.

وقال قتادة ـ رَحِمَهُ اللَّهُ ـ: كان بأرض العراق، فأنجاه الله إلى الشام، وكان يقال للشام: عماد دار الهجرة، وما نقص من الأرض زيد في الشام، وما نقص من الشام

زيد في فلسطين. وكان يقال: هي أرض المحشر والمنشر، وبها ينزل عيسى ابن مريم، عَلَيْهِ السَّلَامُ، وبها يهلك المسيح الدجال.

وقال كعب الأحبار في قوله: ﴿ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِي بَٰرَكْنَا فِيهَا لِلْعَٰلَمِينَ ﴿٧١﴾ ﴾ إلى حران.

وقال السدي ـ رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ: انطلق إبراهيم ولوط قِبَل الشام، فلقي إبراهيم سارة، وهي ابنة ملك حران، وقد طعنت على قومها في دينهم، فتزوجها على ألا يغيرها، رواه ابن جرير وهو غريب، والمشهور أنها ابنة عمه، وأنه خرج بها مهاجرًا من بلاده» اهـ.

وقال المفسر البغوي ـ رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ في تفسير قوله تعالى: ﴿ فِي ٱلْبُقْعَةِ ٱلْمُبَٰرَكَةِ ﴾ لموسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، جعلها الله مباركة لأن الله كلم موسى هناك وبعثه نبيًا.

وقال عطاء: «يريد المقدسة» اهـ.

وقال تعالى: ﴿ هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ﴿١٥﴾ إِذْ نَادَىٰهُ رَبُّهُۥ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٦﴾ ﴾ [النازعات: ١٥-١٦].

قال المفسر السعدي ـ رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ في قوله تعالى: ﴿ إِذْ نَادَىٰهُ رَبُّهُۥ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى ﴾ وهو المحل الذي كلمه الله فيه، وامتن عليه بالرسالة، واختصه بالوحي والاجتباء.

وقال في قوله تعالى: ﴿ إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٢﴾ ﴾ [طه: ١٢]، أخبره أنه ربه، وأمره أن يستعد ويتهيأ لمناجاته، ويهتم لذلك، ويلقي نعليه، لأنه بالوادي المقدس المطهر المعظم، ولو لم يكن من تقديسه، إلا أن الله اختاره لمناجاته كليمه موسى لكفى». اهـ.

ومن فضائل بلاد الشام أن عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ ينزل فيها ويجتمع بالمهدي، ويقتل الدجال:

فقد روى الإمام مسلم عَنِ النَّوَّاسِ بْنِ سَمْعَانَ ـ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ ـ قَالَ: ذَكَرَ رَسُولُ اللَّهِ

- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - **الدَّجَّالَ ذَاتَ غَدَاة..»**. ، ثم ذكر الحديث فقال: **فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ إِذْ بَعَثَ اللَّهُ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ فَيَنْزِلُ عِنْدَ الْمَنَارَةِ الْبَيْضَاءِ شَرْقِيَّ دِمَشْقَ بَيْنَ مَهْرُودَتَيْنِ وَاضِعًا كَفَّيْهِ عَلَى أَجْنِحَةِ مَلَكَيْنِ إِذَا طَأْطَأَ رَأْسَهُ قَطَرَ وَإِذَا رَفَعَهُ تَحَدَّرَ مِنْهُ جُمَانٌ كَاللُّؤْلُؤِ فَلاَ يَحِلُّ لِكَافِرٍ يَجِدُ رِيحَ نَفَسِهِ إِلاَّ مَاتَ وَنَفَسُهُ يَنْتَهِي حَيْثُ يَنْتَهِي طَرْفُهُ فَيَطْلُبُهُ حَتَّى يُدْرِكَهُ بِبَابِ لُدٍّ فَيَقْتُلُهُ»** .

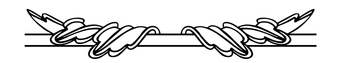
ومن فضائل الشام أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دعا لها:

فقد روى البخاري ومسلم عَن ابْنِ عُمَر - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: **«اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي شَامِنَا وَفِي يَمَنِنَا»** قَالَ: قَالُوا: وَفِي نَجْدِنَا قَالَ: **«قَالَ اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي شَامِنَا وَفِي يَمَنِنَا»** قَالَ: قَالُوا: وَفِي نَجْدِنَا، قَالَ: **«هُنَاكَ الزَّلاَزِلُ وَالْفِتَنُ وَبِهَا يَطْلُعُ قَرْنُ الشَّيْطَانِ»**.

ومن فضائل بلاد الشام وخصائصها أن الناس يحشرون فيها يوم القيامة:

فقد روى أبو الحسن ابن شجاع الربعي في فضائل الشام عن أبي ذر- رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «الشام أرض المحشر والمنشر»[1] .

قال المناوي - رَحِمَهُ اللَّهُ -: قوله(الشام أرض المحشر والمنشر) ، أي: البقعة التي يجمع الناس فيها إلى الحساب وينشرون من قبورهم ثم يساقون إليها ، وخصت بذلك لأنها الأرض التي قال الله فيها ﴿ بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ ﴾ وأكثر الأنبياء بعثوا منها فانتشرت في العالمين شرائعهم فناسب كونها أرض المحشر والمنشر»اهـ[2].



(١)قال الشيخ الألباني : صحيح ، انظر حديث رقم : (٣٧٢٦) في صحيح الجامع .
(٢)فيض القدير (٤ / ٢٢٥).

الفصل الثاني

ذكر ماجاء في فضل المساجد



المبحث الأول

فضل المساجد عموما

إنه لا شك ولا ريب في فضل المساجد ؛لأنها بيوت الله تقام فيها الشعائر، وتؤدى فيها الصلوات وكثير من العبادات ، فيجب احترامها وتعظيمها، فقد عظمها الله، وشرفها ، وفضلها على سائر البقاع، وأمر بمعاهدتها، وإقام الصلوات فيها ، ورتب على العبادة فيها أجورا عظيمة.

قال تعالى : ﴿ فِي بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ ﴿٣٦﴾ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ ۙ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٣٧﴾ لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا۟ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٨﴾ ﴾ [النور : ٣٦ – ٣٨] .

قال المفسر السعدي في تفسير قوله تعالى: ﴿ فِي بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ ﴿٣٦﴾ ﴾: «أي: يتعبد لله ﴿ فِي بُيُوتٍ ﴾ عظيمة فاضلة، هي أحب البقاع إليه، وهي المساجد. ﴿ أَذِنَ ٱللَّهُ ﴾ أي: أمر ووصى ﴿ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ ﴾ هذان مجموع أحكام المساجد، فيدخل في رفعها، بناؤها، وكنسها، وتنظيفها من النجاسة والأذى، وصونها من المجانين والصبيان الذين لا يتحرزون عن النجاسة، وعن الكافر، وأن تصان عن اللغو فيها، ورفع الأصوات بغير ذكر الله.

﴿ وَيُذۡكَرَ فِيهَا ٱسۡمُهُۥ ﴾ يدخل في ذلك الصلاة كلها، فرضها، ونفلها، وقراءة القرآن، والتسبيح، والتهليل، وغيره من أنواع الذكر، وتعلم العلم وتعليمه، والمذاكرة فيها، والاعتكاف، وغير ذلك من العبادات التي تفعل في المساجد، ولهذا كانت عمارة المساجد على قسمين:

عمارة بنيان، وصيانة لها، وعمارة بذكر اسم الله، من الصلاة وغيرها، وهذا أشرف القسمين، ولهذا شرعت الصلوات الخمس والجمعة في المساجد، وجوبًا عند أكثر العلماء، أو استحبابًا عند آخرين. ثم مدح تعالى عمارها بالعبادة ، فقال تعالى: ﴿ يُسَبِّحُ لَهُۥ ﴾ إخلاصًا ﴿ بِٱلۡغُدُوِّ ﴾ أول النهار ﴿ وَٱلۡأٓصَالِ ﴾ آخره »اهـ. ثم ذكر الآيتين التاليتين : ﴿ رِجَالٞ لَّا تُلۡهِيهِمۡ تِجَٰرَةٞ وَلَا بَيۡعٌ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ يَخَافُونَ يَوۡمٗا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلۡقُلُوبُ وَٱلۡأَبۡصَٰرُ ﴿٣٧﴾ لِيَجۡزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحۡسَنَ مَا عَمِلُواْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضۡلِهِۦۗ وَٱللَّهُ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٖ ﴿٣٨﴾ ﴾الآيتان .

ـ ومن فضائل المساجد أن الله شهد لأهلها بالإيمان والهداية فقال سبحانه : ﴿ إِنَّمَا يَعۡمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمۡ يَخۡشَ إِلَّا ٱللَّهَۖ فَعَسَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ أَن يَكُونُواْ مِنَ ٱلۡمُهۡتَدِينَ ﴿١٨﴾ ﴾ [التوبة : ١٨].

ـ والمساجد هي أحب البقاع إلى الله، فقد روى الإمام مسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – قَالَ : « **أَحَبُّ الْبِلَادِ إِلَى اللهِ مَسَاجِدُهَا وَأَبْغَضُ الْبِلَادِ إِلَى اللهِ أَسْوَاقُهَا** ».

قال النووي ـ رَحِمَهُ اللهُ ـ قَوْله : (**أَحَبُّ الْبِلَاد إِلَى اللَّه مَسَاجِدهَا**) ؛ لِأَنَّهَا بُيُوت الطَّاعَات وَأَسَاسهَا عَلَى التَّقْوَى .

قَوْله : (**وَأَبْغَض الْبِلَاد إِلَى اللَّه أَسْوَاقهَا**) ؛ لِأَنَّهَا مَحَلّ الْغِشّ وَالْخِدَاع وَالرِّبَا وَالْأَيْمَان الْكَاذِبَة وَإِخْلَاف الْوَعْد وَالْإِعْرَاض عَنْ ذِكْر اللَّه وَغَيْر ذَلِكَ مِمَّا فِي مَعْنَاهُ ..

وَالْمَسَاجِد مَحَلّ نُزُول الرَّحْمَة ، وَالْأَسْوَاق ضِدّهَا» ا هـ . [١] .

ـ والمساجد بيوت الأتقياء ، لما روى الطبراني والبزار عن أبي الدرداء ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ قال سمعت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول : «المسجد بيت كل تقي » . [٢].

فضل الجلوس في المساجد ومعاهدتها وإقام الصلاة فيها:

تقدم ذكر شيء من فضل المساجد، لكن الفضل يكون منوطا بمعاهدتها والجلوس فيها واغتنام العبادات فيها من الصلاة والذكر وتلاوة القرآن الكريم وغير ذلك.

فقد روى البخاري ومسلم عن أَبِي هُرَيْرَةَ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ عَن النَّبِيِّ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– قَالَ : « **سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللهُ فِي ظِلِّه يَوْمَ لاَ ظِلَّ إِلاَّ ظِلُّهُ: الإِمَامُ الْعَادِلُ، وَشَابٌّ نَشَأَ بِعِبَادَةِ اللَّهِ،وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ فِي الْمَسَاجِد،وَرَجُلاَنِ تَحَابَّا فِي اللَّهِ اجْتَمَعَا عَلَيْه وَتَفَرَّقَا عَلَيْه ، وَرَجُلٌ دَعَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِب وَجَمَال فَقَالَ : إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ، وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ فَأَخْفَاهَا حَتَّى لاَ تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ، وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللَّهَ خَالِيًا فَفَاضَتْ عَيْنَاه** ».

الشاهد قوله: « وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ فِي الْمَسَاجِدِ»:

أي: مداوم على الصلوات والجماعات وكثير من العبادات فيها، لا يرتاح إلا فيها، ولا تخطئه صلاة فيها ، ويلازم حلق الذكر فيها ونحو ذلك من العبادات والقربات التي تؤدى في بيوت الله، فهذا الصنف من السبعة الذين يظلهم الله في ظل عرشه، يوم تدنو الشمس من رؤوس الخلائق مقدار ميل ، فيعرقون فيذهب عرقهم في الأرض سبعين ذراعا، فيظل الله هؤلاء الأصناف في ظله يوم لا ظل إلا ظله.

قال النووي ـ رَحِمَهُ اللَّهُ ـ:في قوله: « وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ فِي الْمَسَاجِد»وَمَعْنَاهُ : شَدِيد الْحُبّ لَهَا وَالْمُلَازَمَة لِلْجَمَاعَةِ فِيهَا ، وَلَيْسَ مَعْنَاهُ : دَوَام الْقُعُود فِي الْمَسْجِد» ا هـ . [٣] .

---

(١)شرح صحيح مسلم (٢/ ٤٧٥)
(٢)حسن:حسنه الألباني في السلسلة الصحيحة (٢/ ٢١٥)(٧١٦)
(٣)شرح مسلم (٣/ ٤٨١)

وأهل المساجد تجالسهم الملائكة وتعينهم وتتفقدهم وتحفهم بأجنحتها ، وينزل الله عليهم الرحمة والسكينة ويذكرهم في الملأ الأعلى.

فقد روى الإمام مسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ عَنِ النَّبِيِّ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– قَالَ: **« مَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللَّهِ تَعَالَى يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ إِلاَّ نَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ وَحَفَّتْهُمُ الْمَلائِكَةُ وَذَكَرَهُمُ اللَّهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ »**.

وروى الإمام أحمد والحاكم عن أبي هريرة ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال : «إن للمساجد أوتادا الملائكة جلساؤهم، إن غابوا يفتقدونهم، وإن مرضوا عادوهم، وإن كانوا في حاجة أعانوهم».

وفي رواية لأحمد: **«قال:وجليسُ المسجدِ على ثلاثِ خصالٍ: أخٍ مستفادٍ، أو كلمةِ حكمةٍ، أو رحمةٍ مُنتَظرةٍ»** [١] .

وروى الترمذي وأحمد عن ابن عباس ـرَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ـ قال : قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«أتاني الليلة ربي تبارك وتعالى في أحسن صورة – قال أحسبه في المنام– فقال يا محمد هل تدري فيم يختصم الملأ الأعلى ؟ قال قلت :لا قال فوضع يده بين كتفي حتى وجدت بردها بين ثديي أو قال في نحري فعلمت ما في السموات وما في الأرض قال يا محمد هل تدري فيم يختصم الملأ الأعلى ؟ قلت نعم، قال في الكفارات والكفارات المكث في المساجد بعد الصلوات والمشي على الأقدام إلى الجماعات: وإسباغ الوضوء في المكاره ومن فعل ذلك عاش بخير ومات بخير وكان من خطيئته كيوم ولدته أمه وقال يا محمد إذا صليت فقل اللهم إني أسألك فعل الخيرات وترك المنكرات وحب المساكين وإذا أردت بعبادك فتنة فاقبضني إليك غير مفتون قال والدرجات إفشاء السلام وإطعام الطعام والصلاة بالليل والناس نيام»** [٢] .

---

(١)حسن:حسنه الألباني في السلسلة الصحيحة (١٤ / ١٣)(٣٤٠١) .
(٢)صحيح: صححه الألباني في السلسلة الصحيحة (١٢ / ٢)(٣١٦٩) .

الشاهد قوله : «والكفارات المكث في المساجد بعد الصلوات والمشي على الأقدام إلى الجماعات» .

فهذه الخصال الحميدة خاصة بأهل المساجد ، لا يتحصل عليها أصحاب الملك والوجاهات بمناصبهم ، ولا أصحاب الدنيا بأموالهم، ولا أصحاب الجيوش بعددهم وعتادهم ، وإنما خص بها أهل المساجد الملازمون لها المتعاهدون لها بعبادة مولاهم جل وعلا، فهنيئا لهم، وأكرم بها من خصائص، وأعظم بها من مكارم .

ويزيد أجر الجلوس في المسجد ، إذا جلس العبد من بعد صلاة الفجر إلى أن تطلع الشمس، ثم ترتفع فيصلي ركعتين.

فقد روى الترمذي عن أنس بن مالك ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : **«من صلى الصبح في جماعة ثم قعد يذكر الله حتى تطلع الشمس ثم صلى ركعتين كانت له كأجر حجة وعمرة»**، قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : **«تامة تامة تامة»**(١)

وهذا الفضل المترتب على هاتين الركعتين، يشترط فيه أن يصلي العبد الفجر في جماعة في بيت من بيوت الله ، ثم يجلس يذكر الله أو يقرأ قرآنًا أو نحو ذلك حتى تشرق الشمس ، ثم ينتظر حتى ترتفع قدر رمح ـ ويقدر مابين ربع ساعة إلى ثلث ساعة ـ ثم يصلي ركعتين ، فإنه يحوز بذلك الأجر العظيم، وهذا كله من فضائل المساجد والجلوس فيها لذكر الله واغتنامها بذلك.

ذم الجلوس في المساجد من أجل الدنيا:

يشترط في الحصول على الأجور المترتبة على الجلوس في المساجد، أن يكون الجالس في المسجد مخلصًا لوجه الله مبتغيًا الأجر من الله، موافقا لسنة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لا رياء ولا سمعة ولا من أجل أغراض دنيوية ولا مآرب حزبية ولا مصالح شخصية، ولا يكون المكث فيها على البدع أوإحيائها، أو إحداث شيء منها،

---

(١) حسن: حسنه الألباني في السلسلة الصحيحة (١٤ / ١٥)(٣٤٠٣) .

فإن كثيرًا من الناس مقصدهم من الجلوس في المساجدهو الدنيا وجمع الأموال ، أو الجلوس على البدع والولاء والبراء من أجل أحزاب محدثة أو شخصيات معينة أو أفكار منحرفة.

فقد روى الطبراني وغيره عن ابن مسعود ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – قَالَ : « **سيكون في آخر الزمان قوم يجلسون في المساجد حلقا حلقا ، إمامهم الدنيا فلا تجالسوهم ، فإنه ليس لله فيهم حاجة** » [(١)] .

فضل الجماعة في المساجد:

إن الاجتماع من حيث الأصل ممدوح ومطلوب شرعا ، حتى في الأمور الدنيوية، فقد حث الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ على جمع الكلمة ووحدة الصف ، فإن الجمع قوة والتفرق ضعف ، والشيطان يتسلط على الواحد ويضعف أمام الجمع.

فقد روى النسائي عَنْ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ، قَالَ : خَطَبَنَا عُمَرُ بِالْجَابِيَةِ فَقَالَ : قَامَ فِينَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَقَامِي فِيكُمُ الْيَوْمَ فَقَالَ : «**أَحْسِنُوا إِلَى أَصْحَابِي ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ، ثُمَّ يَفْشُو الْكَذِبُ حَتَّى يَشْهَدَ الرَّجُلُ عَلَى الشَّهَادَةِ لاَ يُسْأَلُهَا ، وَحَتَّى يَحْلِفَ عَلَى الْيَمِينِ لاَ يُسْأَلُهَا ، فَمَنْ أَرَادَ بُحْبُوحَةَ الْجَنَّةِ فَلْيَلْزَمِ الْجَمَاعَةَ ، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ مَعَ الْوَاحِدِ وَهُوَ مِنَ الإِثْنَيْنِ أَبْعَدُ أَلاَ لاَ يَخْلُوَنَّ أَحَدُكُمْ بِالْمَرْأَةِ ، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ ثَالِثُهُمَا ، وَمَنْ سَرَّتْهُ حَسَنَتُهُ وَسَاءَتْهُ سَيِّئَتُهُ فَهُوَ مُؤْمِنٌ**» [(٢)].

فهكذا جاء الحث على الاجتماع في الدين ، ومن ذلك الاجتماع وقت الصلوات، فشرع الله أن تؤدى الصلوات جماعة في بيوت الله ورتب على ذلك أجورا عظيمة من الدرجات والكفارات، وفي صلاة الجماعة فوائد كثيرة ومقاصد شرعية تظهر لمن

---

(١) حسن: حسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب - (١ / ٧٢)(٢٩٦) وانظر السلسلة الصحيحة (٣ / ١٥١)(١١٦٣)

(٢) صحيح: صححه الألباني في السلسلة الصحيحة (١ / ٧١٧)(٤٣٠) ورواه الترمذي وأحمد وابن حبان والحاكم والطيالسي وأبو يعلى والبيهقي

حافظ على الجماعات، من المحبة والمودة بين المصلين والتعاون على الخير والمشاورة والمزاورة والمناصحة والسؤال عن الدين وأداء الصلاة بأركانها وشروطها وغير ذلك، والذي يتهاون في صلاة الجماعة تفوته جل تلك الفوائد، وربما أدى به الأمر إلى ترك الصلوات بالكلية بسبب ترك الجماعات.

روى البخاري ومسلم عَن ابْنِ عُمَرَ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ـ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ: « **صَلاَةُ الْجَمَاعَةِ أَفْضَلُ مِنْ صَلاَةِ الْفَذِّ بِسَبْعٍ وَعِشْرِينَ دَرَجَةً** ».والفذ :هو الفرد.

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: « **صَلاَةُ الرَّجُلِ فِي جَمَاعَةٍ تَزِيدُ عَلَى صَلاَتِه فِي بَيْتِه وَصَلاَتِه فِي سُوقِه بِضْعًا وَعِشْرِينَ دَرَجَةً، وَذَلِكَ أَنَّ أَحَدَهُمْ إِذَا تَوَضَّأَ فَأَحْسَنَ الْوُضُوءَ، ثُمَّ أَتَى الْمَسْجِدَ لاَ يَنْهَزُهُ إِلاَّ الصَّلاَةُ ،لاَ يُرِيدُ إِلاَّ الصَّلاَةَ، فَلَمْ يَخْطُ خَطْوَةً إِلاَّ رُفِعَ لَهُ بِهَا دَرَجَةٌ ،وَحُطَّ عَنْهُ بِهَا خَطِيئَةٌ ،حَتَّى يَدْخُلَ الْمَسْجِدَ، فَإِذَا دَخَلَ الْمَسْجِدَ كَانَ فِي الصَّلاَةِ مَا كَانَتِ الصَّلاَةُ هِيَ تَحْبِسُهُ، وَالْمَلاَئِكَةُ يُصَلُّونَ عَلَى أَحَدِكُمْ مَا دَامَ فِي مَجْلِسِه الَّذِى صَلَّى فِيهِ، يَقُولُونَ : اللَّهُمَّ ارْحَمْهُ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَهُ ،اللَّهُمَّ تُبْ عَلَيْهِ ؛ مَا لَمْ يُؤْذِ فِيهِ مَا لَمْ يُحْدِثْ فِيهِ** ».متفق عليه .

وفي رواية للبخاري : «**وَلاَ يَزَالُ أَحَدُكُمْ فِي صَلاَةٍ مَا انْتَظَرَ الصَّلاَةَ**».وفي رواية له: « **صَلاَةُ الرَّجُلِ فِي الْجَمَاعَةِ تُضَعَّفُ عَلَى صَلاَتِهِ فِي بَيْتِهِ وَفِي سُوقِهِ خَمْسًا وَعِشْرِينَ ضِعْفًا**» .

وقوله في حديث أبي هريرة المتقدم : «**فَإِذَا دَخَلَ الْمَسْجِدَ كَانَ فِي الصَّلاَةِ مَا كَانَتِ الصَّلاَةُ هِيَ تَحْبِسُهُ وَالْمَلاَئِكَةُ يُصَلُّونَ عَلَى أَحَدِكُمْ مَا دَامَ فِي مَجْلِسِه الَّذِى صَلَّى فِيهِ يَقُولُونَ اللَّهُمَّ ارْحَمْهُ اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَهُ اللَّهُمَّ تُبْ عَلَيْهِ مَا لَمْ يُؤْذِ فِيهِ مَا لَمْ يُحْدِثْ فِيهِ** » .

وتقدم حديث ابن عباس ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قوله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «**والكفارات المكث في المساجد بعد الصلوات والمشي على الأقدام إلى الجماعات**» رواه الترمذي.

ففي هذه الأحاديث بيان فضل الجلوس في المسجد، ودعاء الملائكة للعبد بشرط

ألا يؤذي ولا يحدث فيه حدثا ، كما في حديث أبي هريرة ـ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ ـ ، فإن من الناس من يؤذي بالجدال والخصام والخلاف والصياح في المسجد ، ومنهم من يحدث فيه بدعا وآثاما، فإن الحدث لفظ عام يطلق على معنيين:إما أن يكون بإحداث البدع والآثام والجدال والخصام، فهذا يأثم بأذاه ، ويدل على ذلك قوله : «ما لم يؤذ فيه»وإما بانتقاض الوضوء والطهارة فإن المحدث في المسجد لا يظفر بدعاء الملائكة والله أعلم.

قال الحافظ ـ رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ : « . وقد قيل: المراد بالحدث هنا أعم من ذلك أي ما لم يحدث سوءًا ويؤيده رواية مسلم : «ما لم يحدث فيه ما لم يؤذ فيه» وفي أخرى للبخاري: « ما لم يؤذ فيه يحدث فيه» اهـ . [١]

وقال ابن الجوزي ـ رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ: «إذا قعد المتوضئ ينتظر الصلاة أعطي حكم المصلي فإذا أحدث خرج عن تلك الحالة» اهـ . [٢]

الجمع بين الروايتين، قوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : «**بسبع وعشرين درجة**» ، وقوله : «**خمسًا وعشرين درجة**» أي في فضل الجماعة:

الصلاة تختلف من شخص لآخر ومن مسجد لآخرمن حيث إقامتها، فإنه كلما كان العبد أخشع في صلاته وأقرب إلى السُّنَّة ، ويؤديها بشروطها وأركانها وسننها ويحضر قلبه فيها، فإنها تكون أفضل والأجر فيها أكثر والدرجات فيها أكمل، وبالعكس كلما حصل نقص في الصلاة مما تقدم ذكره فإن النقص يكون فيها بقدر ذلك الخلل ، وقد تبطل الصلاة إذا فقد فيها أحد أركانها أو شروطها.

وكلما كانت الصلاة في مسجد أقرب إلى السُّنَّة، وتؤدى على السُّنَّة، كما صلاها النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فإنهاتكون أكثر أجورا، وكلما كان المصلون أكثر عددا ، كانت

(١) الفتح (١ / ٥٣٨) .
(٢) كشف المشكل من حديث الصحيحين – (١ / ٩٦٢).

الجماعة أزكى مما لو كان عدد المصلين أقل، وهلم جرا.

قال النووي ـ رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ : «وَالْجَمْع بَيْنهَا مِنْ ثَلَاثَة أَوْجُه :

أَحَدهَا : أَنَّهُ لَا مُنَافَاة بَيْنهَا فَذِكْر الْقَلِيل لَا يَنْفِي الْكَثِير ، وَمَفْهُوم الْعَدَد بَاطِل عِنْد جُمْهُور الْأُصُولِيِّينَ .

وَالثَّانِي: أَنْ يَكُون أَخْبَرَ أَوَّلًا بِالْقَلِيلِ، ثُمَّ أَعْلَمَهُ اللَّهُ تَعَالَى بِزِيَادَةِ الْفَضْل فَأَخْبَرَ بِهَا.

الثَّالِث : أَنَّهُ يَخْتَلِف بِاخْتِلَافِ أَحْوَال الْمُصَلِّينَ وَالصَّلَاة ، فَيَكُون لِبَعْضِهِمْ خَمْس وَعِشْرُونَ وَلِبَعْضِهِمْ سَبْع وَعِشْرُونَ ، بِحَسَبِ كَمَال الصَّلَاة وَمُحَافَظَته عَلَى هَيْئَاتهَا وَخُشُوعهَا ، وَكَثْرَة جَمَاعَتهَا وَفَضْلهمْ ، وَشَرَف الْبُقْعَة وَنَحْو ذَلِكَ ، فَهَذِهِ هِيَ الْأَجْوِبَة الْمُعْتَمَدَة» اهـ . [1] .

فضل انتظار الصلاة بعد الصلاة:

تقدم حديث أبي هريرة ـ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ ـ في الصحيحين عند قوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : «فَإِذَا دَخَلَ الْمَسْجِدَ كَانَ فِي الصَّلاَةِ مَا كَانَتِ الصَّلاَةُ هِيَ تَحْبِسُهُ».

وفي رواية للبخاري : «**وَلاَ يَزَالُ أَحَدُكُمْ فِي صَلاَةٍ مَا انْتَظَرَ الصَّلاَةَ**».

بمعنى أنه يكتب له أجر صلاة أخرى.

قال صاحب المنتقى ـ رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ : قَوْلُهُ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: « **لَا يَزَالُ أَحَدُكُمْ فِي صَلَاةٍ مَا دَامَتْ الصَّلَاةُ تَحْبِسُهُ**» يُرِيدُ أَنَّ حُكْمَهُ حُكْمُ مَنْ هُوَ فِي صَلَاةٍ فِي كَثْرَةِ ثَوَابِهِ إذَا نَوَى بِمُقَامِهِ فِي مَوْضِعِهِ انْتِظَارَ الصَّلَاةِ، لَا يَكُونُ لِمُقَامِهِ وَامْتِنَاعِهِ مِنْ الِانْقِلَابِ إلَى أَهْلِهِ مَعْنًى غَيْرُ انْتِظَارِ الصَّلَاةِ فِي الْمَسْجِدِ، وَقَدْ يَكُونُ انْتِظَارُ الصَّلَاةِ لِمَعْنَيَيْنِ :

أَحَدُهُمَا، أَنْ يَنْتَظِرَ وَقْتَهَا ، وَالثَّانِي، أَنْ يَنْتَظِرَ إقَامَتَهَا فِي الْجَمَاعَةِ ، وَفِي الْمَبْسُوطِ سُئِلَ مَالِكٌ عَنْ رَجُلٍ صَلَّى فِي غَيْرِ جَمَاعَةٍ ثُمَّ قَعَدَ بِمَوْضِعِهِ يَنْتَظِرُ صَلَاةً أُخْرَى أَتَرَاهُ

(١) شرح صحيح مسلم (٢ / ٤٤٨).

فِي صَلَاةٍ بِمَنْزِلَةِ مَنْ كَانَ فِي الْمَسْجِدِ كَمَا جَاءَ فِي الْحَدِيثِ؟ قَالَ : نَعَمْ إِنْ شَاءَ اللَّهُ، أَرْجُو أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ» اهـ . [١] .

وروى الترمذي عن ابن عباس ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ـ قال قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : «أتاني الليلة ربي (وفي رواية)رأيت ربي في أحسن صورة فقال لي: يا محمد قلت لبيك ربي وسعديك، قال هل تدري فيم يختصم الملأ الأعلى؟ قلت :لا أعلم ، فوضع يده بين كتفي حتى وجدت بردها بين ثديي، أو قال في نحري، فعلمت ما في السموات وما في الأرض، أو قال ما بين المشرق والمغرب، قال: يا محمد أتدري فيم يختصم الملأ الأعلى؟ قلت :نعم، في الدرجات، والكفارات، ونقل الأقدام إلى الجماعات، وإسباغ الوضوء في السبَرات، وانتظار الصلاة بعد الصلاة، ومن حافظ عليهن عاش بخير ومات بخير وكان من ذنوبه كيوم ولدته أمه » . [٢]

وروى البزار واللفظ له والبيهقي وغيرهماعن أنس ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال: « **ثلاث كفارات، وثلاث درجات، وثلاث منجيات، وثلاث مهلكات ، فأما الكفارات، فإسباغ الوضوء في السَبَرات، وانتظار الصلاة بعد الصلاة، ونقل الأقدام إلى الجماعات ، وأما الدرجات فإطعام الطعام، وإفشاء السلام، والصلاة بالليل والناس نيام ، وأما المنجيات، فالعدل في الغضب والرضا، والقصد في الفقر والغنى، وخشية الله في السر والعلانية ، وأما المهلكات ، فشح مطاع، وهوى متبع، وإعجاب المرء بنفسه** » . [٣] والسَبَرات :هي شدة البرد.

الشاهد هو قوله: «وانتظار الصلاة بعد الصلاة»فإن ذلك من مكفرات الذنوب والسيئات.

---

(١) شرح الموطأ (١ / ٣٩٤) .

(٢) صحيح:صحححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب - (١ / ٤٦)(١٩٤) وهوعند البزار والطيالسي.

(٣)حسن:حسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب - (١ / ١٠٨)(٤٥٣).

المبحث الثاني
فضل المسجد الحرام واغتنامه

تقدم أن ذكرنا أن خير البلاد وأحبها إلى الله وإلى رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لهي مكة المكرمة، واختصت بخصائص كثيرة ومزايا عديدة ، منها: أن فيها المسجد الحرام بما فيه قبلة المسلمين، فإن المسجد الحرام هو خير البقاع، وهو أفضل المساجد على الإطلاق، وهو أول بيت وضع للناس ، وطهره الله وشرفه على سائر البقاع، وجعل الصلاة فيه خيرًا من مائة ألف صلاة ،وتوعد من ألحد فيه أو أحدث فيه حدثا بالعذاب الأليم ، وجعله آمن البيوت، فلا يجوز تخويف الحيوانات فيه فضلا عن بني آدم.

قَالَ تَعَالَى: ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ ﴿٩٦﴾ فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَن دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴿٩٧﴾ ﴾ [آل عمران : ٩٦ – ٩٧] .

و قَالَ تَعَالَى: ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا وَيُتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَكْفُرُونَ ﴿٦٧﴾ ﴾ [العنكبوت : ٦٧] .

وروى البخاري ومسلم واللفظ له عَنْ أَبِي ذَرٍّ ـ رضي الله ـ قَالَ : قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَيُّ مَسْجِد وُضِعَ فِي الأَرْض أَوَّلُ؟ قَالَ :« **الْمَسْجِدُ الْحَرَامُ** ». قُلْتُ : ثُمَّ أَيٌّ؟ قَالَ: «**الْمَسْجِدُ الأَقْصَى** ». قُلْتُ : كَمْ بَيْنَهُمَا؟، قَالَ :« **أَرْبَعُونَ سَنَةً وَأَيْنَمَا أَدْرَكَتْكَ الصَّلاَةُ فَصَلِّ فَهُوَ مَسْجِدٌ** ». وَفِي حَدِيثِ أَبِي كَامِلٍ « **ثُمَّ حَيْثُمَا أَدْرَكَتْكَ الصَّلاَةُ فَصَلِّهْ فَإِنَّهُ مَسْجِدٌ** ».

فمن فضائل المسجد الحرام : أن الأجور فيه مضاعفة ، والصلاة فيه أفضل من مائة ألف صلاة :

فقد روى البخاري ومسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ يَبْلُغُ بِهِ النَّبِيَّ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – قَالَ : « **صَلاَةٌ فِي مَسْجِدِي هَذَا أَفْضَلُ مِنْ أَلْفِ صَلاَةٍ فِيمَا سِوَاهُ إِلاَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ** ».

وروى أحمد عن جابر ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: « صلاة في مسجدي أفضل من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام وصلاة في المسجد الحرام أفضل من مائة ألف صلاة فيما سواه » .[1]

فيه فضل الصلاة فيه على ما سواه من المساجد سواء كانت فريضة أم نافلة، لعموم الحديث.

ومن خصائصه : أنه مسرى نبينا محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى المسجد الأقصى ثم إلى سدرة المنتهى :

قَالَ تَعَالَىٰ : ﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١﴾ ﴾[الإسراء: ١].

ومن خصائصه : أن الله تعالى حرم القتال عنده:

قَالَ تَعَالَىٰ : ﴿ وَلَا تُقَٰتِلُوهُمْ عِندَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَٰتِلُوكُمْ فِيهِ ۖ فَإِن قَٰتَلُوكُمْ فَٱقْتُلُوهُمْ ۗ كَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٩١﴾ ﴾ [البقرة : ١٩١].

ومن خصائصه : أنه لا يحل لمشرك أن يدخله:

قَالَ تَعَالَىٰ : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا۟ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَٰذَا ۚ وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦٓ إِن

---

(١)صحيح: صححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب – (٢ / ٢١)(١١٧٣) والوادعي في الصحيح المسند(١ / ١٨٨)(٢٢٨) وهوعند ابن ماجه والبيهقي.

شَآءَۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ٢٨﴾ [التوبة: ٢٨].

ومن خصائصه: أن الله جعل الناس فيه سواءً في زيارته والنزول فيه وسكناه، وتوعد من هم فيه بمعصية بالعذاب الأليم:

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ ٱلَّذِي جَعَلۡنَٰهُ لِلنَّاسِ سَوَآءً ٱلۡعَٰكِفُ فِيهِ وَٱلۡبَادِۚ وَمَن يُرِدۡ فِيهِ بِإِلۡحَادِۢ بِظُلۡمٖ نُّذِقۡهُ مِنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ ٢٥﴾ [الحج: ٢٥].

قال المفسر السعدي ـ رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ: «يخبر تعالى عن شناعة ما عليه المشركون الكافرون بربهم، وأنهم جمعوا بين الكفر بالله ورسوله، وبين الصد عن سبيل الله ومنع الناس من الإيمان، والصد أيضًا عن المسجد الحرام، الذي ليس ملكًا لهم ولا لآبائهم، بل الناس فيه سواء، المقيم فيه، والطارئ إليه، بل صدوا عنه أفضل الخلق محمدا وأصحابه، والحال أن هذا المسجد الحرام، من حرمته واحترامه وعظمته، أن من يرد فيه بإلحاد بظلم نذقه من عذاب أليم.

فمجرد إرادة الظلم والإلحاد في الحرم، موجب للعذاب، وإن كان غيره لا يعاقب العبد عليه إلا بعمل الظلم، فكيف بمن أتى فيه أعظم الظلم، من الكفر والشرك، والصد عن سبيله، ومنع من يريده بزيارة، فما ظنكم أن يفعل الله بهم؟» اهـ.

وروى البخاري عَن ابْنِ عَبَّاس ـ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا ـ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**أَبْغَضُ النَّاسِ إِلَى اللهِ ثَلَاثَةٌ مُلْحِدٌ فِي الْحَرَمِ وَمُبْتَغٍ فِي الإِسْلَامِ سُنَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ وَمُطَّلِبُ دَمِ امْرِيءٍ بِغَيْرِ حَقٍّ لِيُهَرِيقَ دَمَهُ**».

قال التبريزي (ملحد في الحرم) أي ظالم أو عاص فيه، والإلحاد الميل عن الصواب، والعدول عن القصد. قال الحافظ: وظاهر سياق الحديث أن فعل الصغيرة في الحرم أشد من فعل الكبيرة في غيره، فإن مرتكب الصغيرة مائل عن الحق والقصد، وهو

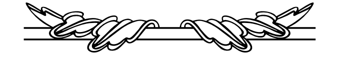
مشكل ، فتعين أن المراد بالإلحاد فعل الكبيرة.

وقال القسطلاني: أجيب بأن الإلحاد في العرف مستعمل في الخارج عن الدين ، فإذا وصف به من ارتكب معصية كان في ذلك إشارة إلى عظمها» اهـ . [(١)].

ومن خصائص المسجد الحرام : أنه أحد المساجد الثلاثة التي يشرع شد الرحال إليها.

فقد روى البخاري ومسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - يَبْلُغُ بِهِ النَّبِيَّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - « **لاَ تُشَدُّ الرِّحَالُ إِلاَّ إِلَى ثَلاَثَةِ مَسَاجِدَ ؛ مَسْجِدِي هَذَا ، وَمَسْجِدِ الْحَرَامِ، وَمَسْجِدِ الأَقْصَى** ».

فينبغي الإكثار من الصلاة في هذا المسجد المبارك ، لمن كان من أهل تلك البلاد أو وفقه الله لزيارته.



(١) مشكاة المصابيح (١ / ٥٦٨) .

المبحث الثالث

فضل المسجد النبوي واغتنامه



تقدم ذكر فضل المدينة لما خصها الله تعالى بخصائص كثيرة ، ومنها وجود المسجد النبوي فيها، فإنه أفضل المساجد وأشرفها بعد المسجد الحرام ، ومنه انتشر الدين، وانطلق المجاهـدون، وتخرج منه السادة والقادة والعلماء الربانيون، من الصحابة والتابعين ، رضوان الله عليهم أجمعين ، والأجور فيه مضاعفة ، والصلاة فيه خير من ألف صلاة فيما سواه، وفيه روضة من رياض الجنة.

فقد روى البخاري ومسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « **صَلاَةٌ فِي مَسْجِدِي هَذَا خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ صَلاَةٍ فِيمَا سِوَاهُ إِلاَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ**».

فالصلاة فيه مضاعفة سواء كانت فريضة أو نافلة، لعموم الحديث.

وسواء كانت الصلاة في أصل مسجد رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أو في التوسعة فإن لها حكم المسجد.

قال الشيخ عبد المحسن العباد ـ حفظه الله ـ :«إنَّ التضعيفَ الواردَ في الحديثِ ليس مُختصًّا في البقعة التي هي المسجد في زمانه -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -، بل لَها ولكلِّ ما أُضيفَ إلى المسجدِ من زياداتٍ، ويَدلُّ على ذلك أنَّ الخليفَتَيْن الرَّاشدَين عمر وعثمان رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا زادا المسجد من الجهةِ الأماميَّة، ومِن المعلوم أنَّ الإمامَ والصفوفَ التي تليه في الزيادة خارجُ المسجد الذي كان في زمنه -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -، فلولا أنَّ الزيادةَ لَها حكمُ المزيد لَما زاد هذان الخليفتان المسجدَ من الجهةِ الأمامية، وقد كان الصحابةُ في وقتِهما متوافِرين ولَم يعترِض أحدٌ على فِعلِهما، وهو واضحُ الدِّلالةِ على أنَّ التضعيفَ

ليس خاصًّا بالبُقعةِ التي كانت هي المسجد في زمنِه- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ» اهـ . [(١)]

ومن خصائص المسجد النبوي: أنه أحد المساجد الثلاثة التي يشرع شد الرحال إليها:

فقد روى البخاري ومسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ يَبْلُغُ بِهِ النَّبِيَّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- « **لاَ تُشَدُّ الرِّحَالُ إِلاَّ إِلَى ثَلاَثَةِ مَسَاجِدَ ، مَسْجِدِي هَذَا ، وَمَسْجِدِ الْحَرَامِ ، وَمَسْجِدِ الأَقْصَى** ».

فضل الروضة:

روى البخاري ومسلم عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ زَيْدٍ الأَنْصَارِيِّ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ أن النَّبِيَّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قال: « **ما بين بَيتِي ومِنبَري رَوضةٌ من رياض الجَنَّة** ».

قال ابن بطال ـ رَحِمَهُ اللهُ ـ : «وإنما عنى - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أن ذلك الموضع للمصلى فيه، والذاكر الله عنده والعامل بطاعته كالعامل في روضة من رياض الجنة، وأن ذلك يقود إلى الجنة» ا هـ . [(٢)]

وقال الشيخ العباد : «وتَخصيصُها بهذا الوصفِ دون غيرها من المسجدِ يدلُّ على فضلِها وتَميُّزِها، وذلك يكون بأداء النَّوافلِ فيها، وكذا ذِكر الله وقراءةُ القرآن فيها إذا لَم يَحصلْ إضرارٌ بأحدٍ فيها أو في الوصولِ إليها، أمَّا صلاةُ الفريضةِ فإنَّ أداءَها في الصفوفِ الأماميَّة أفضلُ؛ لقولِه - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: « خيرُ صفوفِ الرِّجال أوَّلُها وشرُّها آخرُها » ، رواه مسلم، وقوله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: « لو يَعلمُ الناسُ ما في النِّداءِ والصفِّ الأولِ، ثمَّ لَم يَجِدوا إلاَّ أن يسْتَهِموا عليه لاسْتَهَموا عليه » ، رواه البخاري ومسلم» ا هـ . [(٣)] .

---

(١) فضل المدينة وآداب سكناها وزيارتها (١ / ٨) .
(٢) شرح صحيح البخاري (٥ / ١٩٩).
(٣) فضل المدينة وآداب سكناها وزيارتها - (١ / ٩).

فينبغي الإكثار من الصلاة في هذا المسجد المبارك لمن كان من أهل تلك البلاد، أو وفقه الله لزيارته، ثم زيارة قبر النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وصاحبيه، والسلام عليهم، ولا يشرع تخصيص زيارة قبر النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وصاحبيه ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا ـ ، أو السفر وشد الرحال من أجله فإن ذلك من البدع ، وذريعة إلى الشرك، وإنما تكون زيارتهم على الطريق من زيارة المسجد النبوي تبعا لا استقلالاً.

شبهة والرد عليها:

استدل كثير من الضلال القبوريين والمبتدعة على جواز إدخال القبور في المساجد، أو جواز بناء المساجد على القبوراستدلالا بقبر رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وذلك أنه داخل المسجد النبوي.

والرد عليهم من وجوه:

أولها: أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نهى عن ذلك ولعن من فعل ذلك ، في أحاديث كثيرة صحيحة صريحة محكمة غير منسوخة.

ثانيها :أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قُبر في حجرة عائشة ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا ولم يقبر في مسجده.

ثالثها:أن توسعة المسجد حصلت بعد موته في عهد الدولة الأموية حتى جعلوا قبره صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في المسجد، وقد أنكر عليهم بعض التابعين ومن بقي من الصحابة آنذاك، فأصر أمراء بني أمية على ذلك، وفعلهم ليس بحجة، فالمسألة دولية لا دليلية.

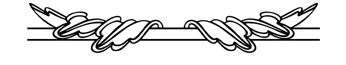
رابعها:أنه يوجد على قبره صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثلاثة جدران بحيث لا يستطيع أحد استقبال قبره.

وربما يوجد وجوه أخرى كثيرة في الرد على المجيزين لإدخال القبر في المسجد ، فشبهتهم واهية ، وحجتهم داحضة ، وقلوبهم زائغة، فليس بعد الحق إلا الضلال.

قال الشيخ العباد ـ رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ: «ابتُلِيَ كثيرٌ من المسلمين في كثيرٍ من الأقطارِ الإسلامية ببناء المساجد على القبور، أو دفن الموتى في المساجد، وقد يتشبَّثُ بعضُهم لتسويغ ذلك بوجود قبرِه - صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - في مسجدِه، ويُجابُ عن هذه الشُّبهةِ بأنَّ النَّبيَّ - صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - هو الذي بنى المسجدَ أولَ قدومِه المدينة، وبنى بيوتَه التي تسكنُها أُمَّهاتُ المؤمنين بجوارِ مسجِدِه، ومنها بيت عائشة الذي دُفِن فيه - صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -، وبقيت هذه البيوتُ كما هي خارج المسجد في زمن الخلفاء الرَّاشدين رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وزمن معاوية رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وزمن خلفاء آخرين بعده، وفي أثناء خلافة بني أُميَّة وُسِّع المسجدُ وأُدخلَ بيتُ عائشةَ الذي قُبِرَ فيه - صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - في المسجد، وقد جاء عن النَّبِيِّ - صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أحاديثُ مُحكمةٌ لا تَقبلُ النسخَ تدلُّ على تحريم اتِّخاذِ القبور مساجد، منها حديثُ جندب بن عبد الله البجليِّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ الذي سمِعَه من رسول الله - صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قبل وفاتِه بخمسِ ليالٍ قال فيه: سَمِعتُ رسول الله - صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قبل أن يَموتَ بخمس يقول: « **إنِّي أبرَأُ إلى الله أن يكون لي منكم خليلٌ، فإنَّ اللهَ اتَّخذَني خليلاً كما اتَّخذَ إبراهـيمَ خليلاً، ولو كنتُ متَّخَذاً من أُمَّتي خليلاً لاتَّخذتُ أبا بَكرٍ خليلاً، ألاَ وإنَّ مَن كان قبلكم كانوا يتَّخذون قبورَ أنبيائهم وصالِحيهم مساجد، ألاَ فلا تتَّخذوا القبورَ مساجدَ فإنِّي أنهاكم عن ذلك** » . رواه مسلمٌ في صحيحه.

بل إنَّ النَّبِيَّ - صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - لَمَّا نزل به الموتُ حذَّرَ من اتِّخاذ القبور مساجد كما في الصحيحين عن عائشة وابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ قالاَ : «لَمَّا نزل برسول الله - صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - طَفِقَ يَطرحُ خميصةً على وجهه، فإذا اغتمَّ كشفها عن وجهه، فقال وهو كذلك: لعنةُ الله على اليهودِ والنصارى اتَّخذوا قبورَ أنبيائِهم مساجد، يُحذِّرُ ما صَنعُوا ».

فهذه الأحاديثُ عن عائشة وابن عباس وجندب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ مُحكمةٌ لا تقبلُ النسخَ بحالٍ من الأحوالِ؛ لأنَّ حديثَ جندبٍ في آخر أيامه، وحديثَي عائشة وابن عباس في آخر لحظاتِه - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -، فلا يجوزُ لأحدٍ من المسلمين أفراد أو جماعات تَركُ ما دلَّت عليه هذه الأحاديث الصحيحةُ المُحكَمة، والتعويلُ على عملٍ حصل في أثناء عهدِ بني أُمَيَّة، وهو إدخالُ القبر في مسجدِه - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فيستدلُّ بذلك على جواز بناءِ المساجد على القبور أو دفن الموتَى في المساجد» اهـ. [(١)].



(١) المصدر السابق (١/ ١٠/ ١١)

المبحث الرابع

(فضل المسجد الأقصى)

واغتنام الصلاة فيه



للمسجد الأقصى فضائل عديدة ، منها أنه في الأرض التي بارك الله فيها، ومنها أنه معراج نبينا صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى سدرة المنتهى، ومنها أنه ثاني بيت وضع للناس، والصلاة فيه مضاعفة ، وهي من مكفرات الذنوب، وهي بمائتين وخمسين صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام والمسجد النبوي.

فقد روى البخاري ومسلم واللفظ له عَنْ أَبِي ذَرٍّ ـ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ ـ قَالَ : قُلْتُ :يَا رَسُولَ اللَّهِ أَيُّ مَسْجِدٍ وُضِعَ فِي الأَرْضِ أَوَّلُ؟ قَالَ :« **الْمَسْجِدُ الْحَرَامُ** ». قُلْتُ ثُمَّ أَيٌّ؟ قَالَ : « **الْمَسْجِدُ الأَقْصَى** ». قُلْتُ كَمْ بَيْنَهُمَا؟ قَالَ : « **أَرْبَعُونَ سَنَةً وَأَيْنَمَا أَدْرَكَتْكَ الصَّلاَةُ فَصَلِّ فَهُوَ مَسْجِدٌ** ».

وَفِي حَدِيثِ أَبِي كَامِلٍ « **ثُمَّ حَيْثُمَا أَدْرَكَتْكَ الصَّلاَةُ فَصَلِّهْ فَإِنَّهُ مَسْجِدٌ** ».

وروى البيهقي والحاكم عن أبي ذر ـ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ ـ أنه سأل رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن الصلاة في بيت المقدس أفضل، أو في مسجد رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؟، فقال: «**صلاة في مسجدي هذا أفضل من أربع صلوات فيه، ولنعم المصلى هو أرض المحشر والمنشر ،وليأتين على الناس زمان ولقيد سوط أو قال: قوس الرجل حيث يرى منه بيت المقدس خير له ،أو أحب إليه من الدنيا جميعا**»[١] .

---

(١)صحيح :صححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٢ / ٢٢)(١١٧٩) .

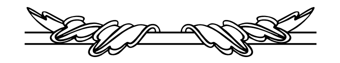
وروى النسائي عن عبد الله بن عمرو ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أن سليمان بن داود صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لما بنى بيت المقدس سأل الله عز وجل خلالا ثلاثة، سأل الله عز وجل حكما يصادف حكمه فأوتيه، وسأل الله عز وجل ملكًا لا ينبغي لأحد من بعده فأوتيه، وسأل الله عز وجل حين فرغ من بناء المسجد أن لا يأتيه أحد لا ينهزه إلا الصلاة فيه أن يخرجه من خطيئته كيوم ولدته أمه » .[1]

ومن خصائص المسجد الأقصى: أنه أحد المساجد الثلاثة التي يشرع شد الرحال إليها:

فقد روى البخاري ومسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ يَبْلُغُ بِهِ النَّبِيَّ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ « **لاَ تُشَدُّ الرِّحَالُ إِلاَّ إِلَى ثَلاَثَةِ مَسَاجِدَ ، مَسْجِدِي هَذَا ، وَمَسْجِدِ الْحَرَامِ ، وَمَسْجِدِ الأَقْصَى** ».

وسيأتي يوم بإذن الله يكون المسجد الأقصى في حوزة المسلمين كما وعد بذلك الذي لا ينطق عن الهوى .

فنسأل الله العظيم رب العرش العظيم ، أن يطهر الأقصى من قبضة اليهود المعتدين.



(١) صحيح: صححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب - (٢ / ٢٢)(١١٧٨). ورواه أحمد وابن ماجه وابن خزيمة وابن حبان والحاكم

المبحث الخامس
(فضل مسجد قباء)
واغتنام الصلاة فيه

إن لمسجد قباء فضلًا ومزيةً على كثير من المساجد، فهو أول مسجد أسس على التقوى من أول يوم، فإن أول عمل قام به النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عند وصوله إلى المدينة عام الهجرة هو بناء مسجد قباء، ومن فضائله أن الصلاة فيه كأجر عمرة، وكان النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يكثر من زيارته.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ ۚ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا۟ ۚ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُطَّهِّرِينَ ﴿١٠٨﴾ ﴾ [التوبة: ١٠٨].

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: « . ثم حثه على الصلاة في مسجد قُباء الذي أسس من أول يوم بنائه على التقوى، وهي طاعة الله، وطاعة رسوله، وجمعا لكلمة المؤمنين ومَعقلا وموئلا للإسلام وأهله؛ ولهذا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ ۚ ﴾ والسياق إنما هو في معرض مسجد قباء» اهـ.

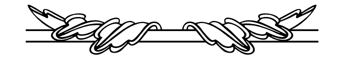
وقال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في قوله تعالى: ﴿ لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ ﴾ ظهر فيه الإسلام في «قباء» وهو مسجد «قباء» أسس على إخلاص الدين لله، وإقامة ذكره وشعائر دينه، وكان قديما في هذا عريقا فيه، فهذا المسجد الفاضل ﴿ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ ۚ ﴾ وتتعبد، وتذكر الله تعالى فهو فاضل، وأهله فضلاء، ولهذا مدحهم الله بقوله: ﴿ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا۟ ۚ ﴾ من الذنوب، ويتطهروا من الأوساخ، والنجاسات والأحداث.

ومن المعلوم أن من أحب شيئا لا بد أن يسعى له ويجتهد فيما يحب، فلا بد أنهم كانوا حريصين على التطهر من الذنوب والأوساخ والأحداث، ولهذا كانوا ممن سبق إسلامه، وكانوا مقيمين للصلاة، محافظين على الجهاد، مع رسول الله ﷺ، وإقامة شرائع الدين، وممن كانوا يتحرزون من مخالفة الله ورسوله» اهـ . .

وروى البخاري عن ابْنِ عُمَرَ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا- أنه كَانَ لاَ يُصَلِّي مِنَ الضُّحَى إِلاَّ فِي يَوْمَيْنِ يَوْمَ يَقْدَمُ بِمَكَّةَ ، فَإِنَّهُ كَانَ يَقْدمُهَا ضُحًى فَيَطُوفُ بِالْبَيْتِ ثُمَّ يُصَلِّي رَكْعَتَيْنِ خَلْفَ الْمَقَامِ وَيَوْمَ يَأْتِي مَسْجِدَ قُبَاءٍ ، فَإِنَّهُ كَانَ يَأْتِيهِ كُلَّ سَبْتٍ فَإِذَا دَخَلَ الْمَسْجِدَ كَرِهَ أَنْ يَخْرُجَ مِنْهُ حَتَّى يُصَلِّيَ فِيهِ قَالَ : وَكَانَ يُحَدِّثُ أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ كَانَ يَزُورُهُ رَاكِبًا وَمَاشِيًا .

وروى الترمذي عن أُسَيْدِ بْنِ ظهَيْرٍ الأَنْصَارِيِّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - وَكَانَ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى الله عَلَيْهِ وسَلَّمَ ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى الله عَلَيْهِ وسَلَّمَ ، أَنَّهُ قَالَ : «**صَلاَةٌ فِي مَسْجِدِ قُبَاءٍ كَعُمْرَةٍ**» (١) .

فيستحب لمن كان في المدينة ، أو زارها أن يزور مسجد قباء ، ويصلي فيه ما شاء الله له.



(١) صحيح: صححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب - (٢ / ٢٣)(١١٨٠) وهو عند ابن ماجه والبيهقي .

الباب الثالث

فضل ماجاء في الأعمال المباركة



تقدم في أول الكتاب فضل الأعمال عموما، ونذكر هنا فضل بعض الأعمال على وجه الخصوص، وتقدم أن الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة، وسنذكر هنا أعمالاً هي أعظم في الأجر وأكثر في الفضل، منها:

التوحيد وفضله وتحقيقه وهو العمل بـ (لا إله إلا الله):

كلمة التوحيد، هي لا إله إلا الله. وهي كلمة الإخلاص، وكلمة التقوى، والعروة الوثقى، والكلمة الطيبة، والكلمة الباقية، وهي الميثاق، والقول الصواب، وهي الحجة، وأفضل الذكر، وهي أعظم حسنة، وهي خير الكلام ، وكلمة الإسلام، ومفتاح دار السلام، وهي أول أركان الإسلام ودعائمه العظام لا يقبل من أحد الإسلام إلا بها.

فهي أعظم كلمة ، وأثقل شيء في الميزان، وأثقل من السماوات والأرض، فمن أجلها خلق الله المخلوقات وبسط الأرض ورفع السماوات ، ومن أجلها جردت السيوف من مغامدها بين أهلها وأعدائها، فمن قالها عصم دمه وماله إلا بحقها، ومن مات عليها دخل الجنة وإن أصابه قبل ذلك ما أصاب ، وهي من أعظم المكفرات ، ومن أسباب تفريج الكربات في الدنيا والآخرة ، ومن أسباب النجاة من النار، لمن كان من أهلها قولاً وعملا واعتقادا ودعوة إلى ذلك.

فمن عظمتها أن الله شهد بها لنفسه وأشهد ملائكته وأشهد أولي العلم ، قال الله تبارك وتعالى في كتابه الكريم : ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ

قَآئِمَۢا بِٱلۡقِسۡطِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿١٨﴾ [آل عمران:١٨].

قال المفسر البغوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسيره: مَعْنَى شَهَادَةِ اللَّهِ: الْإِخْبَارُ وَالْإِعْلَامُ، وَمَعْنَى شَهَادَةِ الْمَلَائِكَةِ وَالْمُؤْمِنِينَ: الإقرار. اهـ.

ومن فضائل هذه الكلمة العظيمة أنها أثقل شيء في الميزان فلا يقابلها شيء من الذنوب ولو كثرت، كما هو حال صاحب البطاقة الذي خلصه الله بكلمة التوحيد وقد نشرت له السجلات الكثيرة والمليئة بالذنوب فنجا وغفر الله له.

فقد روى الترمذي عن عَبْد الله بْن عَمْرو بْن العَاص ـ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ: « **إِنَّ اللهَ سَيُخَلِّصُ رَجُلاً منْ أُمَّتي عَلَى رُءوس الخَلائق يَوْمَ القِيَامَة فَيَنْشُرُ عَلَيْه تسْعَةً وَتسْعينَ سجلًّا كُلُّ سجلٍّ مثْلُ مَدِّ البَصَر، ثُمَّ يَقُولُ: أَتُنْكرُ منْ هَذَا شَيْئًا؟ أَظَلَمَكَ كَتَبَتي الحَافظُونَ؟ فَيَقُولُ: لاَ يَا رَبِّ، فَيَقُولُ: أَفَلَكَ عُذْرٌ؟ فَيَقُولُ: لاَ يَا رَبِّ، فَيَقُولُ: بَلَى إِنَّ لَكَ عنْدَنَا حَسَنَةً، فَإِنَّهُ لاَ ظُلْمَ عَلَيْكَ اليَوْمَ، فَتَخْرُجُ بطَاقَةٌ فيهَا: أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، فَيَقُولُ: احْضُرْ وَزْنَكَ، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ مَا هَذه البطَاقَةُ مَعَ هَذه السِّجلاَّت، فَقَالَ: إِنَّكَ لاَ تُظْلَمُ، قَالَ: فَتُوضَعُ السِّجلاَّتُ في كَفَّةٍ وَالبِطَاقَةُ فِي كَفَّةٍ، فَطَاشَتِ السِّجِلاَّتُ وَثَقُلَتِ البِطَاقَةُ، فَلاَ يَثْقُلُ مَعَ اسْمِ اللهِ شَيْءٌ**»[1].

فهذا الفضل في حق من عمل بمقتضاهـا، وحقق شروطها، واجتنب نواقضها.

قال الشيخ عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ: « فهناك فرق بين هذا الإنسان الذي قال: لا إله إلا الله، بعلم ويقين وإقرار وصدق ومحبة، فيغفر له بذلك ما كان من ذنوبه، ومن قالها بغير توفير شروطها، والله أعلم من يستحق الجنة ممن قال لا إله إلا الله، ومن يستحق النار من أهل لا إله إلا الله ... فمن قالها مخلصًا من قلبه، مقرا موقنا بها، محبا

---

(١) صحيح: صححه الألباني في السلسلة الصحيحة (١/ ٢١٢) برقم(١٣٥) ورواه أحمد وابن ماجه وابن حبان والحاكم والبيهقي.

لها ولأهلها ، محبا لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، راضيا بدينه ، مخلصًا في عمله ، هذا تنفعه هذه الكلمة يوم القيامة ، حتى وإن أتى بمعاصٍ كثيرة. ا هـ .

فيجب تعلم شروط هذه الكلمة العظيمة والعمل بها والاهتمام بها ، واجتناب نواقضها ، لمن أراد النجاة في الدنيا والآخرة .

ومن فضائلها :أنها اتفقت فيها جميع الشرائع ، ودعت إليها جميع الرسل، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾ ﴾[الأنبياء:٢٥] .

ومن فضائلها: أنها لو وزنت بالسماوات والأرض لرجحت عليهن، فكما أنها أثقل حسنة في الميزان يوم القيامة، فكذلك هي أثقل الأشياء في الدنيا.

فقد روى النسائي عن عبد الله بن عمرو بن العاص ـ رضي اله عنهماـ أن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**قَالَ نُوحٌ لابْنِه : إِنِّي مُوصِيكَ بِوَصِيَّةٍ وَقَاصِرُهَا كَيْ لاَ تَنْسَاهَا ، أُوصِيكَ باثْنَتَيْنِ، وَأَنْهَاكَ عَن اثْنَتَيْنِ : أَمَّا اللَّتَان أُوصِيكَ بهمَا فَيَسْتَبْشِرُ اللهُ بهما، وَصَالِحُ خَلْقِه ، وَهُمَا يُكْثِرَانِ الْوُلُوجَ عَلَى الله تَعَالَى ، أُوصِيكَ بلاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ ، فَإِنَّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ لَوْ كَانَتَا حَلْقَةً قَصَمَتْهُمَا ، وَلَوْ كَانَتْ فِي كَفَّةٍ وَزَنَتْهُمَا ، وَأُوصِيكَ بسُبْحَانَ الله وَبحَمْده ، فَإِنَّهَا صَلاَةُ الْخَلْق ، وَبهَا يُرْزَقُ الْخَلْقُ ،** ﴿ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾ ﴾ ، **وَأَمَّا اللَّتَانِ أَنْهَاكَ عَنْهُمَا فَيَحْتَجِبُ اللهُ مِنْهُمَا ، وَصَالِحُ خَلْقِهِ ، أَنْهَاكَ عَنِ الشِّرْكِ وَالْكِبْرِ**»[١].

ولابد فيها من الإخلاص، فإن الإخلاص يدفع العبد للعمل الصالح، وحسن العبادة، وكل ما يقرب الإنسان إلى الله من فرائض ونوافل، فمن قالها مخلصًا فيها ، عاملا بمقتضاها ، مجتنبا لما يخدشها من الشرك ، أو يخل بها من الذنوب والمعاصي،

(١)صحيح:صححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب- (٢/ ١٠٧)(١٥٤٣). وهو عند الحاكم والبزار.

فإنها تصعد إلى السماء ، وتفتح لها أبواب السماوات السبع، حتى تصل إلى العرش.

فقد روى الترمذي عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ـ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ ـ قَالَ :قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَا قَالَ عَبْدٌ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ قَطُّ مُخْلِصًا، إِلاَّ فُتِحَتْ لَهُ أَبْوَابُ السَّمَاءِ، حَتَّى تُفْضِيَ إِلَى العَرْشِ، مَا اجْتَنَبَ الكَبَائِرَ**» [1].

ومعنى :(حتى تفضي إلى العرش) أي: حتى تصل إلى العرش.

قال المناوي– رَحِمَهُٱللَّهُ –:(إلا انفتحت له أبواب السماء) أي فتحت لقوله ذلك، فلا تزال كلمة الشهادة صاعدة (حتى تفضي إلى العرش) أي تنتهي إليه (ما اجتنبت الكبائر) أي وذلك مدة تجنب قائلها الكبائر من الذنوب» اهـ .[2]

فليحذر المؤمن الموحد من الذنوب فإن الكبائر تخدش في التوحيد، وقد تسبب لصاحبها دخول جهنم إلى ما شاء الله ، ثم يخرجه الله بتوحيده، فلا يظن العاصي الموحد أنه في مأمن من العذاب ، بل هو تحت مشيئة الله، قد يغفر الله له برحمته بسبب توحيده وإخلاصه، وقد يعذبه بذنوبه، ثم تنفعه لا إله إلا الله فيخرج من العذاب، لما ثبت في صحيح البخاري ومسلم عَنْ أَنَس بن مالك ـ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ ـ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : «**يَخْرُجُ مِنَ النَّار مَنْ قَالَ : لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَفِي قَلْبِهِ وَزْنُ شَعِيرَةٍ مِنْ خَيْرٍ، وَيَخْرُجُ مِنَ النَّار مَنْ قَالَ : لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَفِي قَلْبِهِ وَزْنُ بُرَّةٍ مِنْ خَيْرٍ، وَيَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ : لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَفِي قَلْبِهِ وَزْنُ ذَرَّةٍ مِنْ خَيْرٍ**» .

فمن خطر الذنوب، أن العبد قد يدخل النار بذنوبه وهو من أهل التوحيد، لكن بفضل الله يخرج من النار بتوحيده : «فمن قال كلمة التوحيد وعمل بها نفعته يومًا من الدهر وإن أصابه قبل ذلك ما أصابه .

فقد روى الطبراني والبزار عَن أبي هُرَيرة ـ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ ـ قال : قال رَسُول اللهِ صَلَّى

(١)حسن:حسنه الألباني في صحيح الترمذي – (٣/ ١٨٤)(٢٨٣٩) .
(٢)فيض القدير (٥ / ٥٨٦) .

الله عَلَيه وَسَلَّم : «من قال لا إله إلاَّ الله نفعته يومًا من دهره يصيبه قبل ذلك ما أصابه»(١).

أما من لقي الله موحدا مخلصًا بعيدا عن الكبائر عابدا لله فإن الله حرم جسده على النار ، فقد جاء في الصحيحين عن عتبان ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ أن رَسُول اللَّه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال:« **فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ حَرَّمَ عَلَى النَّارِ مَنْ قَالَ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ، يَبْتَغِي بِذَلِكَ وَجْهَ اللَّهِ** » ويستلزم من ذلك أن يتعبد لله بمقتضاها.

قال الشيخ عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ: «يقولها بإخلاص، لأن الإخلاص يدفعه إلى العمل لله رب العالمين، وحسن العبادة ، فهذا يستحق الجنة» . ا هـ .

وقال الشيخ العثيمين–رَحِمَهُ اللَّهُ–: « ومعلوم أن الذي يقول هذا طالبًا وجه الله فسيفعل كل شيء يقربه إلى الله من فروض ونوافل، فلا يكون هذا دليل للكسالى والمهملين يقولون نحن نقول لا إله إلا الله نبتغي بذلك وجه الله .

نقول: لو كنتم صادقين ما أهملتم العبادات الواجبة عليكم» ا هـ . (٢)

ومن فضائل لا إله إلا اللّه: أن من ختم له بها ، فمات عليها دخل الجنة.

فقد روى الإمام مسلم من حديث عثمان بن عفان ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ مَاتَ وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، دَخَلَ الْجَنَّةَ».

وعند أبي داود عن معاذ بن جبل ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ قال: قال رسول الله –صلَّى الله عليه وسلم–: «**من كان آخرُ كلامِهِ لا إله إلا الله دخل الجنة**» (٣) .

---

(١)صحيح: صححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٢ / ١٠٣)(١٥٢٥) وانظر السلسلة الصحيحة (٣ / ٢٩٧).
(٢)شرح رياض الصالحين – (١ / ٤٧٧).
(٣)صحيح :صححه الألباني في صحيح وضعيف سنن أبي داود – (٧ / ١١٦)(٣١١٦) وانظر حديث رقم : (٦٤٧٩) في صحيح الجامع وهو عند أحمد والحاكم.

ولهذا يشرع تلقين المحتضر (لا إله إلا الله) لتكون آخر كلامه من الدنيا، فقد حث النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على تلقين المحتضر هذه الكلمة ، فقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لقنوا موتاكم لا إله إلا الله» رواه مسلم عن أبي سعيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وجاء عند ابن حبان وغيره، عن أبي هريرة ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: « **لقنوا موتاكم لا إله إلا الله ، فإنه من كان آخر كلامه لا إله إلا الله عند الموت دخل الجنة ، يومًا من الدهر وإن أصابه قبل ذلك ما أصابه**» [(١)].

فمن نطق بها عند موته، وكان آخر كلامه لا إله إلا الله، فإنها علامة على حسن الخاتمة.

قال بعض أهل العلم: وذلك بأن يذكره بها تذكيرًا، بأن يذكرها عنده أو نحو ذلك، لا يأمره أمرا ، حتى لا يتضجرأو يتسخط وهو في تلك الحالة، فإن قالها ثم تكلم بعدها كلاما آخر ذكَّره مرة أخرى، حرصا على أن يكون آخر كلامه بها.

فمن مات وهو يعلم أنه لا إله إلا الله علما يقينيا منافيا للجهل دخل الجنة، فيعلم معناها (نفيًا وإثباتًا)، وذلك بأنه لا معبود بحق إلا الله، وغيرالله إن عُبد فقد عُبد بباطل.

فيعلم معناها (نفيًا) أي :بنفي جميع العبادات عما سوى الله ، وبنفي جميع المعبودات سوى الله .

ويعلم معناها(إثباتًا) أي :يثبت جميع العبادات لله القولية والفعلية والقلبية ، وإثبات إله واحد وهو الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فمن كان كذلك أدخله الله الجنة وحرمه على النار.

فلهذه الكلمة مرتبتان، وهما النفي والإثبات، ولا يكفي في معناها مجردالنفي دون الإثبات، ولا الإثبات دون النفي، إذ إن النفي فقط تعطيل، والإثبات فقط لا ينافي المشاركة فكان لابد فيها من النفي والإثبات.

---

(١)قال الشيخ الألباني : (صحيح) انظر حديث رقم : (٥١٥٠) في صحيح الجامع .

فهذا هـو معنى لا إله إلا الله ، الذي جهل معناها كثير من الناس إلا من بصره الله.

فيجب على العبد أن يتعلم معنى هذه الكلمة وأن يتعلم شروطها ويعمل بها ، فمن لم يعمل بشروطها فيخشى عليه أن يفتتن عنها عند الموت، ويحال بينه وبينها ، حتى وإن كان يقولها في حال صحته.

فينبغي على كل مسلم أن يعود نفسه عليها ، وأن يرطب لسانه بالإكثار منها، وأن يملأ قلبه بحبها ، فإنها خفيفة على اللسان، حبيبة إلى الرحمن ، ثقيلة في الميزان، وهي أفضل الذكر وأعلى شعب الإيمان ، كما عند الإمام ابن ماجه عن جابر ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ أن رَسُولَ اللَّهِ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – قال: «**أَفْضَلُ الذِّكْرِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَفْضَلُ الدُّعَاءِ الْحَمْدُ لِلَّهِ**»[١] .

وفي الصحيحين عن أبي هريرة ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ قال قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**الإيمان بضع وسبعون شعبة ؛ أعلاهـا قول لا إله إلا الله**» الحديث.

ومن أكثر منها ملئت صحيفته حسنات، وكفرت سيئاته ، وعصم من الشيطان، ففي الصحيحين عن أبي هريرة ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ قَالَ : « **مَنْ قَالَ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ. فِي يَوْمٍ مِائَةَ مَرَّةٍ، كَانَتْ لَهُ عَدْلَ عَشْرِ رِقَابٍ، وَكُتِبَ لَهُ مِائَةُ حَسَنَةٍ، وَمُحِيَتْ عَنْهُ مِائَةُ سَيِّئَةٍ، وَكَانَتْ لَهُ حِرْزًا مِنَ الشَّيْطَانِ، يَوْمَهُ ذَلِكَ حَتَّى يُمْسِيَ، وَلَمْ يَأْتِ أَحَدٌ بِأَفْضَلَ مِمَّا جَاءَ إِلَّا رَجُلٌ عَمِلَ أَكْثَرَ مِنْهُ** » .

ومن كان من أهلها حلت له الشفاعة يوم القيامة، وكان أسعد الناس بشفاعة المصطفى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لما ثبت في البخاري عن أبي هريرة ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِي يَوْمَ القِيَامَةِ، مَنْ قَالَ : لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ،

(١) حسن: حسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب – (٢ / ١٠٣)(١٥٢٦). ورواه الترمذي والنسائي وابن حبان والحاكم والبيهقي.

خَالِصًا مِنْ قَلْبِهِ، أَوْ نَفْسِهِ» .

ومن فضائل كلمة التوحيد أن من دعا بها استجاب الله له وفرج همه، لما روى الترمذي عن سعد بن أبي وقاص ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ قال :قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«دعوة ذي النون إذ دعاه وهو في بطن الحوت، لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين فإنه لم يدع بها رجل مسلم في شيء قط إلا استجاب الله له»**[1] .

فيجب الاعتناء بهذه الكلمة العظيمة والعمل بها والدعوة إليها، والمحافظة عليها مما يناقضها أو يخدشها أو يخل بها، أشد من المحافظة على العين، فإن مما يناقضها ويخدش بها الذبح والنذرلغيرالله ، والدعاء لغير الله وتصديق الكهنة والمشعوذين والذهاب إليهم، والحلف بغير الله والاستسقاء بالنجوم، وتعليق التمائم والتشاؤم بالأشياء، وغير ذلك من الشركيات، مما يناقض كلمة التوحيد أو يخل بها .

أفهام خاطئة في معنى(لا إله إلا الله):

تقدم أن معنى لا إله إلا الله، هو:(لا معبود بحق إلا الله ، وغير الله إن عبد فقد عبد بباطل)، قَالَ تَعَالَىٰ : ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٦٢﴾ ﴾[الحج : ٦٢] .

وبمعنى آخرهو:(نفي استحقاق العبودية عما سوى الله ، وإثباتها لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، ونفي جميع المعبودات من دون الله ، وإثبات إله واحد وهو الله جَلَّ وَعَلَا).

أما ما أحدثه بعض المتأخرين من المعاني ، فإنها معانٍ باطلة.

منها:قول بعضهم في معنى لا إله إلا الله:**(لا معبود إلا الله)** .

---

(١)صحيح:صححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٢ / ١٣٠)(١٦٤٤) وهوعند أحمد والنسائي والحاكم.

وهذا المعنى باطل ، وذلك لأن معناه :أن كل ما في الوجود من المعبودات هو الله، وهذا هو قول الحلولية والاتحادية الملحدين، فلا بد من تقييد التعريف بكلمة «حق» ليخرج بها كل معبود باطل من دون الله.

ومنها:(لا موجود إلا الله) :

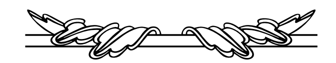
وهذا المعنى هو نظير المعنى السابق ، وهو باطل كما تقدم.

ومنها:(لا خالق ولا رازق إلا الله) :

وهذا معنى باطل ، وصاحبه جاهل بمعنى لا إله إلا الله، إذ إنه فسر لا إله إلا الله بتوحيد الربوبية الذي أقره مشركو قريش، فإنهم كانوا يعترفون بأن الله هو الخالق الرازق المدبر، ومع هذا لم ينفعهم ذلك، ولم يدخلهم في الإسلام، ولو كان معناها هذا ماقاتلهم رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، واستباح دماءهم وأموالهم.

ومنها: (لا حاكمية إلا لله) :

وهذا المعنى باطل وهو أفسد من سابقه، وصاحبه أجهل من صاحبه، أذ إنه فسر كلمة التوحيد بجزء من توحيد الربوبية،لأن الحُكم من أفعال الله، وأفعال الله من قسم توحيد الربوبية، ولم ينكر توحيد الربوبية إلا الدهريون والقبوريون ، وفرعون، والنمرود، وقد كان الخلاف بين الرسل وأقوامهم ، في توحيد الألوهية.



اغتنام السُّنَّة بالتمسك بها



السُّنَّة في اللغة :هي الطريقة.

وفي الاصطلاح:هي طريقة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في أقواله وأفعاله وصفاته وتقريراته ، فيجب العمل بالسُّنَّة والمحافظة عليها، فإن هذا هو مقتضى (شهادة أن محمدًا رسول الله) .

وقد عرفها شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب النجدي ـ رَحِمَهُ اللَّهُ ـ بقوله: «**وَمَعْنَى شَهَادَةِ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ الله: طَاعَتُهُ فِيمَا أَمَرَ، وَتَصْدِيقُهُ فِيمَا أَخْبَرَ، واجْتِنَابُ مَا نَهَى عَنْهُ وَزَجَرَ وأَلا يُعْبَدَ اللهُ إلا بِمَا شَرَعَ**» اهـ.[1] .

وعرفها بعض أهل العلم بأنها: لا متبوع بحق إلا رسول الله وغيره إن اتبع فيما لا دليل عليه فقد اتبع بباطل. اهـ.

فإن الله قد أمرنا بطاعة نبيه ونهانا عن معصيته فقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿ **وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ** ﴿٧﴾ ﴾[الحشر:٧].

و(ما): اسم موصول يعم كل شيء، بمعنى أنه يجب امتثال جميع أوامره حسب الاستطاعة، واجتناب جميع نواهـيه .

وقد جعل سبحانه طاعته من طاعة الله ومعصيته من معصية الله ، فقال تعالى: ﴿ **مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ ۖ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا** ﴿٨٠﴾ ﴾ [النساء:٨٠] أي:كما قال في آية أخرى:﴿ **إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ** ﴾[الشورى:٤٨].

---

(١)الأصول الثلاثة – (١ / ٨) .

ولا فرق بين القرآن والسُّنَّة فالقرآن يحثنا على التمسك بالسُّنَّة ، والسُّنَّة تحثنا على التمسك بالقرآن، وكلٌ وحيٌ من عند الله، قَالَ تَعَالَى : ﴿وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ﴾[النساء:١١٣] .

قال ابن كثير –رَحِمَهُ ٱللَّهُ– في تفسيره: الكتاب هو القرآن والحكمة هي السُّنَّة.ا هـ.

و قَالَ تَعَالَى : ﴿وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ﴿١﴾ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ﴿٢﴾ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ﴿٥﴾ ذُو مِرَّةٍ فَٱسْتَوَىٰ ﴿٦﴾ وَهُوَ بِٱلْأُفُقِ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٧﴾ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ﴿٨﴾ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ﴿٩﴾ فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ ﴿١٠﴾﴾ [النجم : ١ - ١٠] .

فيجب على كل من شهد أن محمدا رسول الله، أن يعمل بسنته ، وأن يجتنب مخالفته والابتداع والإحداث في منهجه، لما روى الترمذي عَن الْعِرْبَاضِ بْنِ سَارِيَةَ ـ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ ـ قَالَ : وَعَظَنَا رَسُولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمًا بَعْدَ صَلَاةِ الْغَدَاةِ مَوْعِظَةً بَلِيغَةً ذَرَفَتْ مِنْهَا الْعُيُونُ وَوَجِلَتْ مِنْهَا الْقُلُوبُ، فَقَالَ رَجُلٌ: إِنَّ هَذِهِ مَوْعِظَةُ مُوَدِّعٍ فَمَاذَا تَعْهَدُ إِلَيْنَا يَا رَسُولَ الله؟ قَالَ: «**أُوصِيكُمْ بِتَقْوَى الله وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ، وَإِنْ عَبْدٌ حَبَشِيٌّ، فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ يَرَى اخْتِلَافًا كَثِيرًا، وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الأُمُورِ فَإِنَّهَا ضَلَالَةٌ فَمَنْ أَدْرَكَ ذَلِكَ مِنْكُمْ فَعَلَيْهِ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ، عَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الأُمُورِ فَإِنَّ كُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ**»[1].
وفي رواية : «**وكل ضلالة في النار**»[2].

والتمسك بالسُّنَّة نجاة في الدنيا والآخرة، قال الإمام الزهري ـ رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ: «التمسك بالسُّنَّة نجاة» ا هـ . .

---

(١)صحيح: صحيحه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب - (١ / ١٠)(٣٧) . والحديث رواه أبو داود وابن ماجه وابن حبان .
(٢)صحيح: صححه الألباني في صحيح وضعيف سنن أبي داود - (١٠ / ١٠٧)(٤٦٠٧) .

ولا يقبل الله عملا يخالف السُّنَّة، فإن شروط قبول الأعمال ، أن يكون العمل خالصا لله ، وموافقا لهدي رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ، فإذا خالف السُّنَّة فهو بدعة ، وكل بدعة ضلالة ، ومردودة على صاحبها، ومؤداها إلى النار والعياذ بالله .

فقد روى الإمام البخاري ومسلم عَنْ عَائِشَةَ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ـ قَالَتْ :قَالَ : رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ فِيهِ، فَهُوَ رَدٌّ»** وفي **رواية لمسلم : «مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ»** .

أي: مردود على صاحبه لأنه محدث صدر عن هوى من صاحبه، والغالب على هذا الصنف أنه لا يوفق للتوبة إلا أن يشاء الله، فقد روى الطبراني عن أنس بن مالك ـ رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ ـ قال قال رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ : **«إن الله حجب التوبة عن كل صاحب بدعة حتى يدع بدعته»**[(١)].

و قد حذر الله ورسوله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ من هذا الصنف ؛لأنه أضر على الدين من صاحب المعصية.

قال سفيان الثوري ـ رَحِمَهُٱللَّهُ ـ : «البدعة أحب إلى إبليس من المعصية؛ لأن البدعة لا يُتاب منها، والمعصية يُتاب منها» اهـ . [(٢)]

بمعنى أن العاصي مقر بخطئه ويؤمل التوبة، بينما المبتدع لا يؤمل التوبة؛لأنه يرى نفسه مصيبًا، والعاصي لايدعو إلى البدعة بل يتستر بها، بينما المبتدع يدعو إلى بدعته على المنابر، ويشهرها بين الناس، بل ويتقرب بها إلى الله ، فكانت البدعة أضر من المعصية وأشد، والمعصية أخف من البدعة وأهون.

ولهذا قال ابن القيم ـ رَحِمَهُٱللَّهُ ـ :«وفساق أهل السُّنَّة أولياء الله ، وعباد أهل البدعة أعداء الله ، وقبور فساق أهل السُّنَّة روضة من رياض الجنة، وقبور عباد أهل

---

(١)صحيح: صححه الألباني في صحيح وضعيف سنن أبي داود – (١٠ / ١٠٧)(٤٦٠٧).
(٢)انظر تلبيس إبليس – (١ / ١٥).

البدع حفرة من حفر النار، والتمسك بالسُّنَّة يكفر الكبائر، كما أن مخالفة السُّنَّة تحبط الحسنات، وأهل السُّنَّة إن قعدت بهم أعمالهم قامت بهم عقائدهم ، وأهل البدع إذا قامت بهم أعمالهم قعدت بهم عقائدهم » . اهـ . (١)

بمعنى أن عقائد أهل السُّنَّة سليمة، ستنفعهم بين يدي الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ، وإن كانت أعمالهم قليلة لكنها على توحيد وسنة ومنهج سليم، بينما أهل البدع لا ينفعهم كثير من أعمالهم ؛لأنها محدثة وربما خلطوها بشرك أو خرافات أوعقائد فاسدة فتحبطها وربما عُذبوا بسببها.

فأهل السُّنَّة العاملون بها هم الفرقة المنصورة في الدنيا ، الناجية يوم القيامة.

قال ابن القيم ـ رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ: «وقال مالك بن مغول : الكبائر ذنوب أهل البدع والسيئات ذنوب أهل السُّنَّة، قلت : يريد أن البدعة من الكبائر وأنها أكبر من كبائر أهل السُّنَّة، فكبائر أهل السُّنَّة صغائر بالنسبة إلى البدع، وهذا معنى قول بعض السلف : البدعة أحب إلى إبليس من المعصية لأن البدعة لا يتاب منها والمعصية يتاب منها» اهـ . (٢)

وقد عرف أهل العلم البدعة بأنها :ما أحدث بعد موت النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ بنية التعبدلله بغير دليل، وهذا لا يقبله الله إذ لم يأذن به، قَالَ تَعَالَىٰ : ﴿ أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُاْ شَرَعُواْ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ ﴾ [الشورى:٢١] .

فمن عبد الله بغير سُنَّة رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، فقد شرع في دين الله ما لم يأذن به الله، ومن أخذ دينه من غير رسول الله، صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، فقد اتخذ شريكا مع الله والعياذ بالله، فكل الطرق إلى الله تعالى مسدودة ، إلا طريق واحد ، وهو طريق رسوله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ.

---

(١)إعلام الموقعين – (٣/ ٣٢٩).

(٢)مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين – (١ / ٣٢٢).

قال ابن مسعود ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ :«الاقتصاد في السُّنَّة خير من الاجتهاد في البدعة»[١] .

فينبغي الالتزام بالسُّنَّة قولًا وعملًا واعتقادًا وصفة، فأما الأقوال فيلتزم العبد بما كان يقوله الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كالأذكارالمشروعة والأدعية المأثورة، وسائرالعبادات القولية، فلا يختلق أقوالا مصادمة للسنة، أو يخصص أذكارا لم تأتِ في السُّنَّة، وأما الأعمال فيلتزم العبد ما كان يعمله الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من الأعمال والعبادات العملية بلا زيادة ولا نقصان، وأما الاعتقادات فيعتقد العبد ما كان يعتقده النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وصحابته الكرام ـ رضوان الله عليهم ـ من العقائد السليمة والمناهج الصحيحة، وأما الصفة، فيتصف بما اتصف به الرسول الكريم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من الصفات الطيبة والأخلاق الكريمة، والأعمال الحسنة، والمظاهر الشرعية ، ويلبس مالبسه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كالقميص والإزار والعمامة وإطلاق اللحية ونحو ذلك ، ولا يتشبه بالكفرة والمبتدعة، فهذه هي السُّنَّة باختصار التي يترب على التمسك بها الأجور الكثيرة، والدرجات العالية بإذن الله رب العالمين.

حكم الاستهزاء بالسُّنَّة :

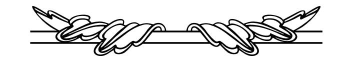
المستهزئ بالسُّنَّة كافر،لأنه استهزأ بشيء من الدين،والسُّنَّة وحي من السماء، وصاحبها هو محمدصَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فمن استهزأ بالسُّنَّة، فقد استهزأ بالنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، والمستهزئ به عليه الصلاة والسلام أو بشيء من أقواله أو أفعاله أو صفاته كُفرأكبر مخرج من الملة، فمن استهزأ باللحية مثلا أو العمامة ، أو الثوب القصير، أو غير ذلك لأجل أنها من السُّنَّة فهو كافر الكفر الأكبر المخرج من الملة.

قَالَ تَعَالَىٰ :﴿ قُلْ أَبِاللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ ﴾ [التوبة : ٦٥ - ٦٦] .

---

(١)انظر اعتقاد أهل السُّنَّة - اللالكائي - (١ / ٥٥) .

وسبب نزول هذه الآية كما ذكره ابن كثير ـ رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ في تفسيره عند هذه الآية عن عبد الله بن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال رجل في غزوة تبوك في مجلس : ما رأيت مثل قُرائنا هؤلاء، أرغبَ بطونا، ولا أكذبَ ألسنًا، ولا أجبن عند اللقاء، فقال رجل في المسجد: كذبتَ، ولكنك منافق. لأخبرن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فبلغ ذلك رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ونزل القرآن. قال عبد الله بن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا: وأنا رأيته متعلقا بحَقَب ناقة رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَنكُبُه الحجارة وهو يقول: يا رسول الله، إنما كنا نخوض ونلعب. ورسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: ﴿ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ ﴾ [التوبة : ٦٥ – ٦٦].



اغتنام الصلاة



الصلاة هي الصلة بين العبد وربه ، وهي عمود الإسلام، وأحد أركانه العظام ، وهي أول مايحاسب عليه العبد يوم القيامة، وهي سبيل قويم لمرضاة رب العالمين، وطريق عظيم لدخول جنات النعيم، وهي خمس صلوات في اليوم والليلة ، أجرها بأجر خمسين صلاة، فرضت في سدرة المنتهى ليلة الإسراء والمعراج، وهي من أسباب حلول البركات في الأرزاق، ومن أسباب الحفظ للعبد، ومن أعظم أسباب الراحة وتفريج الكربات في الدنيا والآخرة، ومن أسباب النجاة من عذاب القبر ومن عذاب النار.

ومن خصائصها وأهميتها أنها فرضت في كل يوم خمس مرات، على الصغير والكبير ، والغني والفقير، والصحيح والسقيم ، لا تسقط بحال من الأحوال ، إلا ما استثني بدليل، بينما الزكاة فرضت عند بلوغ النصاب وحلول الحول، على الأغنياء دون الفقراء، وفرض الصيام في السَنَة شهرًا واحدًا فقط ، ورُخص للمريض والمسافر أن يفطران ويقضيان ، بينما الصلاة لم تسقط بحال من الأحوال ، ولا تقضى إن فات وقتها إلا من نسيها أو نام عنها، فالعاجز والمريض يصليها قياما أو قعودًا أو على جنب، على حسب قدرة العبد، وفرض الحج في العمر مرة واحدة فقط مقيدا بالاستطاعة، بينما الصلاة في مقدور كل الناس أن يؤدوها.

وفضائلها لا تدخل تحت الحصر، فينبغي اغتنامها بالمحافظة عليها ليظفر العبد بأجورها، فهي خير الأعمال، وتضمنت أحسن الأذكار، فالذي يتمعن في أذكار وأعمال الصلاة يرى أنها جمعت الخير كله، ففيها قراءة القرآن، وفيها التسبيح والتحميد والتهليل والتكبيروالاستغفار والدعاء والاستعانة والاستعاذة

والاستغاثة، وفيها الركوع والسجود والقيام والاطمئنان والخشوع والخوف والرجاء، وفيها الامتناع عن الكلام والطعام والسلام والانقطاع عن الأنام ، وفيها الاتصال بذي الجلال والإكرام ، ولهذا جعل قرة عين النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيها، فأعظم بها من عبادة، وأكرم بأهلها المحافظين عليها.

ففي الصحيحين عن أنس - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - في حديث المعراج الطويل أن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى قال للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : «**هِيَ خَمْسٌ وَهْيَ خَمْسُونَ لاَ يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لديّ**» ، أي: خمس في العمل وخمسون في الميزان ، بمعنى أن أجر الخمس الصلوات بأجر خمسين صلاة.

وهي أفضل الأعمال لما روى الإمام ابن ماجه عَنْ ثَوْبَانَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ : قَالَ رَسُولُ الله- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: «**اسْتَقِيمُوا وَلَنْ تُحْصُوا، وَاعْلَمُوا أَنَّ خَيْرَ أَعْمَالِكُمْ الصَّلَاةَ، وَلَا يُحَافِظُ عَلَى الْوُضُوءِ إِلَّا مُؤْمِنٌ**»[1].

ومعنى «اسْتَقِيمُوا وَلَنْ تُحْصُوا» أي: استقيموا على دين الله وحافظوا على الأعمال الصالحة ومنها الصلاة فهي خير هذه الأعمال فلن تحصوا ثواب الاستقامة وثواب الصلاة التي لا يعلم قدرها إلا الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

قال المناوي -رَحِمَهُ اللَّهُ- : « والصلاة جامعة لكل عبادة من قراءة وتسبيح وتكبير وتهليل وإمساك عن كلام البشر والمفطرات وهي معراج المؤمن ومقربته إلى جناب ربه. اهـ .[2].

ومن فضائل الصلاة: أنها راحة للقلوب، وسكينة للجوارح ، وفرج للهموم، ومخرج للضيق، وعون للعبد، إذا كانت بشروطها وأركانها، مع حضور القلب وخشوع الجوارح فيها، فلهذا أمرنا الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بالاستعانة بها فقال: ﴿ **يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ١٥٣** ﴾ [البقرة:١٥٣].

---

(١)صحيح:صححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب - (١ / ٤٧)(١٩٧). والحديث رواه أحمد والبزاروالطيالسي وابن حبان ومالك والدارمي

(٢)فيض القدير (١ / ٦٣٥)

وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿ وَٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ ﴿٤٥﴾ ﴾ [البقرة:٤٥].

قال العلامة السعدي-رَحِمَهُ ٱللَّهُ-في تفسيره: «وأمر تعالى بالاستعانة بالصلاة؛ لأن الصلاة هي عماد الدين، ونور المؤمنين، وهي الصلة بين العبد وبين ربه، فإذا كانت صلاة العبد صلاة كاملة، مجتمعا فيها ما يلزم فيها، وما يسن، وحصل فيها حضور القلب، الذي هو لبها فصار العبد إذا دخل فيها، استشعر دخوله على ربه، ووقوفه بين يديه، موقف العبد الخادم المتأدب، مستحضرا لكل ما يقوله وما يفعله، مستغرقا بمناجاة ربه ودعائه لا جرم أن هذه الصلاة، من أكبر المعونة على جميع الأمور، فإن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر، ولأن هذا الحضور الذي يكون في الصلاة، يوجب للعبد في قلبه وصفا وداعيا يدعوه إلى امتثال أوامر ربه، واجتناب نواهيه، هذه هي الصلاة التي أمر الله أن نستعين بها على كل شيء». اهـ.

ولهذا كان نبينا صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذا اغتم بشيء، أو أشكل عليه شيء أو أحزنه، فزع إلى الصلاة وقال: « أرحنا بها يا بلال». فالصلاة راحة للأبدان وطمأنينة للقلوب، فقد روى الإمام أحمد عن حُذَيفة ـ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ ـ قال: كان النبي - صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - إذا حَزَبَهُ أَمْرٌ صَلّى»[1].

أي: إذا أهمه أوأغمه شيء، أو نزل به أمر شديد، يفزع إلى الصلاة.

وكان عليه الصلاة والسلام لا تقر عينه إلا بالصلاة، لما جاء عند الإمام النسائي عَنْ أَنَس بن مالك ـ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ ـ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**حُبِّبَ إِلَيَّ مِنَ الدُّنْيَا النِّسَاءُ، وَالطِّيبُ، وَجُعِلَ قُرَّةُ عَيْنِي فِي الصَّلَاةِ**»[2].

---

(١)حسن: رواه أبو داودوأحمد وحسنه الألباني انظر حديث رقم: (٤٧٠٣) في صحيح الجامع.

(٢)صحيح: قال الألباني في صحيح وضعيف سنن النسائي - (٩ / ١١)(٣٩٣٩) حسن صحيح، وحسنه الوادعي في الصحيح المسند(١/ ٩٠)(١٠٠).والحديث رواه أحمد والحاكم والبيهقي وأبو يعلى.

قال المناوي -رَحِمَهُ اللَّهُ-: «..لأنها علم الإيمان، وعماد الدين،وطهرة القلوب من أدناس الذنوب، واستفتاح باب الغيوب ، محل المناجاة ، معدن المصافاة ، تتسع فيها ميادين الأسرار، وتشرق فيها مشارق الأنوار، وتجمع من القرب ما تفرق في غيرها كطهر وستر وقراءة وذكر، ويمتنع فيها ما يمتنع في غيرها وتزيد بأمور أخرى» اهـ .[1].

ومن فضائل الصلاة أنها من أسباب الرزق:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَوٰةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا ۖ لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكَ ۗ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ ﴿١٣٢﴾ ﴾ [طه : ١٣٢].

قال ابن كثير - رَحِمَهُ اللَّهُ - وقوله: ﴿ لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكَ ۗ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ ﴾ يعني إذا أقمت الصلاة أتاك الرزق من حيث لا تحتسب، كما قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ وَمَن ﴾ [الطلاق: ٢ - ٣] .

و قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَا أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ﴿٥٨﴾ ﴾[الذاريات: ٥٦-٥٨]»اهـ .

ومن فضائل الصلاة أنها تزكي العبد وتطهره من ذنوبه:

فقد روى البخاري ومسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يَقُولُ : « **أَرَأَيْتُمْ لَوْ أَنَّ نَهْرًا بِبَابِ أَحَدِكُمْ يَغْتَسِلُ مِنْهُ كُلَّ يَوْمٍ خَمْسَ مَرَّاتٍ هَلْ يَبْقَى مِنْ دَرَنِهِ شَيْءٌ** ». قَالُوا : لاَ يَبْقَى مِنْ دَرَنِهِ شَيْءٌ.قَالَ : « **فَذَلِكَ مَثَلُ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ يَمْحُو اللهُ بِهِنَّ الْخَطَايَا** ».

فإذا اغتسل العبد في اليوم خمس مرات، فإن جسده يكون طاهـرًا ولا يبقى من الوسخ شيئا، فكذلك الصلوات الخمس تكفر الذنوب في سائر اليوم ، وذلك كل يوم، وانظر كيف مثل النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الذنوب بالوسخ والصلاة بالماء

(١)فيض القدير (١ / ١٦٧).

بجامع التطهير، فالماء يطهر حسيًا ، والصلاة تطهر معنويًا، وهذا من بلاغة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وفصاحته ، وذلك بأنه شبه الصلاة بماء الإطفاء وشبه الذنوب بالنار، فإن الذنوب هي في الحقيقة نار القلوب، فإنها تحرقها حتى تسود، فإذا اسودت فسدت، وإذا فسدت فسد الجسد وفسد صاحبه، ومن ثَمَّ تفسد عليه حياته الدينية والدنيوية ، فينتقل من الاحتراق المعنوي الذي هونار الذنوب ، إلى الاحتراق الحسي الذي هو نار الآخرة والعياذ بالله.

فالذنوب لها حرارة في القلوب، فتحتاج إلى تبريد وإطفاء، فالصلاة هي التي تبرد هذه الحرارة، وتطفئ نيران الذنوب ونيران جهنم بإذن الله جَلَّ وَعَلَا، بل وتدافع الصلاة عن صاحبها في قبره، وقد حرم الله على النار أن تأكل مواضع السجود إن دخلها العبد بسبب ذنوبه، فلا يتهاون المسلم بالصلاة ولا يستهن بها فشأنها عظيم وثوابها جزيل وأثرها كبير في حياته.

فقد أخرج الطبراني عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : «**تَحْتَرِقُونَ، تَحْتَرِقُونَ، فَإِذَا صَلَّيْتُمُ الْفَجْرَ غَسَلَتْهَا، ثُمَّ تَحْتَرِقُونَ تَحْتَرِقُونَ، فَإِذَا صَلَّيْتُمُ الظُّهْرَ غَسَلَتْهَا، ثُمَّ تَحْتَرِقُونَ تَحْتَرِقُونَ، فَإِذَا صَلَّيْتُمُ الْعَصْرَ غَسَلَتْهَا، ثُمَّ تَحْتَرِقُونَ تَحْتَرِقُونَ، فَإِذَا صَلَّيْتُمُ الْمَغْرِبَ غَسَلَتْهَا، ثُمَّ تَحْتَرِقُونَ تَحْتَرِقُونَ، فَإِذَا صَلَّيْتُمُ الْعِشَاءَ غَسَلَتْهَا، ثُمَّ تَنَامُونَ فَلَا يُكْتَبُ عَلَيْكُمْ شَيْءٌ حَتَّى تَسْتَيْقِظُوا**»[1].

فالصلوات الخمس تكفر ذنوب اليوم كله، وصلاة الجمعة إلى الجمعة، تكفر ذنوب الأسبوع، وهذا من كرم الله ولطفه بخلقه، فقد جاء في الصحيحين عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَقُولُ: «**الصَّلَوَاتُ الْخَمْسُ، وَالْجُمْعَةُ إِلَى الْجُمْعَةِ، وَرَمَضَانُ إِلَى رَمَضَانَ، مُكَفِّرَاتٌ مَا بَيْنَهُنَّ إِذَا اجْتَنَبَ الْكَبَائِرَ**».

لكن هناك شرط، وهو اجتناب الكبائر، فقد ذهب كثير من أهل العلم إلى أن

(١) صحيح: قال الألباني في صحيح الترغيب والترهيب - (١ / ٨٦)(٣٥٧) حسن صحيح.

هذا التكفير لا يحصل مع وجود الكبائر، بمعنى أن الصلاة لا تكفر ذنوب الذي يرتكب الكبائر، وإنما تكفر الصغائر فقط إذا لم توجد كبائر، لكن فضل الله واسع ورحمته قريب من المحسنين، فإنها تكفرصغائر الذنوب للأدلة المستفيضة في ذلك، ولكن يجب الابتعاد عن الكبائر؛ لأنها خطيرة على العبد؛ ولأن الكبائر لا تكفرها الصلاة والصيام وسائر الأعمال، وإنما تحتاج إلى توبة.

قال النووي ـ رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ: « مَعْنَاهُ أَنَّ الذُّنُوب كُلّهَا تُغْفَر إِلَّا الْكَبَائِر، فَإِنَّهَا لَا تُغْفَر، وَلَيْسَ الْمُرَاد أَنَّ الذُّنُوب تُغْفَر مَا لَمْ تَكُنْ كَبِيرَة ، فَإِنْ كَانَ لَا يُغْفَر شَيْء مِنْ الصَّغَائِر ، فَإِنَّ هَذَا وَإِنْ كَانَ مُحْتَمَلًا فَسِيَاق الْأَحَادِيث يَأْبَاه .

قَالَ الْقَاضِي عِيَاض ـ رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ: هَذَا الْمَذْكُور فِي الْحَدِيث مِنْ غُفْرَان الذُّنُوب مَا لَمْ تُؤْتَ كَبِيرَة هُوَ مَذْهَب أَهْل السُّنَّة ، وَأَنَّ الْكَبَائِر إِنَّمَا تُكَفِّرهَا التَّوْبَة أَوْ رَحْمَة اللَّه تَعَالَى وَفَضْله . وَاَللَّه أَعْلَم . اهـ . »[1].

وقال ـ رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ: «..فإن لم يكن له صغائر كتب له حسنات ورفع له درجات».اهـ .

ومن فضائل الصلاة أنها وقاية للعبد من عذاب القبر والنار.

فقد روى الطبراني عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ـ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ ـ قَالَ : قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: « **إن الميت إذا وضع في قبره إِنَّهُ لَيَسْمَعُ خَفْقَ نِعَالِهِمْ حِينَ يُوَلُّونَ عَنْهُ مدبرين ، فَإِنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَانَت الصَّلَاةُ عِنْدَ رَأْسه، وَالزَّكَاةُ عَنْ يَمِينه، وَالصَّوْمُ عَنْ شِمَاله، وَفِعْلُ الْخَيْرَات وَالْمَعْرُوفُ وَالْإِحْسَانُ إِلَى النَّاس مِنْ قِبَل رِجْلَيْه، فَيُؤْتَى مِنْ قِبَل رَأْسه، فَتَقُولُ الصَّلَاةُ: لَيْسَ قِبَلِي مَدْخَلٌ، فَيُؤْتَى عَنْ يَمِينِه، فَتَقُولُ الزَّكَاةُ: لَيْسَ مِنْ قِبَلِي مَدْخَلٌ**»[2] الحديث .

---

(١)شرح مسلم (١ / ٣٧٧).

(٢)حسن: حسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب - (٣ / ٢١٩)(٣٥٦١) وهو عند ابن حبان وحسنه الألباني.

فإن الصلاة تنافح عن صاحبها في قبره ، فتقول: (ما قبلي مدخل)أي: لا يمكن أن يعذب من جهتي، فإنه كان محافظا على الصلاة ، فهذه النجاة في القبر، وأما يوم القيامة فإن المصلين يأتون غرًا محجلين من آثار الوضوء «سيماهم في وجوههم من أثر السجود» يفوزون بالنعيم وينجون من الجحيم، قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لَنْ يَلِجَ النَّارَ أَحَدٌ صَلَّى قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ، وَقَبْلَ غُرُوبِهَا**» رواه مسلم عن أبي زهير عُمَارَةَ بْنِ رُؤَيْبَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

وخص بالذكر صلاة الفجر والعصر لأنهما علامة على غيرهما من الصلوات ، فإن من حافظ على صلاتي الفجر والعصر فهو لما سواهما أحفظ ، ومن ضيعهما فهو لما سواهما أضيع، ولأن هاتين الصلاتين لهما فضل على غيرهما من الصلوات.

قال المناوي - رَحِمَهُ ٱللَّهُ - :« خص هاتين الصلاتين لأن وقت الصبح وقت لذة - يقصد لذة النوم - فالقيام أشق على النفس منه في غيره، والعصر وقت قوة الاشتغال بالتجارة، فما يتلهى عن ذلك إلا من كمل دينه، ولأن الوقتين مشهودان، تشهدهما ملائكة الليل والنهار، وترفع فيهما الأعمال فإذا حافظ عليهما مع ما فيهما من التثاقل والتشاغل، فمحافظته على غيرهما أشد، وما عسى أن يقع منه تفريط، فبالحري أن يقع مكفرًا فلن يلج النار. اهـ.»[1]

ومن فضائل الصلاة أنها سبب لدخول صاحبها الجنة:

فقدروى البخاري ومسلم عن أَبِي مُوسَى - رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ - أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : «**مَنْ صَلَّى الْبَرْدَيْنِ دَخَلَ الْجَنَّةَ**» .

والبردان: هما صلاة الفجر والعصر ، وسميتا بذلك لأنه اجتمع فيهما بردُ الليل والنهار، فبرد الليل في صلاة الفجر وبرد النهار في صلاة العصر.

ويقال في فضل هاتين الصلاتين ما قيل في الحديث الذي قبله من تخصيص صلاة

(١)فيض القدير (٥ / ٣٨٦).

الفجر والعصر، وإلا فالفضل عام في جميع الصلوات، وهناك أدلة عامة في أن من حافظ على الصلوات عموما أورثه الله جنات الفردوس التي هي أفضل مكان وأعلى مكان في الجنة، كما قال تعالى: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ (١) الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ (٢) وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ (٣) وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ (٤) وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ (٥) إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ (٦) فَمَنِ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ (٧) وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ (٨) وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ (٩) أُولَٰئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ (١٠) ﴾ [المؤمنون:١-١١].

ولأهمية الصلاة ذكرها الله في هذه الآيات مرتين، فامتدح المؤمنين الذين يخشعون في صلاتهم ويحافظون عليها، فابتدأها بالخشوع في الصلاة واختتمها بالمحافظة عليها، فشهد لهم بالفلاح ، ورتب على ذلك جنات الفردوس.

قال العلامة السعدي ـ رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ في تفسيره: « أي: قد فازوا وسعدوا ونجحوا، وأدركوا كل ما يرام المؤمنون الذين آمنوا بالله وصدقوا المرسلين، الذين من صفاتهم الكاملة أنهم ﴿ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴾ .

والخشوع في الصلاة: هو حضور القلب بين يدي الله تعالى، مستحضرا لقربه، فيسكن لذلك قلبه، وتطمئن نفسه، وتسكن حركاته، ويقل التفاته، متأدبا بين يدي ربه، مستحضرا جميع ما يقوله ويفعله في صلاته، من أول صلاته إلى آخرها، فتنتفي بذلك الوساوس والأفكار الردية، وهذا روح الصلاة، والمقصود منها، وهو الذي يكتب للعبد، فالصلاة التي لا خشوع فيها ولا حضور قلب، وإن كانت مجزئة مثابا عليها، فإن الثواب على حسب ما يعقل القلب منها..

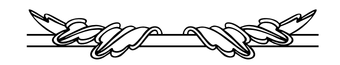
﴿ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ (٩) ﴾ أي: يداومون عليها في أوقاتها وحدودها وأشراطها وأركانها، فمدحهم بالخشوع بالصلاة، وبالمحافظة عليها،

لأنه لا يتم أمرهم إلا بالأمرين، فمن يداوم على الصلاة من غير خشوع، أو على الخشوع من دون محافظة عليها، فإنه مذموم ناقص. ا هـ.

فلشرف الصلاة وفضلها ورَّث الله سبحانه أصحابها أعلى الجنان وأحسنها، وهي الفردوس الأعلى لما روى الترمذي عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: « **ذَرِ النَّاسَ يَعْمَلُونَ فَإِنَّ فِي الْجَنَّةِ مِائَةَ دَرَجَةٍ مَا بَيْنَ كُلِّ دَرَجَتَيْنِ كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ، وَالفِرْدَوْسُ أَعْلَى الجَنَّةِ وَأَوْسَطُهَا، وَفَوْقَ ذَلِكَ عَرْشُ الرَّحْمَنِ، وَمِنْهَا تُفَجَّرُ أَنْهَارُ الجَنَّةِ، فَإِذَا سَأَلْتُمُ اللَّهَ فَاسَأَلُوهُ الفِرْدَوْسَ**»[1].

فمن حافظ على الصلوات الخمس دون نقصان، بشروطها، وأركانها، وواجباتها، وجبت له الجنة وحرمه الله على النار، فقدروى الإمام أحمد عن حنظلة الكاتب ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ قال سمعت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «من حافظ على الصلوات الخمس ركوعهن وسجودهن ومواقيتهن وعلم أنهن حق من عند الله دخل الجنة أو قال: وجبت له الجنة أو قال: حرم على النار»[2].

والصلاة هي آخر وصية لنبينا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، على فراش الموت، قال علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: كان آخرُ كلام رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: «**الصلاةَ الصلاةَ، اتقوا الله فيما مَلَكَتْ أيمانُكم**»[3].



(١) صحيح: انظر السلسلة الصحيحة (٤/ ٥٤٣)(١٩١٣) وهو عند الإمام أحمد.
(٢) حسن: حسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب - (١/ ٩١)(٣٨١).
(٣) صحيح: صححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب - (٢/ ٢٧٩)(٢٢٨٥)، وانظر السلسلة الصحيحة (٢/ ٥٥١) (٨٦٨) وهو عند أبي داود وابن ماجه والبيهقي.

اغتنام السنن الرواتب

السُّنن الرواتب القبلية والبعدية للصلوات لها فضل عظيم وأجور كثيرة، وهي مكملة للفريضة إن حصل فيها نقص ، وهي من أسباب دخول الجنة، والنجاة من النار، ونيل الرحمة.

فقد روى مسلم عَنْ أُمِّ حَبِيبَةَ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ـ زَوْجِ النَّبِيِّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أَنَّهَا قَالَتْ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يَقُولُ : « **مَا مِنْ عَبْدٍ مُسْلِمٍ يُصَلِّى لِلَّهِ كُلَّ يَوْمٍ ثِنْتَىْ عَشْرَةَ رَكْعَةً تَطَوُّعًا غَيْرَ فَرِيضَةٍ إِلاَّ بَنَى اللَّهُ لَهُ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ أَوْ إِلاَّ بُنِىَ لَهُ بَيْتٌ فِي الْجَنَّةِ** ». فَقَالَتْ أُمُّ حَبِيبَةَ :فَمَا بَرِحْتُ أُصَلِّيهِنَّ بَعْدُ. وَقَالَ : عَمْرٌو: مَا بَرِحْتُ أُصَلِّيهِنَّ بَعْدُ. وَقَالَ النُّعْمَانُ : مِثْلَ ذَلِكَ.

وهذه الرواتب هي أربع قبل الظهر، وركعتان بعدها ، وركعتان بعد المغرب، وركعتان بعد العشاء، وركعتان قبل الفجر.

وقد بينها النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بقوله: «**من ثابر على اثنتي عشرة ركعة في اليوم والليلة دخل الجنة، أربعا قبل الظهر، وركعتين بعدها، وركعتين بعد المغرب، وركعتين بعد العشاء، وركعتين قبل الفجر**» [(١)]

وروى مسلم عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ شَقِيقٍ قَالَ : سَأَلْتُ عَائِشَةَ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا عَنْ صَلاَةِ رَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- عَنْ تَطَوُّعِهِ فَقَالَتْ:كَانَ يُصَلِّي فِي بَيْتِى قَبْلَ الظُّهْرِ أَرْبَعًا ثُمَّ يَخْرُجُ فَيُصَلِّى بِالنَّاسِ ثُمَّ يَدْخُلُ فَيُصَلِّى رَكْعَتَيْنِ وَكَانَ يُصَلِّى بِالنَّاسِ الْمَغْرِبَ ثُمَّ يَدْخُلُ فَيُصَلِّى رَكْعَتَيْنِ وَيُصَلِّى بِالنَّاسِ الْعِشَاءَ وَيَدْخُلُ بَيْتِى فَيُصَلِّى رَكْعَتَيْنِ ، وَكَانَ يُصَلِّى مِنَ

(١) صحيح: رواه الترمذي والنسائي والبيهقي عن عائشة ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ـ وصححه الشيخ الألباني في صحيح الترغيب والترهيب - (١ / ١٤٠)(٥٨٠) .

اللَّيْلِ تِسْعَ رَكَعَاتٍ فِيهِنَّ الْوِتْرُ وَكَانَ يُصَلِّى لَيْلاً طَوِيلاً قَائِمًا وَلَيْلاً طَوِيلاً قَاعِدًا وَكَانَ إِذَا قَرَأَ وَهُوَ قَائِمٌ رَكَعَ وَسَجَدَ وَهُوَ قَائِمٌ وَإِذَا قَرَأَ قَاعِدًا رَكَعَ وَسَجَدَ وَهُوَ قَاعِدٌ وَكَانَ إِذَا طَلَعَ الْفَجْرُ صَلَّى رَكْعَتَيْنِ.

وقلنا :إن الله يكمل بالرواتب ما يحصل من نقص في الفرائض ، لما روى أبو داود عن أبي هريرة ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ عَنِ النَّبِيِّ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – قَالَ : « **إِنَّ أَوَّلَ مَا يُحَاسَبُ النَّاسُ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ أَعْمَالِهِمُ الصَّلاَةُ قَالَ : يَقُولُ رَبُّنَا جَلَّ وَعَزَّ لِمَلاَئِكَتِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ انْظُرُوا فِي صَلاَةِ عَبْدِى أَتَمَّهَا أَمْ نَقَصَهَا فَإِنْ كَانَتْ تَامَّةً كُتِبَتْ لَهُ تَامَّةً وَإِنْ كَانَ انْتَقَصَ مِنْهَا شَيْئًا قَالَ : انْظُرُوا هَلْ لِعَبْدِى مِنْ تَطَوُّعٍ فَإِنْ كَانَ لَهُ تَطَوُّعٌ قَالَ : أَتِمُّوا لِعَبْدِى فَرِيضَتَهُ مِنْ تَطَوُّعِهِ ثُمَّ تُؤْخَذُ الأَعْمَالُ عَلَى ذَاكُمْ** ».[١]

فضل راتبة الفجرواغتنامها:

ركعتا الفجر خير من الدنيا وما فيها من ممتلكات ومصانع ومركبات وقصور وعقارات ، ولهذا كان يحافظ عليها نبينا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في سفره وحضره ، وشرع قضاءها بعد صلاة الفجرأو بعد الشروق لمن فاتته.

فقد روى الإمام مسلم عَنْ عَائِشَةَ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا عَنِ النَّبِيِّ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– قَالَ : «**رَكْعَتَا الْفَجْرِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا** ».

وروى الترمذي عن ابن عمر ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: « **لا صلاة بعد الفجر إلا سجدتين**» [٢] يعني راتبة الفجر.

وروى الترمذي عن أبي هريرة ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**من**

---

(١)صحيح :صححه الألباني في صحيح أبي داود (٤ / ١٦)(٨١٠)وهو عند أحمد والترمذي والنسائي والبيهقي والحاكم

(٢)صحيح:صححه الألباني في صحيح وضعيف سنن الترمذي (١ / ٤١٩)(٤١٩) وانظر صحيح أبي داود – (٥ / ٢٣)(١١٥٩)

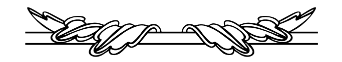
لم يصل ركعتي الفجر فليصلها بعد ما تطلع الشمس » .(١)

فضل رواتب صلاة العصر والظهر:

روى أبو داود عَن ابْنِ عُمَرَ- رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- : «**رَحِمَ اللهُ امْرَأً صَلَّى قَبْلَ الْعَصْرِ أَرْبَعًا** »(٢).

وروى الترمذي عَنْ أُمِّ حَبِيبَةَ ،رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا عَن النَّبِيِّ صَلَّى الله عَلَيْهِ وسَلَّمَ قَالَ : «**مَنْ صَلَّى قَبْلَ الظُّهْرِ أَرْبَعًا ، وَبَعْدَهَا أَرْبَعًا ، حَرَّمَهُ اللهُ عَلَى النَّارِ**».(٣)

فينبغي على المسلم أن يحافظ على هذه الرواتب ، فإننا نرى تساهلا بها وتكاسلا عنها عند كثير من المصلين، فإذا ما نصح أحدهم يرد قائلا :ليست واجبة، أو يقول :إذا حافظنا على الفرض فقد أتينا بخير كثير! وكأنه ضامن لنفسه أنه محافظ على الفرائض، وأنها تامة، ولم يعلم أن الرواتب تكمل الفرائض إن حصل فيها نقص، والنقص حاصل إلا من رحم الله، والغالب على الذي يتهاون بالرواتب، يصل به الأمر إلى التهاون بالجماعة ثم بالفرائض، والذي يحافظ على الرواتب يوفق للمحافظة على الفرائض، فصارت الرواتب كالحماية للفرائض.



(١)صحيح :صححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٥ / ٤٧٨) (٢٣٦١) وهو عند أحمد والحاكم وابن خزيمة وابن حبان والبيهقي .

(٢)حسن: رواه أبو داود وأحمد والترمذي وابن خزيمة وابن حبان، وحسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب(١ / ١٤٣)(٥٨٨) والوادعي في الصحيح المسند(١/ ٥٧٦-٥٧٧)(٤١٧).

(٣)صحيح: رواه أبوداود والترمذي النسائي وأحمد والبيهقي وابن ماجه وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب - (١ / ١٤٢)(٥٨٤) .

اغتنام النداء

الأذان من أعظم العبادات، فإن للمؤذن أجورًا عظيمة، ويشهد له كل من سمعه من إنسان وحيوان وجماد، ويكون المؤذنون أطول الناس أعناقًا يوم القيامة، والنداء من أعظم الشعائر، لأن الأذان دعوة للناس إلى الصلاة ، ولو يعلم الناس ما للمؤذن من الأجور لاستبقوا إليه ثم اقترعوا قرعة أيهم يؤذن.

فقد روى البخاري ومسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – قَالَ : « **لَوْ يَعْلَمُ النَّاسُ مَا فِي النِّدَاءِ وَالصَّفِّ الأَوَّلِ ثُمَّ لَمْ يَجِدُوا إِلاَّ أَنْ يَسْتَهِمُوا عَلَيْهِ لاَسْتَهَمُوا وَلَوْ يَعْلَمُونَ مَا فِي التَّهْجِيرِ لاَسْتَبَقُوا إِلَيْهِ وَلَوْ يَعْلَمُونَ مَا فِي الْعَتَمَةِ وَالصُّبْحِ لأَتَوْهُمَا وَلَوْ حَبْوًا** ».

ومعنى يستهمون : أي يقترعون عليه قرعة، والتهجير : أي :التبكير إلى الصلاة، والعتمة :أي صلاة العشاء.

قال العلامة العثيمين ـ رَحِمَهُ اللَّهُ ـ: «يعني لو تنازع اثنان في الأذان وليس بينهما مؤذن راتب ومتساويان في الصفات المطلوبة في الأذان فحينئذ نقرع بينهما فمن خرجت له القرعة هو الذي يؤذن ومع الأسف أنك ترى بعض الناس الآن جماعة مسافرين أو ما أشبه ذلك كل واحد يقول للثاني أذن أنت وهو لا يعلم ما في الأذان من خير فهو الأذان لا يسمعه شجر ولا مدر ولا حجر إلا شهد لك يوم القيامة فينبغي أن تبادر للأذان ، نسأل الله لنا ولكم الخير ، وأن يجعلنا من المتسابقين للخيرات ، إنه على كل شيء قدير» اهـ . [١]

---

(١)شرح رياض الصالحين – (١ / ١٢٤٨)

وروى الإمام مسلم عن مُعَاوِيَةَ بن أبي سفيان ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يَقُولُ : « **الْمُؤَذِّنُونَ أَطْوَلُ النَّاسِ أَعْنَاقًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ** ».

وروى الإمام البخاري في صحيحه عَنْ عَبْد الله بْن عَبْد الرَّحْمَن بْن أَبِي صَعْصَعَةَ الأَنْصَارِيِّ ثُمَّ الْمَازِنِيِّ ، أَنَّ أَبَا سَعِيد الْخُدْرِيَّ قَالَ : لَهُ: إِنِّي أَرَاكَ تُحِبُّ الْغَنَمَ وَالْبَادِيَةَ فَإِذَا كُنْتَ فِي غَنَمِكَ ، أَوْ بَادِيَتِكَ فَأَذَّنْتَ بِالصَّلاَةِ فَارْفَعْ صَوْتَكَ بِالنِّدَاءِ ، فَإِنَّهُ لاَ يَسْمَعُ مَدَى صَوْتِ الْمُؤَذِّنِ جِنٌّ ، وَلاَ إِنْسٌ ، وَلاَ شَيْءٌ إِلاَّ شَهِدَ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ قَالَ : أَبُو سَعِيدٍ سَمِعْتُهُ مِنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

ومن فضائل الأذان أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ استغفر للمؤذنين ففي سنن الترمذي عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: « **الإِمَامُ ضَامِنٌ وَالْمُؤَذِّنُ مُؤْتَمَنٌ ، اللَّهُمَّ أَرْشِدِ الأَئِمَّةَ وَاغْفِرْ لِلْمُؤَذِّنِينَ** »(١).

فضل ترديد الأذان بعد المؤذن وفضل الذكر بعده:

لما كان الأذان محصورًا على رجل واحد، فيحوز بأجره منفردا ، وليس بالإمكان مشاركة الآخرين في الأذان في نفس الأمر، شرع الله لهم سُنة ترديد الأذان وأذكار يشاركون المؤذن فيها فيظفرون بأجور عظيمة يترتب عليها الحصول على الشفاعة ودخول الجنة .

فقد روى البخاري ومسلم عَنْ أَبِي سَعِيد الْخُدْرِيِّ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ : « **إِذَا سَمِعْتُمُ النِّدَاءَ فَقُولُوا مِثْلَ مَا يَقُولُ الْمُؤَذِّنُ** ».

وروى الإمام مسلم عن عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- :« **إِذَا قَالَ الْمُؤَذِّنُ : اللَّهُ أَكْبَرُ اللَّهُ أَكْبَرُ. فَقَالَ أَحَدُكُمْ : اللَّهُ أَكْبَرُ اللَّهُ**

(١)صحيح: رواه أبو داود والترمذي وأحمد وابن حبان وابن خزيمة والبيهقي والبزار وأبو يعلى والطيالسي، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب - (١ / ٥٨)(٢٣٧) وحسنه الوادعي في الصحيح المسند(١/ ٤٢١)(٤٢٨).

أَكْبَرُ. ثُمَّ قَالَ : أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ. قَالَ : أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ ثُمَّ قَالَ : أَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ. قَالَ : أَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ. ثُمَّ قَالَ :حَيَّ عَلَى الصَّلاَةِ. قَالَ : لاَ حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إِلاَّ بِاللَّهِ. ثُمَّ قَالَ :حَيَّ عَلَى الْفَلاَحِ. قَالَ :لاَ حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إِلاَّ بِاللَّهِ. ثُمَّ قَالَ : اللَّهُ أَكْبَرُ اللَّهُ أَكْبَرُ.قَالَ :اللَّهُ أَكْبَرُ اللَّهُ أَكْبَرُ. ثُمَّ قَالَ :لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ. قَالَ : لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ مِنْ قَلْبِهِ دَخَلَ الْجَنَّةَ ».

وروى الإمام مسلم أيضًاعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– يَقُولُ : « **إِذَا سَمِعْتُمُ الْمُؤَذِّنَ فَقُولُوا مِثْلَ مَا يَقُولُ ثُمَّ صَلُّوا عَلَيَّ فَإِنَّهُ مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلاَةً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ بِهَا عَشْرًا ثُمَّ سَلُوا اللَّهَ لِيَ الْوَسِيلَةَ فَإِنَّهَا مَنْزِلَةٌ فِي الْجَنَّةِ لاَ تَنْبَغِي إِلاَّ لِعَبْدٍ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ وَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَنَا هُوَ فَمَنْ سَأَلَ لِيَ الْوَسِيلَةَ حَلَّتْ لَهُ الشَّفَاعَةُ** ».

وروى الإمام البخاري عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ـ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : «**مَنْ قَالَ حِينَ يَسْمَعُ النِّدَاءَ : اللَّهُمَّ رَبَّ هَذِهِ الدَّعْوَةِ التَّامَّةِ وَالصَّلاَةِ الْقَائِمَةِ آتِ مُحَمَّدًا الْوَسِيلَةَ وَالْفَضِيلَةَ وَابْعَثْهُ مَقَامًا مَحْمُودًا الَّذِي وَعَدْتَهُ حَلَّتْ لَهُ شَفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ**».

فينبغي اغتنام هذه الشعيرة العظيمة والإخلاص فيها، وابتغاء الأجر من الله، فربما وجد من يسابق على الأذان من أجل راتب شهري، أو غرض دنيوي، وقد روى أبو داود عن عُثْمَانَ بْنِ أَبِي الْعَاصِ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ قَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ اجْعَلْنِي إِمَامَ قَوْمِي. قَالَ: « **أَنْتَ إِمَامُهُمْ وَاقْتَدِ بِأَضْعَفِهِمْ وَاتَّخِذْ مُؤَذِّنًا لاَ يَأْخُذُ عَلَى أَذَانِهِ أَجْرًا** » (١).

فضل الصفوف الأول في الصلاة:

إن للصفوف الأولى فضلًا عظيمًا ، ولو يعلم الناس مافي الصف الأول من

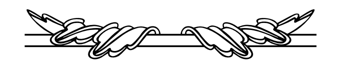
(١)صحيح: رواه الترمذي والنسائي وأحمد والحاكم، وصححه الألباني في صحيح أبي داود – (٣ / ٢٨)(٥٤١) والوادعي (٢/ ٧)(٩٠٦).

الأجور لتسابقوا إليه ، ولاقترعوا عليه قرعة عند الازدحام، ، فإن خير الصفوف ، لهوالصف الأول، ثم الذي يليه ، والملائكة تصلي على أهل الصف الأول.

فقد روى البخاري ومسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – قَالَ : « **لَوْ يَعْلَمُ النَّاسُ مَا فِي النِّدَاءِ وَالصَّفِّ الأَوَّلِ ثُمَّ لَمْ يَجِدُوا إِلاَّ أَنْ يَسْتَهِمُوا عَلَيْهِ لاَسْتَهَمُوا وَلَوْ يَعْلَمُونَ مَا فِي التَّهْجِيرِ لاَسْتَبَقُوا إِلَيْهِ وَلَوْ يَعْلَمُونَ مَا فِي الْعَتَمَةِ وَالصُّبْحِ لأَتَوْهُمَا وَلَوْ حَبْوًا** ».

وروى مسلم عن أَبِي هُرَيْرَةَ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – « **خَيْرُ صُفُوفِ الرِّجَالِ أَوَّلُهَا وَشَرُّهَا آخِرُهَا وَخَيْرُ صُفُوفِ النِّسَاءِ آخِرُهَا وَشَرُّهَا أَوَّلُهَا** ».

وروى أحمد عن النعمان بن بشير ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ قال : سمعت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: « **إن الله وملائكته يصلون على الصف الأول، أو الصفوف الأُول** » . [1]



(١) حسن: حسَّنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب – (١ / ١١٨)(٤٩٢) وهوعند ابن ماجه وأبي داود والبيهقي والحاكم والبزار

اغتنام قيام الليل

قيام الليل من صفات الصالحين، وهو دأب الأنبياء والمرسلين، وقربة إلى رب العالمين ، ونور على وجوه المؤمنين ، ومفزع الخائفين، وسر المخلصين.

قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٩﴾ ﴾ [الزُّمر:٩].

وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ في سياق المدح لعبادالرحمن:﴿ وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَٰمًا ﴿٦٤﴾ ﴾[الفرقان:٦٤] .

ووصفهم بأنهم ساجدون راكعون وبحمده مسبحون، وأنهم يتركون أماكن النوم والراحة متهجدين.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِهَا خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَسَبَّحُوا۟ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۩ ﴿١٥﴾ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ ﴾[السجدة:١٥-١٦].

ثم بين ما أعد لهم في الجنة، وما أخفى لهم مما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر فقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾ ﴾[السجدة:١٧] .

قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسير قوله تعالى:﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ ﴾ أي: ترتفع جنوبهم، وتنزعج عن مضاجعها اللذيذة، إلى ما هو ألذ عندهم منه

وأحب إليهم، وهو الصلاة في الليل، ومناجاة الله تعالى... فكما صلوا في الليل، ودعوا، وأخفوا العمل، جازاهـم من جنس عملهم، فأخفى أجرهم، ولهذا قال: ﴿ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿١٧﴾ ﴾. اهـ.

ومن فضائل قيام الليل:

أن الله يكفر به السيئات،ويرفع به الدرجات،ويقي به العبد من الآثام والمهلكات، وهو قربة يتقرب به العبد إلى رب البريات.

فقد روى الترمذي وغيره عَنْ أَبِي أُمَامَةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، عَنْ رَسُول الله صَلَّى الله عَلَيْه وَسَلَّمَ أَنّه قَالَ: «**عَلَيْكُمْ بِقِيَامِ اللَّيْلِ فَإِنَّهُ دَأَبُ الصَّالِحِينَ قَبْلَكُمْ، وَهُوَ قُرْبَةٌ إِلَى رَبِّكُمْ، وَمَكْفَرَةٌ لِلسَّيِّئَاتِ، وَمَنْهَاةٌ عَنِ الإِثْمِ**»[1].

وقيام الليل عز المؤمنين وشرف الصالحين:

فقد روى الطبراني عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍرَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قَالَ: جَاءَ جِبْرِيلُ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: «**يَا مُحَمَّدُ، عِشْ مَا شِئْتَ فَإِنَّكَ مَيِّتٌ، وَاعْمَل ما شِئْتَ فَإِنَّك مَجْزِيٌّ به، وَأَحْبِبْ مَنْ شِئْتَ فَإِنَّكَ مُفَارِقُهُ، وَاعْلَمْ أَنَّ شَرَفَ الْمُؤْمِنِ قِيَامُ اللَّيْلِ، وَعِزُّهُ اسْتِغْنَاؤُهُ عَنِ النَّاسِ**»[2].

ومن فضائل قيام الليل أنه من أسباب دخول الجنة:

فقد روى الترمذي عن عبد الله بن سلام ـ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ ـ قال: قال النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**يا أَيُّهَا النَّاسُ، أَفْشُوا السَّلاَمَ، وَأَطْعِمُوا الطَّعَامَ، وَصَلُّوا وَالنَّاسُ نِيَامٌ، تَدْخُلُوا الجَنَّةَ بِسَلاَمٍ**».[3]

---

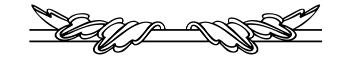
(١)حسن:حسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب - (١ / ١٥١)(٦٢٤).وهوعند النسائي في السنن الكبرى وابن خزيمة

(٢)حسن:حسنه الألباني في السلسلة الصحيحة (٢ / ٥٠٥)(٨٣١)وهو عند الطيالسي.

(٣)صحيح :صححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب - (١ / ١٥٠)(٦١٦)وهوعند ابن ماجه والحاكم وأحمد.

وقيام الليل هو أفضل الصلاة بعد الفريضة:

فقد روى الإمام مسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَفْضَلُ الصِّيَامِ، بَعْدَ رَمَضَانَ، شَهْرُ اللهِ الْمُحَرَّمُ، وَأَفْضَلُ الصَّلَاةِ، بَعْدَ الْفَرِيضَةِ، صَلَاةُ اللَّيْلِ».



اغتنام قيام شهر رمضان



ويزيد أجر القيام في شهر رمضان لفضيلة هذا الشهر، ولما اختصه الله بخصائص كثيرة، ويكون أفضل في العشر الأواخرمن رمضان ، ويكون أفضل في ليلة القدر التي هي خير من ألف شهر، والتي يكون قيامها خيرًا من قيام ألف شهر.

فقد روى البخاري ومسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ـ رَضِيَ الله عَنْهُ ـ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ : «**مَنْ قَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ، وَمَنْ قَامَ لَيْلَةَ القَدْرِ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ**» .

وشروط المغفرة هنا أن يقومه إيمانًا واحتسابًا :أي بنية وعزيمة وإخلاص راجيا ثوابه من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، مصدقًا بمشروعيته وأجوره المترتبة عليه ، منشرحاً به صدره، غير مستثقل له، طيبةً به نفسه.

ويستحب في قيام الليل الإطالة في القيام والقراءة والركوع والسجود ، والعمل بالسُّنَّة في عدد الركعات، وهي إحدى عشرة ركعة، في رمضان وفي غيره، لما روى الإمام مسلم عَنْ جَابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أَفْضَلُ الصَّلَاةِ طُولُ الْقُنُوتِ**» أي: طول القيام.

قال الإمام النووي ـ رَحِمَهُ اللَّهُ ـ: «المراد بالقنوت هنا القيام باتفاق العلماء فيما علمت». اهـ.[1].

وروى البخاري ومسلم عن عَائِشَةَ ـ رَضِيَ الله عَنْهَا ـ قالت: «**مَا كَانَ رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَزِيدُ فِي رَمَضَانَ وَلاَ فِي غَيْرِهِ عَلَى إِحْدَى عَشْرَةَ رَكْعَةً يُصَلِّي أَرْبَعًا،**

(١)شرح مسلم (٣/ ٩٤) .

فَلاَ تَسَلْ عَنْ حُسْنِهِنَّ وَطُولِهِنَّ، ثُمَّ يُصَلِّي أَرْبَعًا، فَلاَ تَسَلْ عَنْ حُسْنِهِنَّ وَطُولِهِنَّ، ثُمَّ يُصَلِّي ثَلاَثًا».

أي: لكمال حسنهن وطولهن فهن مستغنيات عن السؤال عن وصفهن، فقد كان عليه الصلاة والسلام يطيل فيهن ويقرأ مترسلا ويطيل الركوع والسجود، كما سيأتي قريبًا في صفة قيام النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

ويستحب الاستمرار في القيام مع الإمام حتى ينصرف من الصلاة، فإن ذلك كقيام ليلة، فقد جاء عن أبي ذرٍّ ـ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ ـ قَالَ: صُمْنَا مَعَ رَسُول الله – صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – رَمَضَانَ فَلَمْ يَقُمْ بِنَا شَيْئًا مِنَ الشَّهْرِ حَتَّى بَقِيَ سَبْعٌ فَقَامَ بِنَا حَتَّى ذَهَبَ ثُلُثُ اللَّيْلِ فَلَمَّا كَانَتِ السَّادِسَةُ لَمْ يَقُمْ بِنَا فَلَمَّا كَانَت الْخَامِسَةُ قَامَ بِنَا حَتَّى ذَهَبَ شَطْرُ اللَّيْلِ فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ لَوْ نَفَّلْتَنَا قِيَامَ هَذه اللَّيْلَة. قَالَ: فَقَالَ: « **إِنَّ الرَّجُلَ إِذَا صَلَّى مَعَ الإِمَامِ حَتَّى يَنْصَرِفَ حُسِبَ لَهُ قِيَامُ لَيْلَةٍ** ».وفي رواية عند الترمذي: « **كتب له قيام ليلة**»[(١)].

أفضل وقت للقيام :

إن أفضل القيام هو التهجد ، وهو في الثلث الآخر من الليل ، وهو وقت النزول الإلــهي، ويشرع القيام في أي ساعة من الليل، فقد قام النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في جميع آناء الليل، في أوله، ووسطه، وآخره.

فقد روى الإمام مسلم عَنْ عَائِشَةَ ـ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ :«**مِنْ كُلِّ اللَّيْلِ قَدْ أَوْتَرَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَانْتَهَى وِتْرُهُ إِلَى السَّحَرِ**».

لكن الأفضل أن يكون من آخر الليل قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَتَهَجَّدۡ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحۡمُودًا ﴿٧٩﴾ ﴾[الإسراء:٧٩].

---

(١) صحيح: رواه أبو داود والترمذي والنسائي وروى ابن ماجه نحوه وصححه الألباني في صحيح أبي داود (١٣٧٥) والوادعي في الصحيح المسند(١/ ٢١٤ـ٢١٥)(٢٧٠).

قال المفسر الطبري وابن كثير: التهجد هو التيقظ بعد النوم.

وروى الإمام مسلم عَنْ جَابِرٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَنْ خَافَ أَنْ لَا يَقُومَ مِنْ آخِرِ اللَّيْلِ فَلْيُوتِرْ أَوَّلَهُ، وَمَنْ طَمِعَ أَنْ يَقُومَ آخِرَهُ فَلْيُوتِرْ آخِرَ اللَّيْلِ، فَإِنَّ صَلَاةَ آخِرِ اللَّيْلِ مَشْهُودَةٌ، وَذَلِكَ أَفْضَلُ**».

وقَالَ: أَبُو مُعَاوِيَةَ: مَحْضُورَةٌ.

ومعنى مشهودة :أي :محضورة ، تحضرها الملائكة.

وروى الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ عن عَائِشَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - أَنَّهَا سُئِلَت عَن صَلاةِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَتْ: «كَانَ يَنَامُ أَوَّلَ اللَّيْلِ، وَيُحْيِي آخِرَهُ».

وفي هذا الوقت يكون العبد أقرب إلى ربه، فيخلو بربه ويناجيه ويتضرع بين يديه ، فيكون الله تعالى قريبًا منه فيستجيب له ويغفر له ويتقبل منه.

فقد روى الترمذي عن عَمْرِو بْنِ عَبَسَةَ- رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ: «**أَقْرَبُ مَا يَكُونُ الرَّبُّ مِنَ العَبْدِ فِي جَوْفِ اللَّيْلِ الآخِرِ، فَإِنْ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَكُونَ مِمَّنْ يَذْكُرُ اللهَ فِي تِلْكَ السَّاعَةِ فَكُن**»(١).

والقرب هنا ، هو قرب معية، أي:يكون الله معه بنصره وتأييده ولطفه وإجابة دعائه.

أفضل مكان لقيام الليل:

ويستحب للعبد أن يصلي القيام في بيته، فإن أفضل صلاة العبد في بيته إلا المكتوبة، فإنها أقرب إلى الإخلاص، وهي سنة نبينا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، حيث كان يقوم الليل في بيته ، فينبغي أن تعمر البيوت بالذكر والعبادة.

فقد روى البخاري في صحيحه عن زيد بن ثابت - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ

(١)صحيح : صححه الألباني في صحيح وضعيف سنن الترمذي - (٨ / ٧٩)(٣٥٧٩) وحسنه الوادعي في الصحيح المسند(٢/ ٩١)(١٠١٥) وهوعند النسائي والحاكم.

اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: « . **صَلُّوا أَيُّهَا النَّاسُ فِي بُيُوتِكُمْ فَإِنَّ أَفْضَلَ الصَّلاَةِ صَلاَةُ الْمَرْءِ فِي بَيْتِهِ إِلاَّ الْمَكْتُوبَةَ**».

وروى الطبراني عن صهيب بن النعمان ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**فضل صلاة الرجل في بيته على صلاته حيث يراه الناس كفضل المكتوبة على النافلة**» [١] .

أما في رمضان فإنه يشرع صلاة القيام في المسجد جماعة لفعل النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وعمر بن الخطاب ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ فصارت صلاة التراويح والقيام في بيوت الله في شهر رمضان سنة إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ، وإنما تركها النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جماعة في المسجد في آخر أمره؛ خشية أن تفرض عليهم فيعجزون عنها، فلما توفي عليه الصلاة والسلام، وانقطع الوحي، وأكمل الله الدين، وانقضى التشريع، وأُمن فرضيتها، أحياها عمر ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ في المسجد جماعة، فأحيا سنة سنها رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

فقد روى البخاري عَنْ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **اتَّخَذَ حُجْرَةً – قَالَ : حَسِبْتُ أَنَّهُ قَالَ :- مِنْ حَصِيرٍ فِي رَمَضَانَ فَصَلَّى فِيهَا لَيَالِيَ فَصَلَّى بِصَلاَتِهِ نَاسٌ مِنْ أَصْحَابِهِ فَلَمَّا عَلِمَ بِهِمْ جَعَلَ يَقْعُدُ فَخَرَجَ إِلَيْهِمْ فَقَالَ : «قَدْ عَرَفْتُ الَّذِي رَأَيْتُ مِنْ صَنِيعِكُمْ فَصَلُّوا أَيُّهَا النَّاسُ فِي بُيُوتِكُمْ فَإِنَّ أَفْضَلَ الصَّلاَةِ صَلاَةُ الْمَرْءِ فِي بَيْتِهِ إِلاَّ الْمَكْتُوبَةَ»**.

وروى البخاري أيضًا عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَبْدٍ الْقَارِيِّ أَنَّهُ قَالَ : خَرَجْتُ مَعَ عُمَرَ ابْنِ الْخَطَّابِ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، لَيْلَةً فِي رَمَضَانَ إِلَى الْمَسْجِدِ فَإِذَا النَّاسُ أَوْزَاعٌ مُتَفَرِّقُونَ يُصَلِّي الرَّجُلُ لِنَفْسِهِ وَيُصَلِّي الرَّجُلُ فَيُصَلِّي بِصَلاَتِهِ الرَّهْطُ فَقَالَ : عُمَرُ إِنِّي أَرَى لَوْ جَمَعْتُ هَؤُلاَءِ عَلَى قَارِئٍ وَاحِدٍ لَكَانَ أَمْثَلَ ثُمَّ عَزَمَ فَجَمَعَهُمْ عَلَى أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ ثُمَّ

---

(١)قال الشيخ الألباني : (حسن) انظر حديث رقم : (٤٢١٧) في صحيح الجامع.

خَرَجْتُ مَعَهُ لَيْلَةً أُخْرَى وَالنَّاسُ يُصَلُّونَ بِصَلاَةِ قَارِئِهِمْ قَالَ عُمَرُ : نِعْمَ الْبِدْعَةُ هَذِهِ وَالَّتِي يَنَامُونَ عَنْهَا أَفْضَلُ مِنَ الَّتِي يَقُومُونَ يُرِيدُ آخِرَ اللَّيْلِ ، وَكَانَ النَّاسُ يَقُومُونَ أَوَّلَه.

قيام رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

بعد أن عرفنا شيئا من فضائل قيام الليل، وما أعد الله للقائمين ، نريد أن نعرف قيام رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم، لنقتدي به ، فهو قدوتنا وأسوتنا وخير الهدي هديه.

فكيف كان قيام نبينا صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؟

إن نبينا صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هو الذي غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، وهو سيد الناس وخيرتهم ، وهو صاحب الشفاعة العظمى، وصاحب لواء الحمد، وهو صاحب الوسيلة الرفيعة في الجنة ، وأول من يدخل الجنة، لا يفتح لأحد قبله ، ومع هذا كان يقوم الليل حتى تشققت وتورمت قدماه من طول القيام، عليه الصلاة والسلام .

فقد روى البخاري عَنْ عَائِشَةَ ـ رَضِيَ الله عَنْهَا ـ: أَنَّ نَبِيَّ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَقُومُ مِنَ اللَّيْلِ حَتَّى تَتَفَطَّرَ قَدَمَاهُ، فَقَالَتْ : عَائِشَةُ: لِمَ تَصْنَعُ هَذَا يَا رَسُولَ الله، وَقَدْ غَفَرَ الله لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ؟ قَالَ : «**أَفَلاَ أُحِبُّ أَنْ أَكُونَ عَبْدًا شَكُورًا** »**فَلَمَّا كَثُرَ لَحْمُهُ صَلَّى جَالِسًا، فَإِذَا أَرَادَ أَنْ يَرْكَعَ قَامَ فَقَرَأَ ثُمَّ رَكَعَ**».

وبات ليلة يصلي بآية يرددها يركع بها ويسجد حتى طلع الفجر.

فقد روى الإمام أحمد وغيره عن أبي ذر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قام ليلة بآية يرددها حتى أصبح ، وهي ﴿ **إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ** ﴿١١٨﴾ ﴾[المائدة:١١٨] بها يركع وبها يسجد وبها يدعو ، فلما أصبح قال له أبو ذر ـ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ ـ يا رسول الله ما زلت تقرأ هذه الآية حتى أصبحت، تركع بها،

وتسجد بها، وتدعو بها ، وقد علمك الله القرآن كله، لو فعل هذا بعضنا لوجدنا عليه قال: « **إني سألت ربي الشفاعة لأمتي فأعطانيها، وهي نائلة إن شاء الله لمن لا يشرك بالله شيئا**» [(١)] .

وكان صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **يصلي ويقرأ ويدعو ويبكي:**

فقد روى ابن حبان عَنْ عَطَاءٍ قَالَ : دَخَلْتُ أَنَا وَعُبَيْدُ بْنُ عُمَيْرٍ عَلَى عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا... فقَالَ : ابن عُمَيْرٍ أَخْبرينَا بأَعْجَب شَيْءٍ رَأَيْتِه مِنْ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال فَسَكَتَتْ ثُمَّ قَالَتْ : لَمَّا كَانَ لَيْلَةٌ مِنَ اللَّيَالِي قَالَ : «يَا عَائِشَةُ ذَرِينِي أَتَعَبَّدُ اللَّيْلَةَ لِرَبِّي» قُلْتُ وَالله إِنِّي لَأُحِبُّ قُرْبَكَ وَأُحِبُّ مَا يَسُرُّكَ قَالَتْ : فَقَامَ فَتَطَهَّرَ ثُمَّ قَامَ يُصَلِّي قَالَتْ : فَلَمْ يَزَلْ يَبْكِي حَتَّى بَلَّ حِجْرَهُ قَالَتْ : ثُمَّ بَكَى فَلَمْ يَزَلْ يَبْكِي حَتَّى بَلَّ لِحْيَتَهُ قَالَتْ : ثُمَّ بَكَى فَلَمْ يَزَلْ يَبْكِي حَتَّى بَلَّ الْأَرْضَ فَجَاءَ بِلَالٌ يُؤْذِنُهُ بِالصَّلَاةِ فَلَمَّا رَآهُ يَبْكِي قَالَ : يَا رَسُولَ الله لِمَ تَبْكِي وَقَدْ غَفَرَ الله لَكَ مَا تَقَدَّمَ وَمَا تَأَخَّرَ قَالَ: «**أَفَلَا أَكُونُ عَبْدًا شَكُورًا لَقَدْ نَزَلَتْ عَلَيَّ اللَّيْلَةَ آيَةٌ وَيْلٌ لِمَنْ قَرَأَهَا وَلَمْ يَتَفَكَّرْ فِيهَا** : ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُولِي ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ﴾ [آل عمران: ١٩٠] [(٢)] .

ـ **وكان إذا فاته قيام الليل لعذر قضاه في النهار**، فقد روى الإمام مسلم عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، أَنَّ رَسُولَ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ «**كَانَ إِذَا فَاتَتْهُ الصَّلَاةُ مِنَ اللَّيْلِ مِنْ وَجَعٍ، أَوْ غَيْرِهِ، صَلَّى مِنَ النَّهَارِ ثِنْتَيْ عَشْرَةَ رَكْعَةً**».

فيشرع قضاء القيام لمن فاته لهذا الحديث، ويكون ذلك من بعد شروق الشمس إلى قبيل الزوال.

---

(١)حسن: حسنه الألباني ، انظر صفة الصلاة (١ / ١٢١) وأصل صفة صلاة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (٢ / ٥٣٤) للألباني .

(٢)حسن: حسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب – (٢ / ٨٨)(١٤٦٨) .

وكان ﷺ يطيل في قيامه وقراءته وركوعه وسجوده، ويدعو ويسبح ويستغفر ويقرأ بتؤدة وتدبر.

فقد روى الإمام مسلم عَنْ حُذَيْفَةَ ـ رضي الله عنه ـ قَالَ: صَلَّيْتُ مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَاتَ لَيْلَة، فَافْتَتَحَ الْبَقَرَةَ، فَقُلْتُ: يَرْكَعُ عِنْدَ الْمِائَة، ثُمَّ مَضَى، فَقُلْتُ: يُصَلِّي بِهَا فِي رَكْعَة، فَمَضَى، فَقُلْتُ: يَرْكَعُ بِهَا، ثُمَّ افْتَتَحَ النِّسَاءَ، فَقَرَأَهَا، ثُمَّ افْتَتَحَ آلَ عِمْرَانَ، فَقَرَأَهَا، يَقْرَأُ مُتَرَسِّلًا، إِذَا مَرَّ بِآيَةٍ فِيهَا تَسْبِيحٌ سَبَّحَ، وَإِذَا مَرَّ بِسُؤَالٍ سَأَلَ، وَإِذَا مَرَّ بِتَعَوُّذٍ تَعَوَّذَ، ثُمَّ رَكَعَ، فَجَعَلَ يَقُولُ: «**سُبْحَانَ رَبِّيَ الْعَظِيمِ**»، فَكَانَ رُكُوعُهُ نَحْوًا مِنْ قِيَامِهِ، ثُمَّ قَالَ: «سَمِعَ اللهُ لِمَنْ حَمِدَهُ»، ثُمَّ قَامَ طَوِيلًا قَرِيبًا مِمَّا رَكَعَ، ثُمَّ سَجَدَ، فَقَالَ: «سُبْحَانَ رَبِّيَ الْأَعْلَى»، فَكَانَ سُجُودُهُ قَرِيبًا مِنْ قِيَامِهِ.

وفي الصحيحين عَنْ عَبْدِ الله بن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: «**صَلَّيْتُ مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَيْلَةً، فَلَمْ يَزَلْ قَائِمًا حَتَّى هَمَمْتُ بِأَمْرِ سَوْءٍ**»، قُلْنَا: وَمَا هَمَمْتَ؟ قَالَ: هَمَمْتُ أَنْ أَقْعُدَ وَأَذَرَ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

أي: همَّ أن يصلي مع النبي ﷺ جالسا، لكن تأدبًا معه لم يجلس، علما بأنه يجوز الصلاة جلوسا مع الإمام في صلاة الليل.

فيستفاد من هذا الحديث تأدب المأموم مع الإمام وعدم مخالفته والجدال والخصام معه إذا أطال، أو عمل بالسُّنَّة ، ومن تعب أو عجز فله أن يصلي جالساً.

قال النووي ـ رحمه الله ـ : «فِيهِ أنه ينبغي الأدب مع الأئمة والكبار وأن لا يُخَالَفُوا بِفِعْلٍ وَلَا قَوْلٍ مَا لَمْ يَكُنْ حَرَامًا وَاتَّفَقَ الْعُلَمَاءُ عَلَى أَنَّهُ إِذَا شَقَّ عَلَى الْمُقْتَدِي فِي فَرِيضَةٍ أَوْ نَافِلَةٍ الْقِيَامُ وَعَجَزَ عَنْهُ جَازَ لَهُ الْقُعُودُ وَإِنَّمَا لَمْ يقعد ابن مَسْعُودٍ لِلتَّأَدُّبِ مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَفِيهِ جَوَازُ الِاقْتِدَاءِ فِي غَيْرِ الْمَكْتُوبَاتِ وفيه استحباب تطويل صلاة الليل». اهـ.[1]

(١)شرح مسلم – (٦/ ٦٣).

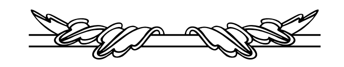
هذه مقتطفات من قيام النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وأما في رمضان فقد كان يجتهد فيه أكثر من غيره ويجتهد في العشر الأواخر أكثر من غيرها.

فقد روى الإمام مسلم عن عَائشَة ـ رَضيَ الله عَنْهَا ـ قَالَتْ : «**كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَجْتَهِدُ فِي الْعَشْرِ الْأَوَاخِرِ، مَا لَا يَجْتَهِدُ فِي غَيْرِهِ**».

فكان يحيي الليل بالعبادة ، ويوقظ أهله لصلاة الليل، ويعتزل النساء ، ويشمر في العبادة أكثر من عادته.

فقد روى البخاري ومسلم عَنْ عَائشَةَ ـ رَضيَ الله عَنْهَا ـ قَالَتْ : «**كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا دَخَلَ الْعَشْرُ شَدَّ مِئْزَرَهُ، وَأَحْيَا لَيْلَهُ، وَأَيْقَظَ أَهْلَهُ**».

فهذا هوقيام رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولنا به أسوة حسنة، قَالَ تَعَالَى في كتابه الكريم: ﴿ **لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا** ﴿٢١﴾ ﴾[الأحزاب:٢١] .



اغتنام ركعتي الضحى



من القربات العظيمة التي يشرع للعبد أن يتقرب بها إلى ربه هي صلاة الضحى، فيصلي العبد من الضحى ما تيسرله، وأقلها ركعتان، ووقتها من بعد شروق الشمس إلى قبيل الزوال (وهو وقوف الشمس في كبد السماء) فإذا وقفت الشمس في كبد السماء فقد انتهى وقت الضحى ، وأفضل وقتها حين ترمض الفصال ، وهو اشتداد حر الشمس وقت الضحية، ولذلك سميت بالضحى، وهو ما بين الساعة التاسعة إلى العاشرة، وسميت الصلاة في هذا الوقت بصلاة الأوابين ، وقد رتب الله عليها أجورًا عظيمة ، وتجزئ عن أعمال كثيرة.

فقد روى الإمام مسلم عن أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أَنَّهُ قَالَ: « **يُصْبِحُ عَلَى كُلِّ سُلاَمَى مِنْ أَحَدِكُمْ صَدَقَةٌ ،فَكُلُّ تَسْبِيحَةٍ صَدَقَةٌ، وَكُلُّ تَحْمِيدَةٍ صَدَقَةٌ، وَكُلُّ تَهْلِيلَةٍ صَدَقَةٌ، وَكُلُّ تَكْبِيرَةٍ صَدَقَةٌ، وَأَمْرٌ بِالْمَعْرُوفِ صَدَقَةٌ ، وَنَهْيٌ عَنِ الْمُنْكَرِ صَدَقَةٌ ،وَيُجْزِئُ مِنْ ذَلِكَ رَكْعَتَانِ يَرْكَعُهُمَا مِنَ الضُّحَى** » .

فجعل ركعتي الضحى مجزئة عن هذه الأعمال كلها لمن لم تتيسر له.

ومعنى (**عَلَى كُلِّ سُلاَمَى مِنْ أَحَدِكُمْ صَدَقَةٌ**): أي على كل عضو ومفصل من الإنسان صدقة، وعدد مفاصل الإنسان ٣٦٠ عظما من عظام الأصابع والأكف والأرجل، فيجزئ عنها ركعتا الضحى لأن الصلاة تقوم بها سائر الأعضاء.

و روى الترمذي عن أنس بن مالك ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ قال : قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: « من صلى الصبح في جماعة ثم قعد يذكر الله حتى تطلع الشمس ثم صلى ركعتين كانت له كأجر حجة وعمرة قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**تامة تامة تامة** »[1].

(١) حسن: حسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب - (١ / ١١١)(٤٦٤)

ولا مانع أن يجعلها العبد ركعتي الضحى، فإن هذا الوقت هو أول الوقت لصلاة الضحى.

وروى الإمام مسلم عن زَيْد بْن أَرْقَم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ: « **صَلاَةُ الأَوَّابِينَ حِينَ تَرْمَضُ الْفِصَالُ** » .

ومعنى ترمض الفصال: أي:تحترق أخفاف صغار الإبل من شدة حر الرمل، والفصال : جمع فصيل وهو ولد الناقة إذا فصل عن أمه.والأوابون : المطيعون الرجاعون إلى الله.

وكيفيتها:هي صلاة خفيفة، ويصلى ماشاء ، وأقلها ركعتان ولا حد لأكثرها ..

فقد روى الإمام البخاري عن أُمِّ هَانِئٍ ــ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ــ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ فَتْحِ مَكَّةَ اغْتَسَلَ فِي بَيْتِهَا فَصَلَّى ثَمَانِ رَكَعَاتٍ، قالت: فَمَا رَأَيْتُهُ صَلَّى صَلاَةً أَخَفَّ مِنْهَا غَيْرَ أَنَّهُ يُتِمُّ الرُّكُوعَ وَالسُّجُودَ» .

اغتنام ركعتي الوضوء:

إن العبد إذا توضأ فأسبغ الوضوء غفرت ذنوبه مع قطرات الماء ، فإذا صلى ركعتين خاشعا فيها، يعلم مايقول فيها، لا يحدث فيها نفسه ، غُفر له ما تقدم من ذنبه ، فإن داوم على ذلك بأن يصلي ركعتين كلما توضأ وتطهر فقد سلك طريقا من طرق الجنة.

فقد روى مسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ: « **إِذَا تَوَضَّأَ الْعَبْدُ الْمُسْلِمُ - أَوِ الْمُؤْمِنُ - فَغَسَلَ وَجْهَهُ خَرَجَ مِنْ وَجْهِهِ كُلُّ خَطِيئَةٍ نَظَرَ إِلَيْهَا بِعَيْنَيْهِ مَعَ الْمَاءِ - أَوْ مَعَ آخِرِ قَطْرِ الْمَاءِ - فَإِذَا غَسَلَ يَدَيْهِ خَرَجَ مِنْ يَدَيْهِ كُلُّ خَطِيئَةٍ كَانَ بَطَشَتْهَا يَدَاهُ مَعَ الْمَاءِ - أَوْ مَعَ آخِرِ قَطْرِ الْمَاءِ - فَإِذَا غَسَلَ رِجْلَيْهِ خَرَجَتْ كُلُّ خَطِيئَةٍ مَشَتْهَا رِجْلاَهُ مَعَ الْمَاءِ - أَوْ مَعَ آخِرِ قَطْرِ الْمَاءِ - حَتَّى يَخْرُجَ نَقِيًّا مِنَ الذُّنُوبِ** ».

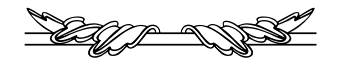
وروى البخاري ومسلم عن حُمْرَانَ مَوْلَى عُثْمَانَ أَنَّ عُثْمَانَ بْنَ عَفَّانَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - دَعَا بِوَضُوءٍ فَتَوَضَّأَ فَغَسَلَ كَفَّيْهِ ثَلاَثَ مَرَّاتٍ ثُمَّ مَضْمَضَ وَاسْتَنْثَرَ ثُمَّ غَسَلَ وَجْهَهُ ثَلاَثَ مَرَّاتٍ ثُمَّ غَسَلَ يَدَهُ الْيُمْنَى إِلَى الْمِرْفَقِ ثَلاَثَ مَرَّاتٍ ثُمَّ غَسَلَ يَدَهُ الْيُسْرَى مِثْلَ ذَلِكَ ثُمَّ مَسَحَ رَأْسَهُ ثُمَّ غَسَلَ رِجْلَهُ الْيُمْنَى إِلَى الْكَعْبَيْنِ ثَلاَثَ مَرَّاتٍ ثُمَّ غَسَلَ الْيُسْرَى مِثْلَ ذَلِكَ ثُمَّ قَالَ : رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- تَوَضَّأَ نَحْوَ وُضُوئِي هَذَا ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: « **مَنْ تَوَضَّأَ نَحْوَ وُضُوئِي هَذَا ثُمَّ قَامَ فَرَكَعَ رَكْعَتَيْنِ لاَ يُحَدِّثُ فِيهِمَا نَفْسَهُ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ** ».

وزاد مسلم « قَالَ ابْنُ شِهَابٍ: وَكَانَ عُلَمَاؤُنَا يَقُولُونَ هَذَا الْوُضُوءُ أَسْبَغُ مَا يَتَوَضَّأُ بِهِ أَحَدٌ لِلصَّلاَةِ».

والدليل على أن ركعتي الوضوء مما يرجى أن تكون سببا في دخول العبد الجنة: ما روى البخاري ومسلم واللفظ للبخاري عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لِبِلاَلٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - عِنْدَ صَلاَةِ الْفَجْرِ: « **يَا بِلاَلُ حَدِّثْنِي بِأَرْجَى عَمَلٍ عَمِلْتَهُ فِي الإِسْلاَمِ فَإِنِّي سَمِعْتُ دَفَّ نَعْلَيْكَ بَيْنَ يَدَيَّ فِي الْجَنَّةِ**» .

قَالَ- رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -:مَا عَمِلْتُ عَمَلاً أَرْجَى عِنْدِي أَنِّي لَمْ أَتَطَهَّرْ طُهُورًا فِي سَاعَةِ لَيْلٍ ، أَوْ نَهَارٍ إِلاَّ صَلَّيْتُ بِذَلِكَ الطُّهُورِ مَا كُتِبَ لِي أَنْ أُصَلِّيَ.قَالَ : أَبُو عَبْدِ اللهِ دَفَّ نَعْلَيْكَ يَعْنِي تَحْرِيكَ.

وقال الحافظ: دَف نعليك:أي، صوت مشيتك ا هـ .[1].



(١)فتح الباري – ابن حجر – (١ / ١١٧) .

اغتنام الصدقة

الصدقة عبادة مالية تخرج مما يملكه العبد لمن يستحقه، وقد رتب الله عليها أجورًا عظيمة ؛ وذلك لأن فيها تفريجا عن المعسرين ، وإطعاما للمساكين، وقضاءً لحوائج الفقراء والمحتاجين، ويدخل في ذلك الزكوات والنفقات الواجبة والنفقات المستحبة.

فمن فضائلها أنها تظل العبد يوم القيامة، وتطفئ غضب الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ، وتبارك في المال وتنميه وتطهره، ويخلف الله للمنفق خيرًا مما أنفق، ومن فضلها أن أول ما يتمنى العبد إذا مات ، أن يرجع إلى الدنيا كيما يتصدق لما رأى من فضل الصدقة.

والأدلة في فضل الصدقة كثيرة نذكر طرفا منها:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴾ [سبأ:٣٩].

وروى البخاري ومسلم عن أبي هريرة ـ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ ـ أن رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قال: « **مَا مِنْ يَوْمٍ يُصْبِحُ العِبَادُ فيه، إِلَّا مَلَكَان يَنْزِلاَنِ، فَيَقُولُ أَحَدُهُمَا: اللَّهُمَّ أَعْطِ مُنْفِقًا خَلَفًا، وَيَقُولُ الآخَرُ: اللَّهُمَّ أَعْطِ مُمْسِكًا تَلَفًا** » .

ومعناه، أي: اللهم أخلف على المنفق بخير، وأتلف على الممسك ما لديه.

والصدقة تطهر العبد وتزكيه وتنمي ماله، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ ۖ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٣﴾ ﴾

[التوبة : ١٠٣].

وروى الإمام مسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ـ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ ـ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ـ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ ـ قَالَ : « **مَا نَقَصَتْ صَدَقَةٌ مِنْ مَالٍ ، وَمَا زَادَ اللهُ عَبْدًا بِعَفْوٍ إِلاَّ عِزًّا ، وَمَا تَوَاضَعَ أَحَدٌ لِلَّهِ**

إِلاَّ رَفَعَهُ اللَّهُ ».

فليبشر المتصدق، فإنه يفلح في الدنيا بأرزاق وفيرة، وفي الآخرة بأجور كثيرة ، بخلاف البخيل فإن الله يمحق بركة رزقه في الدنيا، ويعاقب في الآخرة على بخله.

أما المتصدق فإن الله يخلف له خيرًا مما أنفق، ويبارك له في المال المَتصدق منه، ويربي هذه الصدقة ويضاعفها حتى تصيرعنده كالجبال، وهذا يكون إذا كانت خالصة لوجهه الكريم.

قال تعالى : ﴿ مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّاْئَةُ حَبَّةٍ ۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦١﴾ ﴾

[البقرة:٢٦١] .

ففي هذه الآية بيان بأن الصدقة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف، وربما إلى أضعاف كثيرة والله أكرم من كل كريم، فمن كرم بماله على الفقراء نال من كرم الله حتى يرضى والله أكرم الأكرمين.

وروى البخاري ومسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ـ رَضِيَ الله عَنْهُ ـ قَالَ : قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لَا يَتَصَدَّقُ أَحَدٌ بِتَمْرَةٍ مِنْ كَسْبٍ طَيِّبٍ، إِلَّا أَخَذَهَا اللهُ بِيَمِينِهِ، فَيُرَبِّيهَا كَمَا يُرَبِّي أَحَدُكُمْ فَلُوَّهُ، أَوْ قَلُوصَهُ، حَتَّى تَكُونَ مِثْلَ الْجَبَلِ، أَوْ أَعْظَمَ**».

ومعنى قلوصه أي ناقته. وفلوه هو صغير الناقة أو الخيل.

ـ ومن فضل الصدقة، أن الميت إذا مات يتمنى أن يرجع إلى الدنيا من أجل أن يتصدق ، قال تعالى : ﴿ وَأَنفِقُواْ مِن مَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَآ أَخَّرْتَنِىٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠﴾ ﴾[المنافقون: ١٠].

ويأتي المتصدق يوم القيامة تحت ظل صدقته، يوم تدنو الشمس من رؤوس الخلائق بمقدار ميل ، فيعرقون حتى يذهب العرق في الأرض سبعين ذراعًا ،

فيُظل الله المتصدقين في ظل عرشه يوم لا ظل إلا ظله.

ففي الصحيحين عن أبي هريرة ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: « سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لاَ ظِلَّ إِلاَّ ظِلُّهُ» ..وذكرمنهم :«وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ فَأَخْفَاهَا حَتَّى لاَ تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ ».

وروى الإمام أحمد عن عقبة بن عامر ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ قال سمعت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول : «**كل امرىء في ظل صدقته حتى يقضى بين الناس**» .

قال يزيد فكان أبو الخير مرثد لا يخطئه يوم إلا تصدق فيه بشيء ولو بكعكة أو بصلة[١] .

والأدلة في فضل الصدقة كثيرة، فينبغي اغتنام هذه العبادة العظيمة؛ ليرى العبد أجرها وذخرها عند الله، أحوج ما يكون إلى الحسنة الواحدة، وقد تقدم حديث ابن عباس ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا الذي رواه الحاكم أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال لرجل وهو يعظه: « **اغتنم خمسًا قبل خمس** » وذكر منها: « **وغناك قبل فقرك** » .

وليس للإنسان يوم القيامة من ماله الذي كان في الدنيا إلا ما قدم وأنفق في أبواب الخير، كما عند الإمام مسلم عَنْ مُطَرِّفٍ عَنْ أَبِيهِ قَالَ : أَتَيْتُ النَّبِيَّ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– وَهُوَ يَقْرَأُ ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ۝١﴾ قَالَ:« **يَقُولُ ابْنُ آدَمَ مَالِي مَالِي –قَالَ :– وَهَلْ لَكَ يَا ابْنَ آدَمَ مِنْ مَالِكَ إِلاَّ مَا أَكَلْتَ فَأَفْنَيْتَ أَوْ لَبِسْتَ فَأَبْلَيْتَ أَوْ تَصَدَّقْتَ فَأَمْضَيْتَ** ».

وفي رواية له عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– قَالَ : «**يَقُولُ الْعَبْدُ مَالِي مَالِي إِنَّمَا لَهُ مِنْ مَالِهِ ثَلاَثٌ، مَا أَكَلَ فَأَفْنَى ، أَوْ لَبِسَ فَأَبْلَى، أَوْ أَعْطَى فَاقْتَنَى، وَمَا سِوَى ذَلِكَ فَهُوَ ذَاهِبٌ وَتَارِكُهُ لِلنَّاسِ**».

وروى الترمذي عن عائشة ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أنهم ذبحوا شاة فقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

(١)صحيح: صححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب - (١ / ٢١٢)(٨٧٢)وهو عند الحاكم وابن خزيمة وابن حبان.

«ما بقي منها ؟» قالت: ما بقي منها إلا كتفها، قال: «**بقي كلها غير كتفها**»[(١)].

ومعناه: أن الذي بقي هو الذي تصدقوا به ، وأما الذي أكلوه فقد فني.

فضل الصدقة أيام المسغبة:

ويزيد أجر الصدقة وقت الحاجة الشديدة، والفقر والمجاعة، وأيام الأزمات وارتفاع الأسعار، ويزيد أجرها إذا وقعت في يد الأشد حاجة إليها.

قال تعالى: ﴿ فَلَا ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ ﴿١١﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْعَقَبَةُ ﴿١٢﴾ فَكُّ رَقَبَةٍ ﴿١٣﴾ أَوْ إِطْعَٰمٌ فِى يَوْمٍ ذِى مَسْغَبَةٍ ﴿١٤﴾ يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ ﴿١٥﴾ أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ ﴿١٦﴾ ﴾[البلد : ١١ - ١٦].

قال المفسر السعدي ـ رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ : « ..ثم فسر هذه العقبة ﴿ فَكُّ رَقَبَةٍ ﴿١٣﴾ ﴾ أي: فكها من الرق، بعتقها أو مساعدتها على أداء كتابتها، ومن باب أولى فكاك الأسير المسلم عند الكفار.

﴿ أَوْ إِطْعَٰمٌ فِى يَوْمٍ ذِى مَسْغَبَةٍ ﴿١٤﴾ ﴾ أي: مجاعة شديدة، بأن يطعم وقت الحاجة أشد الناس حاجة.

﴿ يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ ﴿١٥﴾ ﴾ أي: جامعًا بين كونه يتيمًا، فقيرًا ذا قرابة.

﴿ أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ ﴿١٦﴾ ﴾ أي: قد لزق بالتراب من الحاجة والضرورة» اهـ ..

وقال المفسر ابن كثير ـ رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ : «وقوله: ﴿ أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ ﴿١٦﴾ ﴾ أي: فقيرًا مُدقعًا لاصقًا بالتراب، وهو الدقعاء أيضًا.

قال ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا: ﴿ ذَا مَتْرَبَةٍ ﴾ هو المطروح في الطريق ، الذي لا بيت له، ولا شيء يقيه من التراب –وفي رواية: هو الذي لصق بالدقعاء من الفقر والحاجة،

(١) صحيح: حسنه الألباني في السلسلة الصحيحة برقم(٦ / ٩٧) (٢٥٤٤) وصححه في صحيح الترغيب والترهيب - (١ / ٢١٠)(٨٥٩)والوادعي في الصحيح المسند(٢/ ٤٩٧)(١٥٨٢) وهو أحمد.

ليس له شيء -وفي رواية عنه: هو البعيد التربة.

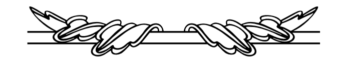
قال ابن أبي حاتم -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- : يعني الغريب عن وطنه.

وقال عكرمة-رَحِمَهُ ٱللَّهُ-: هو الفقير المديون المحتاج.

وقال سعيد بن جبير-رَحِمَهُ ٱللَّهُ- : هو الذي لا أحد له.

وقال ابن عباس، وسعيد، وقتادة، ومقاتل بن حيان: هو ذو العيال.

وكل هذه قريبة المعنى» اهـ. .



اغتنام الحج والعمرة



الحج من أركان الإسلام، ودعائمه العظام، ولا يتم إسلام عبد حتى يقرَّ به ويحجّ بيت الله الحرام عند الاستطاعة، وهو في العمر مرة واحدة وما زاد فهو مستحب.

والحج والعمرة من مكفرات الذنوب، وينفيان الفقر، ومن أسباب دخول الجنة، وهما واجبان على كل مسلم عاقل بالغ قادر لقوله تعالى: ﴿ وَأَتِمُّوا۟ ٱلْحَجَّ وَٱلْعُمْرَةَ لِلَّهِ ۚ ﴾

[البقرة:١٩٦] .

وقوله تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٩٧﴾ ﴾ [آل عمران:٩٧] .

فهاتان الآيتان فيهما وجوب الحج والعمرة للأمر بهما، إلا أن الوجوب مقيد بالاستطاعة وهذا من تيسير الله لهذه الأمة وسماحة هذا الدين الحنيف.

وقوله تعالى: ﴿ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴾[آل عمران:٩٧] .

قال ابن كثير والبغوي والسعدي رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ: أي: من جحد فريضة الحج فهو كافر بالله رب العالمين. اهـ.

وسواء كان الحاج شابًا أو شائبًا، رجلًا أو امرأة، فإنه لا يُخَصُّ بالرجل الكبير في السن دون غيره، كما يفهمه البعض، بل يجزئ الحج عن العبد بمجرد بلوغه، فمن حج البيت بعد البلوغ فقد أدى حجة الإسلام وبرئت ذمته ، ومن حج قبل البلوغ فهي نافلة في حقه ولا تزال ذمته مشغولة به حتى يحج حجة أخرى بعد البلوغ.

الحج المبرور من أسباب دخول الجنة:

من فضائل الحج أنه من أفضل الأعمال ومن أسباب دخول الجنة، لما روى الإمام أحمد ، عن عبادة بن الصامت ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ قال بينما أنا عند رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذ جاءه رجل فقال : يا رسول الله ؛ أي الأعمال أفضل فقال: «**إيمان بالله وجهاد في سبيله وحج مبرور**»[١]. الحديث

والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة لما روى البخاري ومسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ الله عَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ قَالَ : «**الْعُمْرَةُ إِلَى الْعُمْرَةِ كَفَّارَةٌ لِمَا بَيْنَهُمَا، وَالْحَجُّ الْمَبْرُورُ لَيْسَ لَهُ جَزَاءٌ إِلَّا الْجَنَّةُ**».

والحج المبرور هو الذي أخلص فيه صاحبه لله، وسلم من الرياء والفسوق والمعاصي والرفث والجدال والمال الحرام.

والرفث يأتي بمعنى الكلام القبيح ، ويأتي بمعنى مقارفة النساء من الجماع ومقدماته ودواعيه، كما في قوله تعالى: ﴿ **فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي ٱلْحَجِّ** ﴾ [البقرة : ١٩٧].

قال ابن بطال ـ رَحِمَهُ اللَّهُ ـ : « والحج المبرور هو الذي لا رياء فيه ولا رفث ولا فسوق ، ويكون بمالٍ حلال. اهـ .[٢]

وقال المناوي ـ رَحِمَهُ اللَّهُ ـ: (الحج المبرور) أي المقابل بالبر، ومعناه المقبول وهو الذي لا يخلطه شئ من الإثم، ومن علامة القبول أنه يرجع خيرًا مما كان ولا يعاود المعاصي». اهـ .[٣]

---

(١)حسن: حسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب - (٢ / ٥١)(١٣٠٧) وهو عند الطبراني وابن حبان.

(٢)شرح صحيح البخارى (٤ / ٤٣٥)

(٣)فيض القدير شرح الجامع الصغير - (٣ / ٥٣٨)

وقال السعدي -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- في تفسير قوله تعالى:﴿ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي ٱلْحَجِّ ﴾ أي: يجب أن تعظموا الإحرام بالحج، وخصوصا الواقع في أشهره، وتصونوه عن كل ما يفسده أو ينقصه، من الرفث وهو الجماع ومقدماته الفعلية والقولية، خصوصا عند النساء بحضرتهن.

والفسوق وهو: جميع المعاصي، ومنها محظورات الإحرام.

والجدال وهو: المماراة والمنازعة والمخاصمة، لكونها تثير الشر، وتوقع العداوة.

والمقصود من الحج، الذل والانكسار لله، والتقرب إليه بما أمكن من القربات، والتنزه عن مقارفة السيئات، فإنه بذلك يكون مبرورا والمبرور، ليس له جزاء إلا الجنة، وهذه الأشياء وإن كانت ممنوعة في كل مكان وزمان، فإنها يتغلظ المنع عنها في الحج» اهـ . .

الحج والعمرة من مكفرات الذنوب ومن أسباب البركة في الأرزاق :

ومن فضائل الحج والعمرة أنهما يمحوان الذنوب وينفيان الفقر. فقد روى الترمذي عَنْ عَبْدِ الله بْنِ مَسْعُودٍ ـ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ ـ قَالَ : قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**تَابِعُوا بَيْنَ الحَجِّ وَالعُمْرَةِ، فَإِنَّهُمَا يَنْفِيَانِ الفَقْرَ وَالذُّنُوبَ كَمَا يَنْفِي الكِيرُ خَبَثَ الحَدِيدِ، وَالذَّهَبِ، وَالفِضَّةِ، وَلَيْسَ لِلْحَجَّةِ المَبْرُورَةِ ثَوَابٌ إِلاَّ الجَنَّةُ**»[١].

قال المناوي ـ رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ: « قال الطيبي: فيه إشارة إلى أن الغنى الأعظم هو الغنى بطاعة الله ولا عطاء أعظم من مباهاة الله بالحاج الملائكة. ا هـ .[٢]

والذنوب التي يكفرها الحج والعمرة هي الصغائر، وربما كفر الكبائر.

---

(١)صحيح: رواه الترمذي وأحمد وابن خزيمة وابن حبان وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة » (٣/ ١٩٦) برقم(١٢٠٠) وجاء عن ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا وهو في الصحيح المسند مما ليس في الصحيحين (١/ ٥٦١)(٦٩١) للإمام الوادعي.
(٢)فيض القدير (٣/ ٢٩٦).

قال المناوي ـ رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ: «قال ابن العربي: والمكفَّر من الذنوب هو الصغائر لكن هذه الطاعات ربما أثرت في القلب فأورثت توبة تكفر كل خطيئة. ا هـ . ملخصًا[١].

وفي قوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «تابعوا بين الحج والعمرة»: وجوب العمرة، وهي في العمر مرة وما زاد فهو مستحب.

قال المناوي ـ رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ: «أي إذا حججتم فاعتمروا ، وإذا اعتمرتم فحجوا، ونظمها في سلك واحد ليفيد وجوب العمرة كالحج». ا هـ .[٢]

فهنيئا لمن وفقه الله لزيارة بيته الحرام، وشهد تلك المشاعر العظام، فحج وطاف وصلى خلف المقام، ووقف ونسك وسعى في ذلك الزحام ، وهنيئا لمن تقبل الله منه ورجع مطهرا من الذنوب والآثام.

فقد روى البخاري ومسلم عن أَبِي هُرَيْرَةَ ـ رَضِيَ الله عَنْهُ ـ قَالَ:سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ:«**مَنْ حَجَّ لِلَّهِ فَلَمْ يَرْفُثْ، وَلَمْ يَفْسُقْ، رَجَعَ كَيَوْمِ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ**».

أي: يرجع مبرأً من الذنوب قد محيت بسبب ذلك الحج ، فإن الحج يمحو ما قبله من الذنوب ويهدمها، لما روى الإمام مسلم عن عمرو بن العاص ـ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ ـ قال: أَتَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقُلْتُ: ابْسُطْ يَمِينَكَ فَلأُبَايِعْكَ، فَبَسَطَ يَمِينَهُ، قَالَ: فَقَبَضْتُ يَدِي، قَالَ : «مَا لَكَ يَا عَمْرُو؟» قَالَ : قُلْتُ: أَرَدْتُ أَنْ أَشْتَرِطَ، قَالَ: «تَشْتَرِطُ بِمَاذَا؟» قُلْتُ: أَنْ يُغْفَرَ لِي، قَالَ : «أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ الْإِسْلَامَ يَهْدِمُ مَا كَانَ قَبْلَهُ؟ وَأَنَّ الْهِجْرَةَ تَهْدِمُ مَا كَانَ قَبْلَهَا؟ وَأَنَّ الْحَجَّ يَهْدِمُ مَا كَانَ قَبْلَهُ؟» الحديث.

الحج المبرور أفضل الجهاد:

ومن فضائل الحج أنه أفضل الجهاد ، لما روى البخاري عَنْ عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ

(١)فيض القدير (٣/ ٢٩٦) .
(٢)المصدر السابق (٣/ ٢٩٦).

ـرَضِيَ الله عَنْهَاـ أَنَّهَا قَالَتْ :يَا رَسُولَ الله، نَرَى الجِهَادَ أَفْضَلَ العَمَلِ، أَفَلاَ نُجَاهِـدُ؟ قَالَ : «**لاَ، لَكِنَّ أَفْضَلَ الجِهَادِ حَجٌّ مَبْرُورٌ**».

وروى الطبراني عَن الْحُسَيْن بْن عَلِيٍّ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ـ قَالَ : جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ : إِنِّي جَبَانٌ، وَإِنِّي ضَعِيفٌ، فَقَالَ : «**هَلُمَّ إِلَى جِهَادٍ لَا شَوْكَةَ فِيهِ: الْحَجِّ**»[1].

والحج هو جهاد النساء، فقد روى ابن ماجه وأحمد عَنْ عَائِشَةَ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ : قُلْتُ: يَا رَسُولَ الله، عَلَى النِّسَاءِ جِهَادٌ؟ قَالَ : «**نَعَمْ، عَلَيْهِنَّ جِهَادٌ لَا قِتَالَ فِيهِ، الْحَجُّ وَالْعُمْرَةُ**»[2].

قال المناوي ـ رَحِمَهُ اللَّهُ ـ : «فإن الحج جهاد للشياطين، أو المراد أن ثواب الحج يعدل ثواب الغزو مع أن ذاك فيه مشقة وهذا لا مشقة فيه». اهـ .[3].

لاسيما وأكثر مناسك الحج تؤدى في أيام عشر ذي الحجة ، وقد عُلم أن العمل الصالح في هذه الأيام أفضل من الجهاد في سبيل الله، والحج من أفضل الأعمال ، فقد روى البخاري وأبو داود واللفظ له عَن ابْنِ عَبَّاس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ : قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا مِنْ أَيَّام الْعَمَلُ الصَّالِحُ فِيهَا أَحَبُّ إِلَى الله مِنْ هَذِهِ الْأَيَّام يَعْنِي أَيَّامَ الْعَشْرِ ، قَالُوا: يَا رَسُولَ الله وَلَا الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ الله؟ قَالَ : وَلَا الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ الله إِلَّا رَجُلٌ خَرَجَ بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ فَلَمْ يَرْجِعْ مِنْ ذَلِكَ بِشَيْءٍ».

وإن من أحب الأعمال إلى الله لهي مناسك الحج، وهي في هذه الأيام المباركة أفضل من الجهاد في سبيل الله، بما فيها يوم التروية ويوم عرفة ويوم النحر.

---

(١)صحيح:صححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب – (٢ / ٢)(١٠٩٨).

(٢)صحيح: انظرصحيح ابن ماجه – (٢ / ١٥١)(٢٣٤٥)والارواء (٩٨١) ، المشكاة (٢٥٣٤) ، الروض (١٠١٨).

(٣)فيض القدير شرح الجامع الصغير – (٣ / ١٣٩).

الحج من علامات حسن الخاتمة لمن مات فيه:

من مات على طاعة بعثه الله على تلك الطاعة، ومن مات على معصية بُعث عاصيًا أمام الأشهاد، فمن مات ساجدًا بُعث ساجدًا ، ومن مات صائما بُعث صائما ، ومن مات حاجا بُعث ملبيًا، ومن مات مغنيًا بعث وهويغني، والعياذ بالله.

فقد روى الإمام أحمد عن جابر ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ قال قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : «من مات على شيء بعثه الله عليه» [(١)].

وفي صحيح مسلم عن جابر بلفظ : « **يُبعث كل عبد على ما مات عليه**».

وروى البخاري ومسلم عَن ابْنِ عَبَّاس ـ رَضِيَ الله عَنْهُما ـ قَالَ : بَيْنَما رَجُلٌ وَاقِفٌ بعَرَفَةَ إذْ وَقَعَ عَنْ رَاحِلَتِه، فَوَقَصَتْهُ - أَوْ قَالَ : فَأَوْقَصَتْهُ - قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ: «**اغْسِلُوهُ بِماءٍ وَسِدْرٍ، وَكَفِّنُوهُ فِي ثَوْبَيْنِ، وَلاَ تُحَنِّطُوهُ، وَلاَ تُخَمِّرُوا رَأْسَهُ، فَإِنَّهُ يُبْعَثُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مُلَبِّيًا**».

ومعنى (فأوقصته) أي قتلته، قال العيني: «كسرت راحلته عنقه» اهـ . [(٢)]

فيبعث وهو يلبي: « **لَبَّيْكَ اللَّهُمَّ لَبَّيْك، لَبَّيْكَ لاَ شَرِيكَ لَكَ لَبَّيْك، إِنَّ الحَمْدَ وَالنِّعْمَةَ لَكَ وَالْمُلْكَ، لاَ شَرِيكَ لَكَ** » .

فمن علامات حسن الخاتمة أن يموت العبد وهو يؤدي مناسك الحج ، ومن مات في طريقه إلى الحج كُتب له أجر الحاج، وهذا من فضل الله على الناس ولكن أكثر الناس لا يعلمون «إنما الأعمال بالنيات».

فقد روى أبو يعلى عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ قَالَ : قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَنْ خَرَجَ حَاجًّا فَماَتَ كَتَبَ الله لَهُ أَجْرَ الْحَاجِّ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ خَرَجَ**

---

(١)صحيح: صححه الألباني في السلسلة الصحيحة (١ / ٥١٠)برقم(٢٨٣) وهو عند الحاكم.
(٢)عمدة القاري شرح صحيح البخاري - (١٦ / ١٢٤).

مُعْتَمِرًا فَمَاتَ كَتَبَ الله لَهُ أَجْرَ الْمُعْتَمِرِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ خَرَجَ غَازِيًا فِي سَبِيلِ الله فَمَاتَ كَتَبَ الله لَهُ أَجْرَ الْغَازِي إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ»[١] .

وهكذا كل من خرج في طاعة ، ثم أدركه الموت قبل بلوغ مراده ، فقد وقع أجر طاعته عندربه.

قَالَ تَعَالَى : ﴿ ۞ وَمَن يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ يَجِدْ فِي ٱلْأَرْضِ مُرَٰغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً ۚ وَمَن يَخْرُجْ مِنۢ بَيْتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدْرِكْهُ ٱلْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٠٠﴾ ﴾[النساء : ١٠٠].

التعجيل بالحج:

يجب على كل مسلم قادر على الحج أن يبادر لأداء فريضة الحج، فإنها لا تبرأ ذمته إلا بذلك ، وليبادرإليه قبل أن يموت أو يُشغل بشيء أو يُقعد بمرض أو عجز، أو يفتقر، أو غير ذلك، فقد روى الإمام أحمد عَن ابْن عَبَّاس، عَن الْفَضْل، أَوْ أَحدهمَا عَن الْآخَر- رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ : قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: « **مَنْ أَرَادَ الْحَجَّ فَلْيَتَعَجَّلْ، فَإِنَّهُ قَدْ يَمْرَضُ المرِيضُ، وَتَضِلُّ الضَّالَّةُ، وَتَعْرِضُ الْحَاجَةُ** » .[٢]

فإن الحج يجب على كل من استطاع إليه، ويجب المبادرة إليه فورًا، فإن الأمر يقتضي الوجوب والفورية، كما هو معلوم من مقتضى اللغة العربية، فمن توانى وتساهل فإنه يخشى عليه من الإثم، ومن مات ولم يحج وكان قادرا على الحج فإنه مات عاصيًا، وهو آثم في تقصيره في فريضة من فرائض الإسلام، وتركه لواجب من الواجبات، لكن لا مانع من الحج عنه بعد موته من قِبل أوليائه.

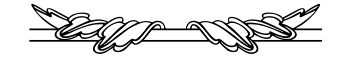
---

(١)صحيح:صحححه الألباني في السلسلة الصحيحة(٦ / ١١٦) (٢٥٥٣)وقال: إسناده جيد وصححه في صحيح الترغيب والترهيب – (٢ / ٥)(١١١٤) .

(٢)حسن: رواه أحمد وابن ماجه والبيهقي والطيالسي وحسنه الألباني في صحيح ابن ماجه – (٢ / ١٤٧)(٢٣٣١) وانظر المشكاة (٩٩٠) ، الارواء (٩٩٠) ، صحيح أبي داود (١٥٢٢).

ويجب على من لم يحج أن يوصي أولياءه بأن يحجوا عنه بعد موته من ماله وتركته، فإلم يكن له مال ولا تركة ـ أي لم يترك شيئا لفقره ـ فيستحب لأقاربه أن يحجوا عنه.

ومما يؤسف ويندى له الجبين، أنه يوجد الكثير من المسلمين لهم القدرة على الحج ، وعندهم الأموال المكدسة والمخزونة فلم يحجوا، وربما بعضهم يفضل أن يشتري عقارا أو بيتا أو مركبا أو متجرًا لا حاجة له فيه ، أو ربما سافر إلى بلد آخر للنزهة أو للتجارة أو نحو ذلك لغيرما حاجة، لكنه لا يبالي بالحج ولا يلتفت إليه، وربما سافر إلى بلاد الكفار ومات في تلك البلاد، وربما كان سفر معصية والعياذ بالله، وقد روى أبو داود عن جرير ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ أن رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: « **أنا بَرِيءٌ من كلّ مسلم يُقِيمُ بين أظْهُرِ المشركين** » .[1]



(١)صحيح: صححه الألباني في صحيح أبي داود - (٧ / ٣٩٧) .

اغتنام الصوم



الصوم من العبادات العظيمة التي يتقرب بها العبد إلى الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ ، ويترتب عليه أجور عظيمة ، واختص الله بعلم ثوابه ، ويثيب عليه بغير حساب، وهو أكرم الأكرمين، وذلك لأن الصائم أظمأ نهاره وأرهق جسده جوعا من أجل الله، وترك كثيرًا مما أباح الله له ، والصيام سر بين العبد وربه ، ولعل الله أخفى مضاعفات أجر الصيام لهذه العلة وغيرها، فإن من فضائل الصيام أن أجوره مضاعفة لا يعلم كثرتها إلا الله، فإن الله سبحانه أخفى مضاعفات أجر الصيام ، وبين مقدار أجر سائر الأعمال ، وذلك بأن الحسنة بعشر أمثالها ، إلى سبعمائة ضعف ، إلا الصيام فإن أمره إلى الله ومقدار ثوابه في علم الله .

فقد روى البخاري ومسلم عن أبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ الله عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: « **قَالَ الله كُلُّ عَمَلِ ابْنِ آدَمَ لَهُ، إِلَّا الصِّيَامَ، فَإِنَّهُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ**».

وفي رواية لمسلم: «**كُلُّ عَمَلِ ابْنِ آدَمَ يُضَاعَفُ الْحَسَنَةُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا إِلَى سَبْعِمِائَة ضِعْف، قَالَ : اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: إِلَّا الصَّوْمَ، فَإِنَّهُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِه، يَدَعُ شَهْوَتَهُ وَطَعَامَهُ مِنْ أَجْلِي لِلصَّائِمِ فَرْحَتَانِ: فَرْحَةٌ عِنْدَ فِطْرِه، وَفَرْحَةٌ عِنْدَ لِقَاءِ رَبِّه وَلَخُلُوفُ فِيهِ أَطْيَبُ عِنْدَ الله مِنْ رِيحِ الْمِسْك، وَإِذَا كَانَ يَوْمُ صَوْمِ أَحَدِكُمْ فَلَا يَرْفُثْ وَلَا يَصْخَبْ، فَإِنْ سَابَّهُ أَحَدٌ أَوْ قَاتَلَهُ، فَلْيَقُلْ إِنِّي امْرُؤٌ صَائِمٌ** » .

معنى :(كُلُّ عَمَلِ ابْنِ آدَمَ لَهُ، إِلَّا الصِّيَامَ، فَإِنَّهُ لِي):

ومعنى قوله تعالى في الحديث القدسي:«**كُلُّ عَمَلِ ابْنِ آدَمَ لَهُ،إِلَّا الصِّيَامَ،فَإِنَّهُ لِي**»:

قال المناوي ـ رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ : أي كل عمل له ، فإن له فيه حظًا ودخلاً لاطلاع الناس

عليه فهو يتعجل به ثوابا منهم (إلا الصيام فإنه) خالص (لي) لا يطلع عليه غيري، أولا يعلم ثوابه المترتب عليه ... أو معناه: أن الأعمال يقتص منها يوم القيامة في المظالم ، إلا الصوم فإنه لله ليس لأحد من أصحاب الحقوق أن يأخذ منه شيئا. اهـ.

بمعنى أن المظلوم يأخذ من حسنات الظالم إلا أجرالصيام فإنه لا يستطيع أن يأخذ منه شيئًا لفضله.

وقال بعض أهل العلم في معنى: «**كُلُّ عَمَلِ ابْنِ آدَمَ لَهُ،إِلَّا الصِّيَامَ،فَإِنَّهُ لِي**»: إن الله انفرد بعلم مقدار ثوابه وتضعيف حسناته، بينما غيرالصيام من العبادات فقد اطلع عليها بعض الناس، وذلك بعلمهم أن الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف، وإلا فإن جميع الأعمال لله كلها وهو الذي يجزي عليها.

قال الحافظ ـ رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ: «**قَالَ الْقُرْطُبِيُّ مَعْنَاهُ :أَنَّ الأَعْمَالَ قَدْ كُشِفَتْ مَقَادِيرُ ثَوَابِهَا لِلنَّاسِ وَأَنَّهَا تُضَاعَفُ مِنْ عَشْرَةٍ إِلَى سَبْعِمائَةٍ إِلَى مَا شَاءَ الله إِلَّا الصِّيَامَ، فَإِنَّ الله يُثِيبُ عَلَيْهِ بِغَيْرِ تَقْدِيرٍ...، أَيْ يجَازِي عَلَيْهِ جَزَاءً كَثِيرًا مِنْ غَيْرِ تَعْيِينٍ لِمِقْدَارِهِ وَهَذَا كَقَوْلِهِ تَعَالَى: «إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ»**. اهـ.[1].

ومن صفات الصائمين الصبروقد سمي رمضان بشهر الصبر.

قال ابن كثير ـ رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ في معنى الآية :﴿ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ : قال وكيع: لا يوزن وزنًا وإنما يكال كيلاً . اهـ. .

والمراد بالصيام هنا الذي يترتب عليه هذا الفضل العظيم ، هو الصيام الذي سلم من الرياء ومن المعاصي قولاً وفعلاً واعتقادًا.

وقد قال بعض أهل العلم: إنه خص بهذا الفضل لأن الصوم لا يقع فيه الرياء كما يقع في غيره من الأعمال ، فإن الصوم سر بين العبد وربه لا يشعر به أحد إلا إذا أخبر به الصائم.

---

(١)فتح الباري (٤ / ١٠٨).

وقال الحافظ: «و اختص الصيام بهذه المزية لأن العبادات راجعة إلى صرف المال أو استعمال البدن، بينما الصوم يتضمن كسر النفس، وتعريض البدن للنقصان، وفيه الصبر على الجوع والعطش وترك الشهوات ، وإلى ذلك أشار بقوله يدع شهوته من أجلي» اهـ . [١].

الصوم وقاية من الشيطان ومن العصيان ومن النيران:

ومن فضائل الصيام ، أنه وقاية للصائم من المعاصي ومن الشياطين، لأن مسالك الشياطين تضيق عند الصائم ، »فإن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم» كما ثبت ذلك عن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الصحيحين عن صفية رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا، فإذا صام العبد ضيقت مجاري الشيطان، بالإضافة إلى أن الشياطين مصفدة في رمضان.

والصيام وقاية من المعاصي، وذلك لأن الصائم مقبل على طاعة ربه، ومعرض عن معصيته، وداعي الشهوة عنده ضعيف، ومجاري الشيطان من ابن آدم مضيقة، فقد روى ابن ماجه عن عُثْمَانَ بْن أَبِي الْعَاص ـ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ ـ قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: « **الصِّيَامُ جُنَّةٌ ؛ كَجُنَّةِ أَحَدِكُمْ مِنَ الْقِتَالِ** » . [٢]

وفي رواية عند أحمد والبيهقي: « **الصيام جُنة وحصن حصين من النار**»[٣] .

ومعنى:(جُنَّة):أي وقاية من المعاصي ومن النار ومن الشيطان .

قال النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: الصيام جنة أي ستر ومانع من الرفث والآثام، ومانع أيضًا من النار، ومنه المجن وهو الترس، ومنه الجن لاستتارهم. اهـ .[٤] .

---

(١)فتح الباري (٤ / ١١٠).

(٢)صحيح: رواه ابن ماجه وأحمد والنسائي والبيهقي وابن خزيمة وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب – (١ / ٢٣٨)(٩٨٢)وأصله في الصحيحين.

(٣)حسن:حسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب – (١ / ٢٣٧)(٩٨٠).

(٤)شرح النووي على مسلم (٤ / ١٥٣) .

فالصيام وقاية من كل الشهوات ولهذا حث النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الشباب الذين لا قدرة لهم على الزواج بالتحصن بالصيام.

فقد روى البخاري ومسلم عن ابن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « **يا معشر الشباب مَنِ اسْتَطَاعَ البَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ، فَإِنَّهُ أَغَضُّ لِلْبَصَرِ، وَأَحْصَنُ لِلْفَرْجِ، وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَعَلَيْهِ بِالصَّوْمِ، فَإِنَّهُ لَهُ وِجَاءٌ** ».

قال المناوي في معنى (وجاء): «أي مانع من الشهوات» اهـ. [1].

ومن فضائل الصيام أنه، وقاية لصاحبه من النار، فقد روى البخاري ومسلم عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ : سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «**مَنْ صَامَ يَوْمًا فِي سَبِيلِ الله، بَعَّدَ الله وَجْهَهُ عَنِ النَّارِ سَبْعِينَ خَرِيفًا**».

وقد ذهب بعض أهل العلم إلى أنه الصيام الذي يكون في أرض الجهاد، وقال بعضهم: هو كل صيام صامه العبد لله وأخلص فيه لوجه الله.

قال الحافظ : «قال بن الجوزي إذا أطلق ذكر سبيل الله فالمراد به الجهاد وقال القرطبي سبيل الله طاعة الله فالمراد من صام قاصدا وجه الله قلت ويحتمل أن يكون ما هو أعم من ذلك ثم وجدته في فوائد أبي الطاهر الذهلي من طريق عبد الله بن عبد العزيز الليثي عن المقبري عن أبي هريرة بلفظ (ما من مرابط يرابط في سبيل الله فيصوم يومًا في سبيل الله) الحديث وقال بن دقيق العيد العرف الأكثر استعماله في الجهاد فإن حمل عليه كانت الفضيلة لاجتماع العبادتين قال ويحتمل أن يراد بسبيل الله طاعته كيف كانت والأول أقرب». اهـ. [2]

وقال المناوي في قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:(**مَنْ صَامَ يَوْمًا فِي سَبِيلِ الله**) أي لله ولوجهه

---

(١)فيض القدير (٤ / ٤٤٥).

(٢)فتح الباري (٦ / ٤٨).

أو في الغزو أو الحج» اهـ .[١]

وقد تقدم ذكر شيء من فضائل الصيام تحت عنوان اغتنام شهر رمضان.

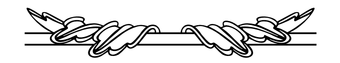
اختصاص باب الريان للصائمين :

ومن فضائل الصيام أن في الجنة بابا يقال له باب الريان ، لا يدخل منه إلا الصائمون، والريان: مشتق من الري ، وهو ضد الظمأ، وقدجعله الله إكرامًا للصائمين ؛لأنهم أظمئوا نهارهم في رمضان؛ ولأن الإنسان قد يستطيع أن يصبر على الجوع ولا يستطيع أن يصبر على العطش، فخص لهذه المزية والله أعلم.

فقد روى البخاري ومسلم عَنْ سَهْلٍ ، رَضِيَ الله عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ : « **إِنَّ فِي الجَنَّةِ بَابًا يُقَالُ لَهُ الرَّيَّانُ، يَدْخُلُ مِنْهُ الصَّائِمُونَ يَوْمَ القِيَامَةِ، لاَ يَدْخُلُ مِنْهُ أَحَدٌ** ».

قال المناوي ـ رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ: «وهو باب يسقى منه الصائم شرابا طهورا قبل وصوله إلى وسط الجنة ليذهب عطشه، وفيه مزيد مناسبة وكمال علاقة بالصوم، واكتفى بالري عن الشبع لدلالته عليه ، أو لأنه أشق على الصائم من الجوع، وقوله: (يدخل منه)أي: إلى الجنة ، وقوله:(الصائمون): يعني الذين يكثرون الصوم. اهـ .[٢]

فينبغي اغتنام الصيام والإكثار منه ، واجتناب ما يخدشه من المعاصي والمخالفات، فإن الأجور المترتبة عليه هي في حق من صام عن الطعام والشراب والجماع واللغو والرفث كما تقدم التنبيه على ذلك في باب اغتنام شهر رمضان المبارك.



(١)فيض القدير (٦ / ٢٠٩).
(٢)فيض القدير (٢ / ٥٨٨).

اغتنام الذكر



للذكر فضائل عظيمة ومزايا عديدة وأجور كثيرة ، فهو حياة للقلوب ، وراحة للأبدان ، ومطردة للشيطان ، ولولم يكن من فوائد الذكر إلا أن الله يذكر الذاكرين، ويكون معهم في كل حين، لكان كافيًا، وكفى به منقبة، وأنعم بها من ممدحة، فإن الله تعالى يقول في كتابه الكريم: ﴿ فَٱذۡكُرُونِيٓ أَذۡكُرۡكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لِي وَلَا تَكۡفُرُونِ ﴿١٥٢﴾ ﴾ [البقرة:١٥٢].

فمن ذكر الله بقلبه ولسانه، كان الله معه بنصره وتأييده وحفظه وتسديده، ومن كان الله معه فلا خاذل له ولو اجتمع عليه من بأقطارها، فذكر الله حصن حصين من المردة والشياطين.

فقد روى البخاري ومسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، رَضِيَ الله عَنْهُ، قَالَ : قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: « **يَقُولُ الله تَعَالَى: أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، وَأَنَا مَعَهُ إِذَا ذَكَرَنِي، فَإِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي، وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَلَإٍ ذَكَرْتُهُ فِي مَلَإٍ خَيْرٍ مِنْهُمْ، وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ بِشِبْرٍ تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعًا، وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ ذِرَاعًا تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ بَاعًا، وَإِنْ أَتَانِي يَمْشِي أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً**».

فما أيسر الذكر وما أسهله على من وفقه الله له، فهو عبادة يسيرة، لا يكلف العبد جهدا، ولا مالا، ولا مشقة، ولهذا وصف الله أولي الألباب ـ وهم أصحاب العقول السليمة ـ أنهم يغتنمون ذكر الله على كل أحوالهم، حال قيامهم وقعودهم ورقودهم، قَالَ تَعَالَى: ﴿ إِنَّ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ لَأٓيَٰتٖ لِّأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ٱلَّذِينَ يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمٗا وَقُعُودٗا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمۡ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلۡقِ

ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٩١﴾ ﴾

[آل عمران:١٩٠-١٩١] .

فالعاقل اللبيب هو الذي لا يفتر عن ذكر ربه في كل أحواله، قائما وقاعدا وراقدا، ويذكر الله في مدخله ومخرجه، وفي ركوبه وسفره، وعند طعامه ومرقده ونومه واستيقاظه، دائما متصل بربه؛ لأن ناصيته بيده، فمن كان كذلك كان الله معه، وليبشر بلطفه وحفظه وفضله وكرمه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ والفوز برضاه ، فالموفق من وفقه الله لذكره وشكره وحسن عبادته ، وينبغي الاعتماد في ذلك على الله وسؤاله المعونة على ذكره عملا بقوله تعالى:﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾ ﴾[الفاتحة:٥] .

فلا سبيل للعبد إلى ذلك إلا بمعونة وتوفيق من ربه، ولذلك علّم النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ معاذ بن جبل رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أن يدعو الله في صلاته بأن يعينه على ذكره وشكره وحُسن عبادته.

فقد جاء من طريق عُقْبَةَ بْن مُسْلِم قال حَدَّثَنِى أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْحُبُلِيُّ عَن الصُّنَابِحِىِّ عَنْ مُعَاذ بْن جَبَل أَنَّ رَسُولَ اللَّه –صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– أَخَذَ بيَده وَقَالَ : « **يَا مُعَاذُ وَاللَّهِ إِنِّي لأُحِبُّكَ وَاللَّهِ إِنِّي لأُحِبُّكَ** ». فَقَالَ : « **أُوصِيكَ يَا مُعَاذُ لاَ تَدَعَنَّ فِي دُبُرِ كُلِّ صَلاَةٍ تَقُولُ اللَّهُمَّ أَعِنِّى عَلَى ذِكْرِكَ وَشُكْرِكَ وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ** ». وَأَوْصَى بِذَلِكَ مُعَاذٌ الصُّنَابِحِىَّ وَأَوْصَى بِهِ الصُّنَابِحِىُّ أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ وأوصى بها أبوعبد الرحمن عقبة بن مسلم .[(١)]

فالذاكر حي القلب والغافل ميت القلب ، لما روى البخاري عَنْ أَبِي مُوسَى ، رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ : قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَثَلُ الَّذِي يَذْكُرُ رَبَّهُ وَالَّذِي لاَ يَذْكُرُ رَبَّهُ، مَثَلُ الحَيِّ وَالمَيِّتِ**».

(١)صحيح: رواه أبو داود والنسائي واللفظ له وابن خزيمة وابن حبان والحاكم وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب - (٢/ ١١٩)(١٥٩٦).

وفي رواية عند مسلم: « مَثَلُ الْبَيْتِ الَّذِى يُذْكَرُ اللَّهُ فِيهِ وَالْبَيْتِ الَّذِى لاَ يُذْكَرُ اللَّهُ فِيهِ مَثَلُ الْحَىِّ وَالْمَيِّتِ ».

وملازمة الذكر من أسباب النجاة من عذاب الله، لما روى الطبراني عَنْ جَابر، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، رَفَعهُ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ قَالَ: **«مَا عَمِلَ آدَمِيٌّ عَمَلًا أَنْجَى لَهُ مِنَ الْعَذَابِ مِنْ ذِكْرِ الله»** قِيلَ: وَلَا الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ الله؟ قَالَ: **«وَلَا الْجِهَادُ إِلَّا أَنْ تَضْرِبَ بِسَيْفِكَ حَتَّى يَنْقَطِعَ»**[1].

الذكر من أحب الأعمال إلى الله:

فقد روى الطبراني عن مُعَاذ بْنِ جَبَل - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: إِنَّ آخِرَ كَلَام فَارَقْتُ عَلَيْهِ رَسُولَ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ قُلْتُ: أَيُّ الْأَعْمَالِ أَحَبُّ إِلَى الله؟ وفي رواية: أخبرني بأفضل الأعمال وأقربها إلى الله، قَالَ: **«أَنْ تَمُوتَ وَلِسَانُكَ رَطْبٌ مِنْ ذِكْرِ الله»**[2].

قال المناوي - رَحِمَهُ اللَّهُ - : «أي والحال أن لسانك (رطب من ذكر الله) يعني أن تلازم الذكر حتى يحضرك الموت وأنت ذاكر، فإن للذكر فوائد جليلة، وعوائد جزيلة، وتأثيرا عجيبا في انشراح الصدر ونعيم القلب، وللغفلة تأثير عجيب في ضد ذلك. قال الطيبي: ورطوبة اللسان عبارة عن سهولة جريانه كما أن يبسه عبارة عن ضده ثم إن جريان اللسان حينئذ عبارة عن إدامة الذكر». اهـ.[3]

فحث النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على مداومة الذكر حتى يأتي الموت، فهنيئا لمن مات ولسانه رطب من ذكر الله، وهنيئا لمن ختم له ب:(لا إله إلا الله).

---

(١)(صحيح): صححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب - (٢ / ٩٧)(١٤٩٧) وانظر حديث رقم: (٥٦٤٤) في صحيح الجامع. وهو عند أحمد.

(٢)صحيح: رواه الطبراني والبزاروابن أبي الدنيا وابن حبان وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب - (٢ / ٩٦)(١٤٩٢).

(٣)فيض القدير (١ / ٢١٥).

فضل الذكر بـ (لا إله إلا الله) :

أفضل الذكر لا إله إلا الله ، لما روى الترمذي عن جابر ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: « أفضل الذكر لا إله إلا الله وأفضل الدعاء الحمد لله »(١)

فهنيئا لمن مات ولسانه ذاكر لله، وهنيئا لمن ختم له بلا إله إلا الله .

فقد روى أبو داود عن مُعَاذ بْنِ جَبَلٍ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: « **مَنْ كَانَ آخِرُ كَلاَمِهِ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ دَخَلَ الْجَنَّةَ** »(٢).

وروى البخاري ومسلم واللفظ له عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ قَالَ : « **مَنْ قَالَ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ. فِي يَوْمٍ مِائَةَ مَرَّةٍ، كَانَتْ لَهُ عَدْلَ عَشْرِ رِقَابٍ وَكُتِبَتْ لَهُ مِائَةُ حَسَنَةٍ وَمُحِيَتْ عَنْهُ مِائَةُ سَيِّئَةٍ وَكَانَتْ لَهُ حِرْزًا مِنَ الشَّيْطَانِ يَوْمَهُ ذَلِكَ حَتَّى يُمْسِيَ وَلَمْ يَأْتِ أَحَدٌ أَفْضَلَ مِمَّا جَاءَ بِهِ إِلاَّ أَحَدٌ عَمِلَ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ. وَمَنْ قَالَ : سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ فِي يَوْمٍ مِائَةَ مَرَّةٍ حُطَّتْ خَطَايَاهُ وَلَوْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ الْبَحْرِ** ».

وقدتقدم معنى: (لا إله إلا الله).

فضل الحوقلة: (لا حول ولا قوة إلا بالله):

روى البخاري ومسلم واللفظ لمسلم عَنْ أَبِي مُوسَى الأَشْعَرِيِّ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ قَالَ: قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ : « **أَلاَ أَدُلُّكَ عَلَى كَلِمَةٍ مِنْ كُنُوزِ الْجَنَّةِ ـ أَوْ قَالَ: ـ عَلَى كَنْزٍ مِنْ كُنُوزِ الْجَنَّةِ** ». فَقُلْتُ بَلَى. فَقَالَ : « **لاَ حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إِلاَّ بِاللَّهِ** ».

وعن معاذ بن جبل ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: « ألا أدلك على

---

(١) حسن: حسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب – (٢ / ١٠٣)(١٥٢٦). ورواه الترمذي والنسائي وابن ماجه وابن حبان والحاكم والبيهقي .

(٢) (صحيح) انظر حديث رقم : (٦٤٧٩) في صحيح الجامع. وهو عند أحمد والحاكم.

باب من أبواب الجنة؟» قال: وما هو؟ قال: « لا حول ولا قوة إلا بالله »[١]

ومعنى(لاحول ولا قوة إلا بالله):أي لا تَحَوُّلَ لي من حال إلى حال، ومن المعصية إلى الطاعة إلابالله، ولا عصمة لي من المعصية إلا بالله ، ولا قوة لي على أمور ديني ودنياي ، ولا قوة لي على طاعة الله إلا بمعونة من الله.

فضل التسبيح والتحميد والتهليل والتكبير:

روى الإمام مسلم عَنْ سَمُرَةَ بْنِ جُنْدَبٍ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ قَالَ : قَالَ رَسُولُ الله –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– « **أَحَبُّ الْكَلاَمِ إِلَى اللَّهِ أَرْبَعٌ: سُبْحَانَ اللَّهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ وَلاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَاللَّهُ أَكْبَرُ. لاَ يَضُرُّكَ بِأَيِّهِنَّ بَدَأْتَ**». الحديث. ورواه البخاري تعليقًا .

وروى مسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ قَالَ : قَالَ رَسُولُ الله–صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– : «**لأَنْ أَقُولَ سُبْحَانَ اللَّهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ وَلاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَاللَّهُ أَكْبَرُ ؛ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ** ».

والشمس تطلع على الدنيا بحذافيرها بما فيها من أموال وكنوز ، فهؤلاء الكلمات أحب إلى نبينا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من الدنيا وما فيها.

وعن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: « **لقيت إبراهيم** عَلَيْهِ السَّلَامُ **ليلة أسري بي فقال يا محمد أقرىء أمتك مني السلام وأخبرهم أن الجنة طيبة التربة عذبة الماء،وأنها قيعان ،وأن غراسها سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر**». [٢]

وعن جابر ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: « من قال سبحان الله العظيم

---

(١)(صحيح): رواه أحمد والطبراني والنسائي والحاكم وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٤ / ٣٢٧)(١٧٤٦).

(٢)(حسن: رواه الترمذي والطبراني في الصغير والأوسط وزاد»ولاحول ولاقوةإلا بالله»وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة (١ / ١٦٥) .

وبحمده غرست له نخلة في الجنة »[١]

ومعنى (**سبحان الله**)أي :تنزيه الله عن كل عيب أو نقص.

ومعنى(**الحمد لله**) **أي**:الثناء على الله بذكر صفات الجلال والكمال والجمال ، مع المحبة والتعظيم.

ومعنى(**الله أكبر**)أي:له صفة الكبرياء،وهو أكبر من كل شيء،وهو الكبير المتعال.

فضل الاستغفار:

من فضائل الاستغفار، أنه من أسباب مغفرة الذنوب، ونزول الغيث من السماء، وحصول البركات في الأرزاق والأولاد ، ومن موانع وقوع العذاب، وقد كان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يلازم الاستغفار وقد غفرله ما تقدم من ذنبه وما تأخر.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ **وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ** ﴿٣٣﴾ ﴾[الأنفال : ٣٣] .

وقَالَ تَعَالَىٰ عن نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ يخاطب قومه: ﴿ **فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا** ﴿١٢﴾ ﴾ [نوح : ١٠ - ١٢] .

وروى الإمام مسلم عَن الأَغَرِّ الْمُزَنِيِّ -وَكَانَتْ لَهُ صُحْبَةٌ- أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ : « **إِنَّهُ لَيُغَانُ عَلَى قَلْبِي وَإِنِّي لأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ فِي الْيَوْمِ مِائَةَ مَرَّةٍ** ».

معنى: قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:**(إنه ليغان على قلبي):**

قال النووي-رَحِمَهُ اللَّهُ-: «قَالَ : أَهْل اللُّغَة : (الْغَيْن) بِالْغَيْنِ الْمُعْجَمَة ، وَالْغَيْم

---

(١)صحيح: رواه الترمذي واللفظ له والنسائي إلا أنه قال: « غرست له شجرة في الجنة»، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (١ / ٩٥) (٦٤)وصحيح الترغيب والترهيب - (٢ / ١٠٧) (١٥٤٠).

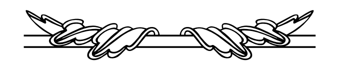
بِمَعْنًى، وَالْمُرَاد هُنَا مَا يَتَغَشَّى الْقَلْب، قَالَ الْقَاضِي : قِيلَ : الْمُرَاد الْفَتَرَات وَالْغَفَلَات عَنْ الذِّكْر الَّذِي كَانَ شَأْنه الدَّوَام عَلَيْهِ ، فَإِذَا أَفْتَرَ عَنْهُ أَوْ غَفَلَ عَدَّ ذَلِكَ ذَنْبًا ، وَاسْتَغْفَرَ مِنْهُ». اهـ. (١)

وروى مسلم عَنْ أَبِي بُرْدَةَ قَالَ : سَمِعْتُ الأَغَرَّ وَكَانَ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يُحَدِّثُ ابْنَ عُمَرَ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا- قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- «**يَا أَيُّهَا النَّاسُ تُوبُوا إِلَى اللهِ فَإِنِّي أَتُوبُ فِي الْيَوْمِ إِلَيْهِ مِائَةَ مَرَّةٍ**».

وعَنِ ابْنِ عُمَرَ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا- قَالَ : إِنْ كُنَّا لَنَعُدُّ لِرَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فِي الْمَجْلِسِ الْوَاحِدِ مِائَةَ مَرَّةٍ « **رَبِّ اغْفِرْ لِي وَتُبْ عَلَيَّ إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ** » (٢) .

وروى أبو داود عن بِلاَلَ بْنَ يَسَار بْن زَيْد مَوْلَى النَّبِيِّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ : سَمِعْتُ أَبِي يُحَدِّثُنِي عَنْ جَدِّي أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يَقُولُ : « **مَنْ قَالَ: أَسْتَغْفِرُ اللهَ الَّذِى لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ غُفِرَ لَهُ وَإِنْ كَانَ فَرَّ مِنَ الزَّحْفِ** » (٣) .

ومعنى(أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ)أي:أطلب من الله أن يغفر لي ذنوبي ويسترها.



(١)شرح مسلم (٩ / ٦٥).

(٢)صحيح: رواه أحمد والترمذي وأبو داود وابن ماجه وصححه الألباني في صحيح أبي داود - (٥ / ٢٤٨)(١٣٥٧).

(٣)صحيح:صححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٦ / ٥٠٦)(١٧٢٧). وهوعند الترمذي.

الذكر أفضل من الجهاد في سبيل الله



بيَّن المصطفى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن الذكر أفضل من الجهاد في سبيل الله، وقد جاءت الأدلة في فضل الجهاد في سبيل الله، وما أعد الله للمجاهـدين في سبيله في الجنة من المنازل الرفيعة والدرجات العالية .

فقد روى الإمام أحمد عَنْ أَبِي الدَّرْدَاء ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ:قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: « **أَلَا أُنَبِّئُكُمْ بِخَيْرِ أَعْمَالِكُمْ، وَأَزْكَاهـا عِنْدَ مَلِيكِكُمْ، وَأَرْفَعِهَا فِي دَرَجَاتِكُمْ، وَخَيْرٍ لَكُمْ مِنْ إِعْطَاءِ الذَّهَبِ وَالْوَرِق، وَخَيْرٍ لَكُمْ مِنْ أَنْ تَلْقَوْا عَدُوَّكُمْ، فَتَضْرِبُوا أَعْنَاقَهُمْ وَيَضْرِبُوا أَعْنَاقَكُمْ** » ، قَالُوا: وَذَلِكَ مَا هُوَ يَا رَسُولَ الله؟ قَالَ : « **ذِكْرُ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ** » . قال معاذ بن جبل ما شيء أنجى من عذاب الله من ذكر الله [1].

وقد استشكل بعض أهل العلم ذلك ، فقالوا :كيف يكون الذكر أفضل من الجهاد، وقد جاءت أدلة كثيرة في أفضلية الجهاد في سبيل الله ؟

متى يكون للذكر مزية وفضل على الجهاد في سبيل الله ؟:

الجواب:يكون للذكر مزية وفضل على الجهاد، إذا تواطأ ذكراللسان مع حضورالقلب، وذلك بأن يستحضر الذاكر عظمة ربه بقلبه ويتمعن معاني الذكر الذي ينطق به لسانه.

وقد جمع الحافظ ابن حجر ـ رَحِمَهُ اللَّهُ ـ بين أدلة فضيلة الجهاد في سبيل الله وأدلة أفضلية ذكر الله فقال: « وَطَرِيقُ الْجَمْعِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ أَنَّ الْمُرَادَ بِذِكْرِ الله فِي حَدِيثِ

(١)صحيح:رواه أحمد وابن أبي الدنيا والترمذي وابن ماجه والحاكم والبيهقي وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٢ / ٩٦)(١٤٩٣) ، والوادعي في الصحيح المسند (٢/ ١٠٩-١١٠)(١٠٣٨).

أَبِي الدَّرْدَاءِ الذِّكْرُ الْكَامِلُ، وَهُوَ مَا يَجْتَمِعُ فِيهِ ذِكْرُ اللِّسَانِ وَالْقَلْبِ بِالتَّفَكُّرِ فِي الْمَعْنَى وَاسْتِحْضَارِ عَظَمَةِ اللهِ تَعَالَى وَأَنَّ الَّذِي يَحْصُلُ لَهُ ذَلِكَ يَكُونُ أَفْضَلَ مِمَّنْ يُقَاتِلُ الْكُفَّارَ... ثم قال: فَمَنِ اتَّفَقَ لَهُ أَنَّهُ جَمَعَ ذَلِكَ كَمَنْ يَذْكُرُ اللهَ بِلِسَانِهِ وَقَلْبِهِ وَاسْتِحْضَارِهِ وَكُلُّ ذَلِكَ حَالَ صَلَاتِهِ أَوْ فِي صِيَامِهِ أَوْ تَصَدُّقِهِ أَوْ قِتَالِهِ الْكُفَّارَ مَثَلًا فَهُوَ الَّذِي بَلَغَ الْغَايَةَ الْقُصْوَى وَالْعِلْمُ عِنْدَ اللهِ تَعَالَى، وَأَجَابَ الْقَاضِي أَبُو بَكْرِ بْنُ الْعَرَبِيِّ بِأَنَّهُ مَا مِنْ عَمَلٍ صَالِحٍ إِلَّا وَالذِّكْرُ مُشْتَرَطٌ فِي تَصْحِيحِهِ فَمَنْ لَمْ يَذْكُرِ اللهَ بِقَلْبِهِ عِنْدَ صَدَقَتِهِ أَوْ صِيَامِهِ مَثَلًا فَلَيْسَ عَمَلُهُ كَامِلًا فَصَارَ الذِّكْرُ أَفْضَلَ الْأَعْمَالِ مِنْ هَذِهِ الْحَيْثِيَّةِ. اهـ.[1].

فضل الذكر في الخلوات:

ويزداد أجر الذكر وفضله حال خلو العبد بربه وأنسه بذكره، فقد جاء في الصحيحين عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللهُ فِي ظِلِّهِ، يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ: الإِمَامُ العَادِلُ... وذكر منهم: وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللهَ خَالِيًا فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ » .

فلما كا ن الخالي عن الناس أبعد عن الرياء خصه هنا بالذكر.

وربما تكون الخلوة في هذا الحديث أشمل وأعم من الخلوة من أعين الناس، وهي أنه لا يلتفت إلى الخلق ولا إلى مشاغل الدنيا ، وإنما يتعلق قلبه بالله فيذكر ربه فتفيض عيناه.

قال القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ في معنى: «ذكر الله خاليًا ففاضت عيناه»: أي خاليًا من الخلق ومن الالتفات إلى غير الله، ففاضت عيناه إما خوفًا من الله أو محبة وشوقًا». اهـ . بمعناه[2]

---

(١)فتح الباري (١١ / ٢١٠).
(٢)انظر الديباج على مسلم - (٣/ ١١٠).

وقال العلامة العثيمين ـ رَحِمَهُ اللَّهُ ـ: «ورجل ذكر الله خاليًا ففاضت عيناه شوقًا الى الله، وخوفًا من الله، ذكر الله خاليا، ليس عنده أحد فيرائيه، ذكر الله خاليًا من مشاغل الدنيا، قلب صافي ليس له تعلقات، فذكر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ففاضت عيناه شوقًا الى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وخوفًا منه، فهذا يظله الله في ظله يوم لا ظل الا ظله» اهـ.(١)

معية الله تعالى للذاكرين:

إن للذكر فضائل عديدة، ومناقب جزيلة في الدنيا والآخرة، أما في الدنيا فإن الله يكون مع من ذكره بالتوفيق والتسديد، والنصر والحفظ والتأييد، وأما في الآخرة فبالإثابة والمغفرة.

قَالَ تَعَالَى: ﴿ فَٱذْكُرُونِيٓ أَذْكُرْكُمْ وَٱشْكُرُواْ لِى وَلَا تَكْفُرُونِ ﴿١٥٢﴾ ﴾ [البقرة:١٥٢].

قال المفسر الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ: «أي: فاذكروني أيها المؤمنون بطاعتكم إياي فيما آمركم به وفيما أنهاكم عنه، أذكرْكم برحمتي إياكم ومغفرتي لكم». اهـ.

وتقدم حديث أَبِي هُرَيْرَةَ، رَضِيَ الله عَنْهُ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«يَقُولُ الله تَعَالَى: أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، وَأَنَا مَعَهُ إِذَا ذَكَرَنِي، فَإِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِه ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي، وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَلَإٍ ذَكَرْتُهُ فِي مَلَإٍ خَيْرٍ مِنْهُمْ، وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ بِشِبْرٍ تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعًا، وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ ذِرَاعًا تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ بَاعًا، وَإِنْ أَتَانِي يَمْشِي أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً»**. متفق عليه.

وقال العيني في معنى قوله تعالى في الحديث القدسي: «أنا عند ظن عبدي بي وأنا معه إذا ذكرني» أي: معه بعلمه، وقيل معه بحسب ما قصد من ذكره «فإن ذكرني في نفسه» بالتنزيه والتقديس سرا ذكرته بالثواب والرحمة سرا». اهـ.(٢)

وذكره الحافظ رَحِمَهُ اللَّهُ في الفتح وزاد: «قال ابن أبي جمرة: أي: اذكروني بالتعظيم

(١) الشرح المختصر على بلوغ المرام -(٥ / ٢٢).
(٢) عمدة القاري شرح صحيح البخاري - (٣٦ / ٣٨).

أذكركم بالإنعام. ا هـ.[١].

وهذا تفسير بالمقتضى ، فإن الله يذكره ثم يثيبه، فلا مانع من أن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يذكره في نفسه أو عند الملأ الأعلى ، ثم يثيبه بمقتضى ذلك، فإن من صفات الله تعالى، ذكره لعبده الذاكر، فإذا ذكره أثابه.

الذاكرون هم السابقون:

الذاكرون لله عَزَّوَجَلَّ هم السابقون بالدرجات العالية والنعيم المقيم في الجنة .

فقد روى الإمام مسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ : كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَسِيرُ فِي طَرِيقِ مَكَّةَ فَمَرَّ عَلَى جَبَلٍ يُقَالُ لَهُ جُمْدَانُ، فَقَالَ : «**سِيرُوا هَذَا جُمْدَانُ سَبَقَ الْمُفَرِّدُونَ**» قَالُوا: وَمَا الْمُفَرِّدُونَ؟ ، يَا رَسُولَ اللهِ قَالَ : «**الذَّاكِرُونَ اللهَ كَثِيرًا، وَالذَّاكِرَاتُ**» .

هذا وإن الله قد أعد للذاكرين له ذكرًا كثيرًا مغفرة لذنوبهم وأجرا عظيما، لا يقدر قدره ولا يعلم كثرته إلا الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، قَالَ تَعَالَىٰ : ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٣٥﴾﴾[الأحزاب:٣٥] .

الذكر صدقة من لا مال له يتصدق به:

جاء فقراء الصحابة إلى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يشكون الأغنياء أنهم يشاركونهم في كثير من الأعمال الصالحة إلا الصدقة فإنهم لا يجدون مالا يتصدقون به ، فدلهم النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على صدقة يتصدقون بها ، هي في مقدورهم وهي ذكر الله تعالى.

---

(١)فتح الباري (١٣ / ٣٨٦) .

فقد روى مسلم عن أَبي ذَرّ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ أَنَّ نَاسًا مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – قَالُوا لِلنَّبِيِّ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – يَا رَسُولَ اللَّهِ ذَهَبَ أَهْلُ الدُّثُورِ بِالأُجُورِ يُصَلُّونَ كَمَا نُصَلِّي وَيَصُومُونَ كَمَا نَصُومُ وَيَتَصَدَّقُونَ بِفُضُولِ أَمْوَالِهِمْ. قَالَ: « أَوَلَيْسَ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ مَا تَصَّدَّقُونَ إِنَّ بِكُلِّ تَسْبِيحَةٍ صَدَقَةً وَكُلِّ تَكْبِيرَةٍ صَدَقَةٌ وَكُلِّ تَحْمِيدَةٍ صَدَقَةٌ وَكُلِّ تَهْلِيلَةٍ صَدَقَةٌ وَأَمْرٌ بِالْمَعْرُوفِ صَدَقَةٌ وَنَهْيٌ عَنْ مُنْكَرٍ صَدَقَةٌ وَفِي بُضْعِ أَحَدِكُمْ صَدَقَةٌ ». قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ أَيَأْتِي أَحَدُنَا شَهْوَتَهُ وَيَكُونُ لَهُ فِيهَا أَجْرٌ قَالَ: « أَرَأَيْتُمْ لَوْ وَضَعَهَا فِي حَرَامٍ أَكَانَ عَلَيْهِ فِيهَا وِزْرٌ فَكَذَلِكَ إِذَا وَضَعَهَا فِي الْحَلاَلِ كَانَ لَهُ أَجْرٌ ».

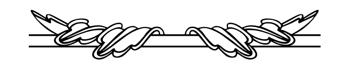
وفي هذا الحديث بين النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن مجرد إتيان الرجل لزوجته يكون له أجر، لأنه يعف نفسه ويعفها، ويبتغي الولد الصالح، فينبغي احتساب ذلك.

وروى البخاري ومسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ – رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ أَنَّ فُقَرَاءَ الْمُهَاجِرِينَ أَتَوْا رَسُولَ اللَّهِ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – فَقَالُوا ذَهَبَ أَهْلُ الدُّثُورِ بِالدَّرَجَاتِ الْعُلَى وَالنَّعِيمِ الْمُقِيمِ. فَقَالَ: « **وَمَا ذَاكَ** ». قَالُوا يُصَلُّونَ كَمَا نُصَلِّي وَيَصُومُونَ كَمَا نَصُومُ وَيَتَصَدَّقُونَ وَلاَ نَتَصَدَّقُ وَيُعْتِقُونَ وَلاَ نُعْتِقُ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – : « **أَفَلاَ أُعَلِّمُكُمْ شَيْئًا تُدْرِكُونَ بِهِ مَنْ سَبَقَكُمْ وَتَسْبِقُونَ بِهِ مَنْ بَعْدَكُمْ وَلاَ يَكُونُ أَحَدٌ أَفْضَلَ مِنْكُمْ إِلاَّ مَنْ صَنَعَ مِثْلَ مَا صَنَعْتُمْ** ». قَالُوا بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ. قَالَ: « **تُسَبِّحُونَ وَتُكَبِّرُونَ وَتَحْمَدُونَ دُبُرَ كُلِّ صَلاَةٍ ثَلاَثًا وَثَلاَثِينَ مَرَّةً** ». قَالَ: أَبُو صَالِحٍ فَرَجَعَ فُقَرَاءُ الْمُهَاجِرِينَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – فَقَالُوا سَمِعَ إِخْوَانُنَا أَهْلُ الأَمْوَالِ بِمَا فَعَلْنَا فَفَعَلُوا مِثْلَهُ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – « **ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ** ».

وروى مسلم أيضًا عن سَعْدٍ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ قَالَ: كُنَّا عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – فَقَالَ: « **أَيَعْجِزُ أَحَدُكُمْ أَنْ يَكْسِبَ كُلَّ يَوْمٍ أَلْفَ حَسَنَةٍ** ». فَسَأَلَهُ سَائِلٌ مِنْ جُلَسَائِهِ كَيْفَ يَكْسِبُ أَحَدُنَا أَلْفَ حَسَنَةٍ قَالَ: « **يُسَبِّحُ مِائَةَ تَسْبِيحَةٍ فَيُكْتَبُ لَهُ أَلْفُ حَسَنَةٍ أَوْ يُحَطُّ عَنْهُ أَلْفُ خَطِيئَةٍ** ».

فذكرُ الله من أيسر العبادات التي يقوم بها العبد فهو أيسر عليه من قيام الليل وجهاد الكفار ونفقة الأموال فمن عجز عن هذه الأعمال فلا يعجز عن ذكر الله تعالى.

فقد روى البزار عن ابن عباس ـ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا ـ أن النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قال: «**من عجز منكم عن الليل أن يكابده وبخل بالمال أن ينفقه وجبن عن العدو أن يجاهده، فليكثر ذكر الله**»[1].



(١) صحيح: صححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب - (٢ / ٩٦) (١٤٩٦). ورواه الطبراني والبيهقي.

اغتنام الذكر في أدبار الصلوات



هناك أذكار بعد الصلوات يغفل عنها كثير من المصلين أو يتساهلون بها، وهي تجبر ما حصل من نقص في الصلاة ، وبعضها من أسباب دخول الجنة ، وبعضها من مكفرات الذنوب ، فمنها الاستغفار وقراءة آية الكرسي ، والتسبيح والتحميد والتكبير والتهليل، فينبغي على العبد أن يغتنمها.

فقد روى الإمام مسلم عَنْ ثَوْبَانَ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ قَالَ : كَانَ رَسُولُ اللَّهِ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – إِذَا انْصَرَفَ مِنْ صَلاَتِه اسْتَغْفَرَ ثَلاَثًا وَقَالَ : « **اللَّهُمَّ أَنْتَ السَّلاَمُ وَمِنْكَ السَّلاَمُ ، تَبَارَكْتَ ذَا الْجَلاَلِ وَالإِكْرَام** ».

قَالَ:الْوَلِيدُ فَقُلْتُ لِلأَوْزَاعِيِّ كَيْفَ الاِسْتِغْفَارُ قَالَ: تَقُولُ أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ.

وعن أبي أمامة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**من قرأ آية الكرسي دبر كل صلاة لم يمنعه من دخول الجنة إلا أن يموت**» . [١]

وروى مسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ –أنه قال «**مَنْ سَبَّحَ اللَّهَ فِي دُبُرِ كُلِّ صَلاَةٍ ثَلاَثًا وَثَلاَثِينَ ، وَحَمِدَ اللَّهَ ثَلاَثًا وَثَلاَثِينَ ، وَكَبَّرَ اللَّهَ ثَلاَثًا وَثَلاَثِينَ ، فَتِلْكَ تِسْعَةٌ وَتِسْعُونَ ، وَقَالَ : تَمَامَ الْمِائَةِ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ، غُفِرَتْ خَطَايَاهُ وَإِنْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ الْبَحْرِ**».

(١)حسن: رواه النسائي والطبراني وابن حبان وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب – (٢ / ١١٩)(١٥٩٥)وحسنه في السلسلة الصحيحة (٢ / ٦٩٧) (٩٧٢)، وحسنه الوادعي في الصحيح المسند (١/ ٤٠٥)(٤٧٨).

والمراد بدبرالصلاة هنا هو بعد السلام ، كما بين ابن عثيمين ـ رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ قال : «ماورد من الدعاء مقيدا بدبر الصلاة فهو قبل السلام ، وماورد من الذكر مقيدا بدبر الصلاة فهو بعد الصلاة لقوله تعالى: ﴿ فَإِذَا قَضَيْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ قِيَـٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ ﴾ [النساء : ١٠٣] اهـ .[١]

(١)كتاب الدعاء ص(٥٤) .

اغتنام الصلاة على النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ



الصلاة على النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من أعظم القربات التي يتقرب بها العبد إلى ربه ، وبها يفرج الله الكربات، ويرفع الدرجات، وينزل على العبد بسببها الرحمات ، وهي علامة على محبة العبد لنبيه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وقد أمر الله بالصلاة على نبيه ، وذم النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من لم يصلِ عليه.

والصلاة عليه هي الثناء والدعاء، قال البخاري:«قَالَ أَبُو الْعَالِيَةِ: صَلاَةُ الله ثَنَاؤُهُ عَلَيْهِ عِنْدَ الْمَلاَئِكَةِ وَصَلاَةُ الْمَلاَئِكَةِ الدُّعَاءُ.قَالَ : ابْنُ عَبَّاسٍ -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- ﴿ يُصَلُّونَ ﴾ يُبَرِّكُونَ»، ذكره تعليقًا مجزومًا بصحته.

قَالَ تَعَالَىٰ : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ٥٦ ﴾[الأحزاب : ٥٦] .

قال ابن كثير-رَحِمَهُ ٱللَّهُ- :«وقال أبو عيسى الترمذي:وروى عن سفيان الثوري وغير واحد من أهل العلم قالوا: صلاة الرب: الرحمة، وصلاة الملائكة: الاستغفار..

والمقصود من هذه الآية: أن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أخبر عباده بمنزلة عبده ونبيه عنده في الملأ الأعلى، بأنه يثني عليه عند الملائكة المقربين، وأن الملائكة تصلي عليه. ثم أمر تعالى أهل العالم السفلي بالصلاة والتسليم عليه، ليجتمع الثناء عليه من أهل العالمين العلوي والسفلي جميعًا» اهـ . .

وقال السعدي -رَحِمَهُ ٱللَّهُ-: «وهذا فيه تنبيه على كمال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ورفعة درجته، وعلو منزلته عند الله وعند خلقه، ورفع ذكره و﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ﴾ تعالى ﴿ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ ﴾ عليه، أي: يثني الله عليه بين الملائكة، وفي الملأ الأعلى،

لمحبته تعالى له، وتثني عليه الملائكة المقربون، ويدعون له ويتضرعون.

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ﴿٥٦﴾ ﴾ اقتداء بالله وملائكته، وجزاء له على بعض حقوقه عليكم، وتكميلا لإيمانكم، وتعظيما له صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ومحبة وإكرامًا، وزيادة في حسناتكم، وتكفيرًا من سيئاتكم» اهـ.

أحاديث في فضل الصلاة على النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

روى الإمام مسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ـ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ ـ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ -صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ: « **مَنْ صَلَّى عَلَيَّ وَاحِدَةً صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ عَشْرًا** ».

وروى مسلم أيضًاعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ ـ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا ـ أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ -صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يَقُولُ : « **إِذَا سَمِعْتُمُ الْمُؤَذِّنَ فَقُولُوا مِثْلَ مَا يَقُولُ ثُمَّ صَلُّوا عَلَيَّ فَإِنَّهُ مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلاَةً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ بِهَا عَشْرًا ثُمَّ سَلُوا اللهَ لِيَ الْوَسِيلَةَ فَإِنَّهَا مَنْزِلَةٌ فِي الْجَنَّةِ لاَ تَنْبَغِى إِلاَّ لِعَبْدٍ مِنْ عِبَادِ اللهِ وَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَنَا هُوَ فَمَنْ سَأَلَ لِيَ الْوَسِيلَةَ حَلَّتْ لَهُ الشَّفَاعَةُ** ».

وعَنْ أَوْسِ بْنِ أَوْسٍ ـ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ ـ قَالَ :قَالَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- « **إِنَّ مِنْ أَفْضَلِ أَيَّامِكُمْ يَوْمَ الْجُمُعَةِ فِيهِ خُلِقَ آدَمُ وَفِيهِ قُبِضَ وَفِيهِ النَّفْخَةُ وَفِيهِ الصَّعْقَةُ فَأَكْثِرُوا عَلَيَّ مِنَ الصَّلاَةِ فِيهِ فَإِنَّ صَلاَتَكُمْ مَعْرُوضَةٌ عَلَيَّ** ». قَالَ : **قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ وَكَيْفَ تُعْرَضُ صَلاَتُنَا عَلَيْكَ وَقَدْ أَرِمْتَ يَقُولُونَ بَلِيتَ. فَقَالَ** : « **إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ حَرَّمَ عَلَى الأَرْضِ أَجْسَادَ الأَنْبِيَاءِ** » (١).

وعن أبي هريرة ـ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ ـ عن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال : «**ما من أحد يسلم علي إلا رد الله إلي روحي حتى أرد عليه السلام** » . (٢)

وروى الترمذي عن أُبَي بن كعب ـ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ ـ قال : كان رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

(١)صحيح: رواه أحمد وأبو داود وابن ماجه وابن حبان والحاكم وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب - (١ / ١٧٠)(٦٩٦) وانظرالسلسلة الصحيحة (٤ / ٣٢) (١٥٢٧)

(٢)حسن: رواه أحمد وأبو داود والبيهقي والطبراني وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة (٥ / ٣٣٨) (٢٢٦٦).

إذا ذهب ثلثا الليل قام فقال:« يا أيها الناس اذكروا الله اذكروا الله جاءت الراجفة تتبعها الرادفة جاء الموت بما فيه جاء الموت بما فيه» قال أُبَي قلت يا رسول الله إني أكثر الصلاة عليك فكم أجعل لك من صلاتي ؟ فقال:« ما شئت» قال: قلت: الربع، قال: « ما شئت فإن زدت فهو خير لك»، قلت: النصف، قال: « **ما شئت فإن زدت فهو خير لك**» قال: قلت: فالثلثين، قال: « **ما شئت فإن زدت فهو خير لك** » قلت: أجعل لك صلاتي كلها، قال: « **إذا تكفى همك ويغفر لك ذنبك** » .[1]

وروى الترمذي عن علي بن أبي طالب ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: « **البخيل الذي من ذُكرت عنده فلم يصلِ علي**». [2]

يؤخذ من هذا الحديث وجوب الصلاة على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عند ذكره، إضافة إلى ما تقدم من قوله تعالى:﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ﴿٥٦﴾ ﴾[الأحزاب : ٥٦] ، فإن فيها أمر بالصلاة عليه والأمر يقتضي الوجوب.

أفضل صيغة للصلاة على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

هناك صيغ للصلاة على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أفضلها هي: « **اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على آل إبراهـيم إنك حميد مجيد، وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على آل إبراهـيم إنك حميد مجيد**»، كما جاء ذلك مبينا في الأحاديث الشريفة.

قال السعدي ـ رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ عند تفسير الآية السابقة : «**وأفضل هيئات الصلاة عليه عليه الصلاة والسلام، ما علم به أصحابه: «اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على آل إبراهـيم إنك حميد مجيد، وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على آل إبراهـيم إنك حميد مجيد**» وهذا الأمر بالصلاة والسلام عليه مشروع في جميع

(١) قال الألباني في صحيح الترغيب والترهيب – (٢ / ١٣٧)(١٦٧٠) :حسن صحيح، وهو عند أحمد والحاكم.

(٢) صحيح:صححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب – (٢ / ١٣٩)(١٦٨٣) وهو عند النسائي وابن حبان والحاكم والبزار.

الأوقات، وأوجبه كثير من العلماء في الصلاة » اهـ .

تنبيه:

كثير من الناس إذا نسي شيئًا أو فائدة يبادر بالصلاة على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وليس هذا موطن للصلاة عليه ولا دليل على ذلك، وإنما المشروع من الذكر عند النسيان هو ذكر الله تعالى لقوله تعالى: ﴿ وَٱذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ ﴾ [الكهف : ٢٤]، فيقول: (لا إله إلا الله)ونحو ذلك

قال المفسر السعدي ـ رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ : «ويؤخذ من عموم قوله: ﴿ وَٱذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ ﴾ الأمر بذكر الله عند النسيان، فإنه يزيله، ويذكر العبد ما سها عنه، وكذلك يؤمر الساهي الناسي لذكر الله، أن يذكر ربه، ولا يكونن من الغافلين» اهـ .

ومنهم من إذا أعجبه شيء أو خاف العين يصلي على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وهذا لا دليل عليه، إذ إن المشروع عند ذلك هو أن يقول العبد ما شاء الله ، اللهم بارك، لقوله تعالى: ﴿ وَلَوْلَآ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ إِن تَرَنِ أَنَا۠ أَقَلَّ مِنكَ مَالًا وَوَلَدًا ﴿٣٩﴾ ﴾ [الكهف : ٣٩] .

قال المفسر ابن كثير ـ رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ :هذا تحضيض وحث على ذلك، أي: هلا إذا أعجبتك حين دخلتها ونظرت إليها حمدت الله على ما أنعم به عليك، وأعطاك من المال والولد ما لم يعطه غيرك، وقلت: ﴿ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ ﴾ ؛ ولهذا قال بعض السلف: من أعجبه شيء من حاله أو ماله أو ولده أو ماله، فليقل: ﴿ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ ﴾ وهذا مأخوذ من هذه الآية الكريمة» اهـ . .

وروى أحمد والحاكم عن سهل بن حنيف ـ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ ـ قال : قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : «**إذا رأى أحدكم من أخيه ومن نفسه ومن ماله ما يعجبه فليبركه ، فإن العين حق**» [١] .

---

(١)صحيح:صححه الألباني في « السلسلة الصحيحة » (٦ / ٢٥٧٢) (١٤٨) .

اغتنام تلاوة القرآن وتدبره والعمل به



إن القرآن الكريم هو خير الكلام ، لأنه كلام الرحمن ذي الجلال والإكرام، وهو الناسخ لجميع الأديان، وهو المحفوظ من التبديل والتحريف ، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد، وهو المعجزة الخالدة ، والمتعبد بتلاوته، من قرأه فأعربه فله بكل حرف حسنة والحسنة بعشر أمثالها، ومن تمسك به نجا، ومن تخلف عنه ضل وغوى.

جعله الله هداية للناس من الضلال، وجعله نورًا للناس من الظلمات، وجعله شفاءً لهم من الأمراض والأسقام الحسية والمعنوية، وشفاءً لأمراض القلوب والأبدان، ودواءً من أمراض الشبهات والشهوات .

قال تعالى: ﴿ الٓمٓ ﴿١﴾ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْحَكِيمِ ﴿٢﴾ هُدًى وَرَحْمَةً لِّلْمُحْسِنِينَ ﴿٣﴾ ﴾ [لقمان:١-٣].

وقال تعالى: ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ۙ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴿٨٢﴾ ﴾[الإسراء:٨٢].

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِٱلذِّكْرِ لَمَّا جَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾ ﴾[فصلت : ٤١ - ٤٢].

وقال تعالى: ﴿ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾ ﴾ [طه : ١٢٣ - ١٢٦].

قال كثير من المفسرين: الهدى والذكر في هاتين الآيتين هما: القرآن الكريم.

وقال المفسر الطبري ـ رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ: «هذه آيات الكتاب بيانا ورحمة من الله ، رحم به من اتبعه وعمل به من خلقه، وقوله: « للمحسنين» وهم الذين أحسنوا في العمل بما أنزل الله في هذا القرآن يقول تعالى ذكره: هذا الكتاب الحكيم هدى ورحمة للذين أحسنوا فعملوا بما فيه من أمر الله ونهيه. اهـ .

وقال العلامة المفسر السعدي ـ رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ: «فالقرآن مشتمل على الشفاء والرحمة، وليس ذلك لكل أحد، وإنما ذلك للمؤمنين به، المصدقين بآياته، العاملين به، وأما الظالمون بعدم التصديق به أو عدم العمل به، فلا تزيدهم آياته إلا خسارًا، إذ به تقوم عليهم الحجة، فالشفاء الذي تضمنه القرآن عام لشفاء القلوب، من الشبه، والجهالة، والآراء الفاسدة، والانحراف السيئ، والقصود السيئة. فإنه مشتمل على العلم اليقيني، الذي تزول به كل شبهة وجهالة، والوعظ والتذكير، الذي يزول به كل شهوة تخالف أمر الله، ولشفاء الأبدان من آلامها وأسقامها. وأما الرحمة، فإن ما فيه من الأسباب والوسائل التي يحث عليها، متى فعلها العبد فاز بالرحمة والسعادة الأبدية، والثواب العاجل والآجل». اهـ .

فضل تلاوة القرآن الكريم:

يقول ربنا تبارك وتعالى في كتابه الكريم: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتۡلُونَ كِتَـٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَـٰهُمۡ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرۡجُونَ تِجَـٰرَةً لَّن تَبُورَ ﴿٢٩﴾ لِيُوَفِّيَهُمۡ أُجُورَهُمۡ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضۡلِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٠﴾ ﴾

[فاطر:٢٩-٣٠] .

وعد الله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ التالين لكتابه العاملين به بالتجارة الرابحة والأجور العظيمة والمزيد من فضله.

قال المفسر ابن كثير ـ رَحِمَهُ اللَّهُ ـ: « يُخْبِرُ تَعَالَى عَنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَهُ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَعْمَلُونَ بِمَا فِيهِ، مِنْ إِقَامِ الصَّلَاةِ، وَالْإِنْفَاقِ مِمَّا رَزَقَهُمُ الله فِي الْأَوْقَاتِ الْمَشْرُوعَةِ لَيْلًا وَنَهَارًا، سِرًّا وَعَلَانِيَةً، ﴿ يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّن تَبُورَ ﴾ أَيْ: يَرْجُونَ ثَوَابًا عِنْدَ الله لَا بُدَّ مِنْ حُصُولِهِ. كَمَا قَدَّمْنَا فِي أَوَّلِ التَّفْسِيرِ عِنْدَ فَضَائِلِ الْقُرْآنِ أَنَّهُ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ: «إِنَّ كُلَّ تَاجِرٍ مِنْ وَرَاءِ تِجَارَتِهِ، وَإِنَّكَ الْيَوْمَ مِنْ وَرَاءِ كُلِّ تِجَارَةٍ»؛ وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى: ﴿ لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦٓ ﴾ أَيْ: لِيُوَفِّيَهُمْ ثَوَابَ مَا فَعَلُوهُ وَيُضَاعِفَهُ لَهُمْ بِزِيَادَاتٍ لَمْ تَخْطُرْ لَهُمْ. اهـ .

وأهل القرآن الحافظون له، العاملون به، القارئون له، غير الغالين فيه، ولا الجافين عنه، هم أهل الله وخاصته.

فقد روى النسائي عَنْ أَنَس بْن مَالِك ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ الله – صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ –: **«إِنَّ للهِ أَهْلِينَ مِنْ النَّاسِ. قَالُوا: يَا رَسُولَ الله، مَنْ هُمْ؟ قَالَ : «هُمْ أَهْلُ الْقُرْآنِ، أَهْلُ الله وَخَاصَّتُهُ»** [١].

قال المناوي ـ رَحِمَهُ اللَّهُ ـ: أي خاصته وأحباؤه من خلقه الداخلين في حزبه ﴿ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾[المجادلة :٢٢] اهـ [٢].

وأهل القرآن هم خير الناس وأكرمهم على الله، لشرف ما يحملونه، إذا كانوا به يعملون ، وإليه يدعون، فقد روى البخاري عَنْ عُثْمَانَ ، رَضِيَ الله عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : **«خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ»** وفي رواية: **«إِنَّ أَفْضَلَكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ»**.

فمن جمع بين العلم والتعليم لكتاب الله ، فهو خير الناس بنص هذا الحديث وقد حاز الخير كله.

---

(١)صحيح: صححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب – (٢ / ٨٠)(١٤٣٢)، والوادعي في الصحيح المسند(١/ ٧٥)(٧٧). وهوعند أحمد والبزار والطيالسي وابن ماجه والحاكم .
(٢)فيض القدير شرح الجامع الصغير – (٢ / ٥٨٣) .

وقراءة القرآن من أفضل الأعمال وأكثرها أجرا لما ثبت عند الإمام مسلم عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ : خَرَجَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَنَحْنُ فِي الصُّفَّةِ، فَقَالَ : **«أَيُّكُمْ يُحِبُّ أَنْ يَغْدُوَ كُلَّ يَوْمٍ إِلَى بُطْحَانَ، أَوْ إِلَى الْعَقِيقِ، فَيَأْتِيَ مِنْهُ بِنَاقَتَيْنِ كَوْمَاوَيْنِ فِي غَيْرِ إِثْمٍ، وَلَا قَطْعِ رَحِمٍ؟»**، فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ نُحِبُّ ذَلِكَ، قَالَ: **«أَفَلَا يَغْدُو أَحَدُكُمْ إِلَى الْمَسْجِدِ فَيَعْلَمُ، أَوْ يَقْرَأُ آيَتَيْنِ مِنْ كِتَابِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، خَيْرٌ لَهُ مِنْ نَاقَتَيْنِ، وَثَلَاثٌ خَيْرٌ لَهُ مِنْ ثَلَاثٍ، وَأَرْبَعٌ خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَرْبَعٍ، وَمِنْ أَعْدَادِهِنَّ مِنَ الْإِبِلِ»**.ومعنى كوماوين:أي عظيمتا السنام.

وروى الترمذي عن عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ قَرَأَ حَرْفًا مِنْ كِتَابِ اللهِ فَلَهُ بِهِ حَسَنَةٌ، وَالحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا، لَا أَقُولُ الْم حَرْفٌ، وَلَكِنْ أَلِفٌ حَرْفٌ وَلَامٌ حَرْفٌ وَمِيمٌ حَرْفٌ».[1]

بعض المحدثين من يرى وقفه على ابن مسعود ، لكن له حكم الرفع .

ومن فضائل القرآن، أن الأجور تضاعف لصاحبه ويرفع به في الجنة درجات، فقد روى الترمذي عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو،رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : يُقَالُ، يَعْنِي لِصَاحِبِ الْقُرْآنِ: **«اقْرَأْ وَارْتَقِ وَرَتِّلْ كَمَا كُنْتَ تُرَتِّلُ فِي الدُّنْيَا، فَإِنَّ مَنْزِلَتَكَ عِنْدَ آخِرِ آيَةٍ تَقْرَأُ بِهَا»**[2] .

بمعنى أن الجنة درجات، فبقدر القراءة من آيات الله تكون الدرجة في الجنة، فيرتفع القارئ درجات في الجنة بقدر قراءته، وقد قال بعض أهل العلم :إن عدد درجات الجنة على عدد آيات القرآن الكريم، فمن قرأ ثلث القرآن كان على الثلث من درج الجنة، ومن قرأ نصفه، كان على النصف من درج الجنة، ومن قرأ القرآن

(١)صحيح:صححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب - (٢ / ٧٧)(١٤١٦)وانظر السلسلة الصحيحة (٢ / ٢٦٧)(٣٣٢٧). وهوعند البخاري في التاريخ والحاكم والدارمي .

(٢)صحيح:صححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب - (٢ / ٧٩)(١٤٢٦) وقال :حسن صحيح، وهوعند أبي داود والنسائي وأحمد وابن ماجه وابن حبان.

كله كان في عاليه، لم يكن فوقه أحد إلا نبي أوصديق أو شهيد . اهـ . ذكره ابن بطال والخطابي رحمهما الله تعالى. (١)

القرآن يشفع لأصحابه يوم القيامة:

ويأتي القرآن يوم القيامة يشفع لأصحابه لما روى الإمام مسلم ـ رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ عن أَبِي أُمَامَةَ الْبَاهِلِيُّ ـ رضي الله عنه ـ قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ: «**اقْرَءُوا الْقُرْآنَ فَإِنَّهُ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ شَفِيعًا لأَصْحَابِهِ، اقْرَءُوا الزَّهْرَاوَيْنِ الْبَقَرَةَ، وَسُورَةَ آلِ عِمْرَانَ، فَإِنَّهُمَا تَأْتِيَانِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَأَنَّهُمَا غَمَامَتَانِ، أَوْ كَأَنَّهُمَا غَيَايَتَانِ، أَوْ كَأَنَّهُمَا فِرْقَانِ مِنْ طَيْرٍ صَوَافَّ، تُحَاجَّانِ عَنْ أَصْحَابِهِمَا، اقْرَءُوا سُورَةَ الْبَقَرَةِ، فَإِنَّ أَخْذَهَا بَرَكَةٌ، وَتَرْكَهَا حَسْرَةٌ، وَلَا تَسْتَطِيعُهَا الْبَطَلَةُ**». قَالَ مُعَاوِيَةُ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: بَلَغَنِي أَنَّ الْبَطَلَةَ: السَّحَرَةُ.

ومعنى «غيايتان»: أي سحابة أو غشاية تظل الإنسان. و«فرقان من طير صواف»: أي قطيعان وجماعتان. «تحاجان عن أصحابهما»: أي تدفعان الجحيم والزبانية.

وخلاصة معنى الحديث : أن القرآن الكريم يشفع لصاحبه، لا سيما البقرة وآل عمران، فإن ثوابهما يأتي كالغمامتين، وسميتا بالزهراوين لنورهما وهدايتهما وعظيم أجرهما.

وروى الإمام أحمد عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو ـ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا ـ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « **الصِّيَامُ وَالْقُرْآنُ يَشْفَعَانِ لِلْعَبْدِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، يَقُولُ الصِّيَامُ: أَيْ رَبِّ، مَنَعْتُهُ الطَّعَامَ وَالشَّهَوَاتِ بِالنَّهَارِ، فَشَفِّعْنِي فِيهِ، وَيَقُولُ الْقُرْآنُ: مَنَعْتُهُ النَّوْمَ بِاللَّيْلِ، فَشَفِّعْنِي فِيهِ، قَالَ : فَيُشَفَّعَانِ** » (٢).

---

(١) انظر شرح صحيح البخارى ـ لابن بطال – (١٠ / ٢٥٧).

(٢) صحيح: صححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب – (١ / ٢٣٨)(٩٨٤) وهوعند ابن أبي الدنيا في كتاب الجوع والطبراني في الكبير والحاكم .

وهذه الشفاعة تكون في حق من كان من أهله تلاوة وعملا وتدبرا ودعوة، بغير جفا ولا مغالاة، ولا هجر ولا رياء، لما ثبت عند ابن حبان عَنْ جَابر - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - عَن النَّبِيِّ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : «**القرآن شافع مشفع وماحل مُصَدَّقٌ ، مَنْ جَعَلَهُ أَمَامَهُ قَادَهُ إِلَى الْجَنَّةِ ومن جعله خلف ظَهْرِهِ سَاقَهُ إِلَى النَّارِ**»[١].

وفي رواية: « **مَنْ جَعَلَهُ إِمَامَهُ قَادَهُ إِلَى الْجَنَّةِ**» بكسر الهمزة في (إمامه) وهي صحيحة والمعنى متقارب.

ويفسره حديث أبي مالك الأشعري عند الإمام مسلم أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «والقرآن حجة لك أو عليك».

قال العلامة العثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ: «يكون القرآن لك إذا توصلت به إلى الله وقمت بواجب هذا القرآن العظيم من التصديق بالأخبار وامتثال الأوامر واجتناب النواهي وتعظيمه واحترامه، وأما إن كان العكس أهنت القرآن وهجرته لفظًا ومعنى وعملاً ولم تقم بواجبه فإنه يكون شاهدًا عليك يوم القيامة ولم يذكر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مرتبة بين المرتبتين لم يقل: لا لك ولا عليك، لأنه لا بد أن يكون إما لك أو عليك على كل حال فنسأل الله أن يجعله لنا جميعًا حجة نهتدي به في الدنيا والآخرة إنه جواد كريم». اهـ.[٢]

أهل القرآن هم القانتون والمقنطرون:

من قام بالقرآن سَلِمَ من الغفلة وكان من القانتين، أو كتب من المقنطرين.

فقدروى الحاكم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، رَضِيَ الله عَنْهُ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَنْ قَرَأَ عَشْرَ آيَاتٍ فِي لَيْلَةٍ لَمْ يُكْتَبْ مِنَ الْغَافِلِينَ**» [٣].

---

(١)صحيح:صححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٥ / ٣١)(٢٠١٩)وعند الطبراني والبيهقي.
(٢)شرح رياض الصالحين - (١ / ٣٠).
(٣)صحيح:صححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب - (٢ / ٨١)(١٤٣٦).

وروى ابن خزيمة عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَنْ حَافَظَ عَلَى هَؤُلَاءِ الصَّلَوَاتِ الْمَكْتُوبَاتِ لَمْ يُكْتَبْ مِنَ الْغَافِلِينَ، وَمَنْ قَرَأَ فِي لَيْلَةٍ مِائَةَ آيَةٍ لَمْ يُكْتَبْ مِنَ الْغَافِلِينَ، أَوْ كُتِبَ مِنَ الْقَانِتِينَ**»[١].

وعند أبي داود عَنْ عَبْدِ الله بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**من قام بعشر آيات لم يُكْتَبْ من الغافلين، ومن قام بمائة آية كُتِبَ من القانتين، ومن قام بألف آية كُتِبَ من الْمُقَنْطِرِينَ**»[٢].

والقنطار: هو الأموال الكثيرة، والمقصود منه هو الكناية عن كثرة الأجور.

تدبر القرآن الكريم:

إن التلاوة التي ينتفع بها العبد هي التلاوة بتدبر المعاني وحضور القلب، قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٩﴾ ﴾ [ص:٢٩].

قال المفسر السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ: «أي: هذه الحكمة من إنزاله، ليتدبر الناس آياته، فيستخرجوا علمها ويتأملوا أسرارها وحكمها، فإنه بالتدبر فيه والتأمل لمعانيه، وإعادة الفكر فيها مرة بعد مرة، تدرك بركته وخيره، وهذا يدل على الحث على تدبر القرآن، وأنه من أفضل الأعمال، وأن القراءة المشتملة على التدبر أفضل من سرعة التلاوة التي لا يحصل بها هذا المقصود﴿ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ أي: أولو العقول الصحيحة، يتذكرون بتدبرهم لها كل علم ومطلوب، فدل هذا على أنه بحسب لب الإنسان وعقله يحصل له التذكر والانتفاع بهذا الكتاب... وقال: ومن سبل ذلك التدبر، والفهم: النظر فيما كتب أهل العلم في تفسير القرآن العظيم». اهـ.

(١) صحيح: صححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٢ / ٢٦٣)(٦٥٧) وهو عند الحاكم.
(٢) صحيح: صححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٢ / ٢٤٤)(٦٤٢) وهو عند ابن خزيمة وابن حبان.

أي من الطرق لمعرفة معاني القرآن وتدبره :النظر في كتب التفسير المعتمدة في تفسير القرآن الكريم، كتفسير ابن كثير والطبري والبغوي والسعدي .

فمن لا يتدبر القرآن لا يخرج بكبير نفع ولا كبير فائدة، ولهذا توعد الله الذين لا يتدبرون القرآن الكريم فقال:﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴿٢٤﴾ ﴾

[محمد:٢٤].

قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أي: قد أغلق على ما فيها من الشر وأقفلت، فلا يدخلها خير أبدا؟ هذا هو الواقع. ا هـ . .

فإن عدم تدبره نوع من هجره ، ومِن هجْرِه تركُ قراءته ، وعدم الاستماع له ، وترك العمل به ، وعدم التحاكم إليه، وعدم تعلمه، وعدم حفظه، فكل هذا من هجر القرآن الكريم.

قَالَ تَعَالَىٰ :﴿ وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِى ٱتَّخَذُواْ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا ﴿٣٠﴾ ﴾ [الفرقان:٣٠] يشكو نبينا صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى ربه من هجر قومه للقرآن.

قال المفسر ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسير هذه الآية: «وَذَلِكَ أَنَّ الْمُشْركينَ كَانُوا لَا يُصغُون للْقُرْآن وَلَا يَسْمَعُونَهُ ، كَمَا قَالَ تَعَالَى:﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَسْمَعُواْ لِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَٱلْغَوْاْ فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ ﴿٢٦﴾ ﴾[فُصِّلَتْ: ٢٦] ، وَكَانُوا إِذَا تُلِيَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنُ أَكْثَرُوا اللَّغَطَ وَالْكَلَامَ فِي غَيْره، حَتَّى لَا يَسْمَعُوهُ. فَهَذَا منْ هُجْرَانه، وَتَرْكُ علْمه وَحفْظه أَيْضًا منْ هُجْرَانه، وَتَرْكُ الْإِيمَان به وَتَصْديقه منْ هُجْرَانه، وَتَرْكُ تَدَبُّره وَتَفَهُّمه منْ هُجْرَانه، وَتَرْكُ الْعَمَل به وَامْتثَال أَوَامره وَاجْتنَاب زَوَاجره منْ هُجْرَانه، والعدولُ عَنْهُ إِلَى غَيْرِه منْ شعْرٍ أَوْ قَوْلٍ أَوْ غنَاءٍ أَوْ لَهْوٍ أَوْ كَلَامٍ أَوْ طَرِيقَةٍ مَأْخُوذَةٍ منْ غَيْره -منْ هُجْرَانه، فَنَسْأَلُ الله الكريمَ المنانَ القادرَ عَلَى مَا يَشَاءُ، أَنْ يُخَلِّصَنَا ممَّا يُسْخطه، وَيَسْتَعْملَنَا فيمَا يُرْضيه، منْ حفْظ كتَابه وَفَهْمه، وَالْقيَام بمُقْتَضَاه آنَاءَ اللَّيْلِ وأطرافَ النَّهَارِ، عَلَى الوجه الذي يُحِبُّهُ وَيرْضَاه، إِنَّهُ كَرِيمٌ وَهَّابٌ». ا هـ .

القرآن الكريم شرف ورفعة لأصحابه:

القرآن الكريم هداية وموعظة ورحمة وشفاء ورفعة، فإذا أراد المسلم أن يرفعه الله في الدنيا والآخرة، فعليه بكتاب الله تلاوة وتدبرا وعملا ودعوة ، قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿ لَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ كِتَٰبًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٠﴾ ﴾[الأنبياء:١٠] .

أي :فيه شرفكم ورفعتكم إن كنتم من أهله ، وسوف يسألكم عنه ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْـَٔلُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾[الزُّخرُف:٤٤] .

والله يرفع بالقرآن أقوامًا ويضع به آخرين:

فقد روى الإمام مسلم أَنَّ نَافِعَ بْنَ عَبْدِ الْحَارِثِ، لَقِيَ عُمَرَ بِعُسْفَانَ، وَكَانَ عُمَرُ يَسْتَعْمِلُهُ عَلَى مَكَّةَ، فَقَالَ : مَنِ اسْتَعْمَلْتَ عَلَى أَهْلِ الْوَادِي، فَقَالَ : ابْنَ أَبْزَى، قَالَ : وَمَنِ ابْنُ أَبْزَى؟ قَالَ : مَوْلًى مِنْ مَوَالِينَا، قَالَ : فَاسْتَخْلَفْتَ عَلَيْهِمْ مَوْلًى؟ قَالَ : إِنَّهُ قَارِئٌ لِكِتَابِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَإِنَّهُ عَالِمٌ بِالْفَرَائِضِ، قَالَ عُمَرُ: أَمَا إِنَّ نَبِيَّكُمْ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ قَالَ : «**إِنَّ اللهَ يَرْفَعُ بِهَذَا الْكِتَابِ أَقْوَامًا، وَيَضَعُ بِهِ آخَرِينَ**».

قال العلامة العثيمين ـ رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ: « معناه أن هذا القرآن يأخذه أناس يتلونه ويقرؤونه فمنهم من يرفعه الله به في الدنيا والآخرة، فمن هذا؟ ومن هذا ؟ من عمل بهذا القرآن تصديقا بأخباره وتنفيذا لأوامره واجتناباً لنواهـيه واهتداءً بهديه وتخلقًا بما جاء به من أخلاق فإن الله يرفعه في الدنيا والآخرة.. وأما الذين يضعهم الله به فقوم يقرؤونه ويحسنون قراءته لكنهم يستكبرون عنه والعياذ بالله لا يصدقون بأخباره ولا يعملون بأحكامه يستكبرون عنه عملا ويجحدونه خبرا، إذا جاءهم شيء عن القرآن صاروا والعياذ بالله يشككون في ذلك ولا يؤمنون .. مرتابون والعياذ الله، مع أنهم يقرؤون القرآن وفي الأحكام يستكبرون لا يأتمرون بأمره ولا ينتهون بنهيه هؤلاء والعياذ بالله يضعهم الله في الدنيا والآخرة ولا بد أن يكون أمرهم خسارا حتى وإن دانت لهم الدنيا وتزخرفت فإنما هو استدراج ومآلهم

إلى الخسارة. اهـ.[(١)].

قراءة القرآن وتدبره والعمل به من أسباب الثبات على دين الله:

قال تعالى: ﴿ وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۚ وَجَآءَكَ فِى هَٰذِهِ ٱلْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٠﴾ ﴾[هود: ١٢٠].

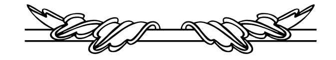
وقال تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً ۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۖ وَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلًا ﴿٣٢﴾ ﴾ [الفرقان: ٣٢].

قال المفسر السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: « ﴿ كَذَٰلِكَ ﴾ كذلك أنزلناه متفرقا ﴿ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ ﴾ لأنه كلما نزل عليه شيء من القرآن ازداد طمأنينة وثباتا وخصوصا عند ورود أسباب القلق فإن نزول القرآن عند حدوث السبب يكون له موقع عظيم وتثبيت كثير أبلغ مما لو كان نازلا قبل ذلك ثم تذكره عند حلول سببه» اهـ..

كل إنسان مسؤول عن القرآن:

وسيسأل كل عبد في قبره ويوم القيامة عن هذا الكتاب العظيم، فهو من ضمن أسئلة منكر ونكير في القبر: وذلك أنهما يسألان العبد: « **من ربك؟من نبيك؟ما دينك؟ماعلمك؟** » فيسألانه عن كتاب الله فيقولان له: « وما علمك؟ » وفي رواية: «ماعملك؟» ، فالمؤمن يقول: «كتاب الله قرأته وآمنت به وصدقت» [(٢)].

وروى مسلم عن أبي مالك الأشعري ـ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ ـ أن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «والقرآن حجة لك أو عليك».



(١)شرح رياض الصالحين - (١ / ١١٤٥).
(٢)صحيح: صححه الألباني والوادعي وهو عند الإمام أحمد وأبي بكر ابن أبي شيبة من حديث البراء بن عازب الطويل.

اغتنام اتباع الجنائز



اتباع جنازة المسلم واجبة على المسلم، وهي فرض كفائي، إذا قام به البعض سقط عن الآخرين، لكن لا ينبغي التفريط فيها، فقد رتب الله على اتباع الجنائز أجورا عظيمة كالجبال .

فقدروى البخاري ومسلم واللفظ للبخاري عن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : «**حَقُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ خَمْسٌ رَدُّ السَّلَامِ وَعِيَادَةُ الْمَرِيضِ وَاتِّبَاعُ الْجَنَائِزِ وَإِجَابَةُ الدَّعْوَةِ وَتَشْمِيتُ الْعَاطِسِ**».

وروى البخاري ومسلم أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «**مَنْ شَهِدَ الْجَنَازَةَ حَتَّى يُصَلَّى عَلَيْهَا فَلَهُ قِيرَاطٌ ، وَمَنْ شَهِدَهَا حَتَّى تُدْفَنَ فَلَهُ قِيرَاطَانِ**». قِيلَ : وَمَا الْقِيرَاطَانِ قَالَ : « **مِثْلُ الْجَبَلَيْنِ الْعَظِيمَيْنِ** ». وزاد مسلم: «وَكَانَ ابْنُ عُمَرَ يُصَلِّي عَلَيْهَا ثُمَّ يَنْصَرِفُ فَلَمَّا بَلَغَهُ حَدِيثُ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: لَقَدْ ضَيَّعْنَا قَرَارِيطَ كَثِيرَةً».

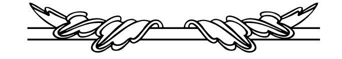
وإذا توافق اتباع الجنازة مع الصيام والصدقة وزيارة المريض في يوم واحد، دخل العبد الجنة.

فقد روى مسلم أيضًا عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ قَالَ : قَالَ رَسُولُ الله – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ –: « **مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمُ الْيَوْمَ صَائِمًا** ». قَالَ أَبُو بَكْرٍ : أَنَا. قَالَ : « **فَمَنْ تَبِعَ مِنْكُمُ الْيَوْمَ جَنَازَةً**». قَالَ أَبُو بَكْرٍ : أَنَا. قَالَ : « **فَمَنْ أَطْعَمَ مِنْكُمُ الْيَوْمَ مِسْكِينًا** ». قَالَ أَبُو بَكْرٍ : أَنَا. قَالَ : « **فَمَنْ عَادَ مِنْكُمُ الْيَوْمَ مَرِيضًا** ». قَالَ أَبُو بَكْرٍ : أَنَا. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – « **مَا اجْتَمَعْنَ فِي امْرِئٍ إِلَّا دَخَلَ الْجَنَّةَ** ».

اغتنام النوافل

ينبغي على العبد أن يحافظ على النوافل،وهي العبادات المستحبة، كنوافل الصلاة والصيام والحج والعمرة والصدقة وغيرذلك ، فإنها من أسباب محبة الله للعبد ، وتجبر النقص في الفرائض ، وتزيد في درجات العبد ، وتكفر من سيئاته، ومن أسباب تسديد العبد وتوفيقه ، وإجابة دعائه.

فقد روى البخاري عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ قَالَ : قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : **«إِنَّ اللَّهَ قَالَ : مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطُشُ بِهَا وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا وَإِنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ وَلَئِنِ اسْتَعَاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدُّدِي عَنْ نَفْسِ الْمُؤْمِنِ يَكْرَهُ الْمَوْتَ وَأَنَا أَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ»**.



اغتنام بر الوالدين



أوصى الله بالوالدين خيرًا ، وجعل حقهما بعد حقه في كثير من الآيات ، لعظم حقهما على الولد؛ لأنهما أقرب الناس إليه ، وهما السبب في وجوده، ولأن طاعتهما من طاعة الله، ومعصيتهما من معصيته، ورتب الله أجورًا عظيمة على برهما والقيام بحقوقهما، بل طاعة الوالدين من أسباب دخول الجنة ، وتوعد على عقوقهما وجعل ذلك من أكبر الكبائر.

قَالَ تَعَالَىٰ : ﴿ وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔاۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ﴾ [النساء : ٣٦].

وقَالَ تَعَالَىٰ : ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًاۚ ﴾[الإسراء:٢٣] .

وقَالَ تَعَالَىٰ : ﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَٰنًاۖ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًاۖ وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهْرًاۚ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَصْلِحْ لِى فِى ذُرِّيَّتِىٓۖ إِنِّى تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٥﴾ ﴾ [الأحقاف : ١٥].

بر الوالدين من أسباب دخول الجنة:

طاعة الوالدين من أسباب دخول الجنة، بل من أحسن وأوسط أبواب الجنة، فقد روى ابن ماجه عَنْ أَبِي الدَّرْدَاء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، أنه سَمِعَ النَّبِيَّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يَقُولُ: «**الْوَالِدُ أَوْسَطُ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ ، فَأَضِعْ ذَلِكَ الْبَابَ أَوِ احْفَظْه**»(١).

ومعنى أوسط أبواب الجنة أي أحسنها وأعدلها.

---

(١)صحيح: رواه أحمد والترمذي والبيهقي والحاكم ، وابن ماجه، وصححه الألباني. في السلسلة الصحيحة (٢ / ٦١٨)(٩١٤) .

وقد دعا النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على من أدرك أبويه فلم يدخل الجنة بسببهما، فقد روى الإمام مسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ : «**رَغِمَ أَنْفُ، ثُمَّ رَغِمَ أَنْفُ، ثُمَّ رَغِمَ أَنْفُ**»، قِيلَ: مَنْ؟ يَا رَسُولَ اللهِ قَالَ : «مَنْ أَدْرَكَ أَبَوَيْهِ عِنْدَ الْكِبَرِ، أَحَدَهُمَا أَوْ كِلَيْهِمَا فَلَمْ يَدْخُلِ الْجَنَّةَ» ومعنى رغم أنف أي: دس في التراب.

بر الوالدين من أعظم الجهاد:

طاعة الوالدين مقدمة على الهجرة والجهاد في سبيل الله ففي الصحيحين عن ابن مسعود ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ قال: سَأَلْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَيُّ الأَعْمَالِ أَحَبُّ إِلَى اللهِ؟ قَالَ : «**الصَّلَاةُ عَلَى وَقْتِهَا**» قُلْتُ: ثُمَّ أَيٌّ؟ قَالَ : «**ثُمَّ بِرُّ الْوَالِدَيْنِ**» قُلْتُ: ثُمَّ أَيٌّ؟ قَالَ : «**ثُمَّ الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللهِ**».

فقدم النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بر الوالدين على الجهاد في سبيل الله ! ، بل إن طاعة الوالدين من الجهاد، لما جاء في الصحيحين عن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا،قال: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَاسْتَأْذَنَهُ فِي الجِهَادِ، فَقَالَ : «**أَحَيٌّ وَالِدَاكَ؟**»، قَالَ : نَعَمْ، قَالَ : «**فَفِيهِمَا فَجَاهِدْ**».

وفي رواية لمسلم قَالَ : «أَقْبَلَ رَجُلٌ إِلَى نَبِيِّ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ : أُبَايِعُكَ عَلَى الْهِجْرَةِ وَالْجِهَادِ، أَبْتَغِي الأَجْرَ مِنَ اللهِ، قَالَ :«فَهَلْ مِنْ وَالِدَيْكَ أَحَدٌ حَيٌّ؟» قَالَ: نَعَمْ، بَلْ كِلَاهُمَا، قَالَ:«فَتَبْتَغِي الأَجْرَ مِنَ اللهِ؟» قَالَ:نَعَمْ، قَالَ :«**فَارْجِعْ إِلَى وَالِدَيْكَ فَأَحْسِنْ صُحْبَتَهُمَا**».

وروى أبو داود عن عبد الله بن عَمرو بن العاص ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قال: جاء رجل إلى رسولِ الله –صلَّى الله عليه وسلم–، فقال: جئتُ أُبايعُك على الهجرةِ، وتركتُ أبويَّ يبكيان، فقال: «**ارجِعْ إليهما فأَضحِكْهُما كما أبكيتَهما**»[1].

(١)صحيح:صححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب - (٢ / ٣٢٦)(٢٤٨١)وهو عند أحمد وابن ماجه والبزاروالنسائي وابن حبان .

فيستفاد من هذه الأحاديث أنه لا يشرع للعبد أن يذهب إلى الجهاد إلا بعد إذن الوالدين، وعدم حاجتهما إليه، إلا إذا كان الجهاد فرض عين فإنه مقدم على طاعتهما.

تأكيد حق الأم:

وجعل النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حق الأم آكد لضعفها ولأنها تتحمل أعباء الولد أكثر من الأب .

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٤﴾ ﴾ [لقمان : ١٤].

وروى البخاري ومسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَنْ أَحَقُّ النَّاسِ بِحُسْنِ صَحَابَتِي؟ قَالَ : «**أُمُّكَ**» قَالَ : ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ : «**ثُمَّ أُمُّكَ**» قَالَ : ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ : «**ثُمَّ أُمُّكَ**» قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟، قَالَ : «**ثُمَّ أَبُوكَ**» .

أكد على حق الأم ثلاث مرات لأنها حملته وهنا على وهن ، فمرت بمشقة الحمل، ثم مشقة الولادة، ثم مشقة الرضاعة، ثم تمر بمراحل أخرى ، في إطعامه وتنظيفه وإصلاح أموره ، ومداواته وتربيته حتى يكبر، وتشفق عليه أكثر من الأب، فينبغي رد الجميل بأحسن فهل جزاء الإحسان إلا الإحسان؟.

وعن معاوية بن جاهمة ؛ أن جاهمة جاء إلى النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال يا رسول الله أردت أن أغزو وقد جئت أستشيرك فقال: « **هل لك من أم؟** » ،قال نعم ، قال: «**فالزمها فإن الجنة عند رجلها**»[1] .

ورواه الطبراني بإسناد جيد ولفظه: قال أتيت النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أستشيره في الجهاد فقال النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: « ألك والدان؟» قلت: نعم، قال: « الزمهما فإن

(١)صحيح:رواه ابن ماجه والنسائي واللفظ له والحاكم وقال الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٢ / ٣٢٧)(٢٤٨٥) (حسن صحيح) .

الجنة تحت أرجلهما»(١).

تأكيد بر الوالدين عند الكبر:

أكد الشرع على حق الوالدين عند الكبر أكثر، وذلك لحاجة الوالدين في هذه المرحلة لمزيد من العناية ، لضعفهما وحاجتهما إلى الولد أكثرويحتاجان إلى صبر أشد في هذا السن لاسيما إذا وصلا إلى مرحلة الهرم والخرف، فيحتاج العبد مزيدا من الصبر والمجاهـدة لنفسه وتحمل أعبائهما، والقيام بحقهما، وحسن الرعاية لهما، قَالَ تَعَالَى: ﴿ ۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًاۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا ﴿٢٤﴾ ﴾

[الإسراء:٢٣-٢٤].

فمن اعتنى بهما في هذه المرحلة أكثر كان له من الأجور أكثر ولهذا خصهما الله في هذه المرحلة بالذكربقوله: ﴿ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا ﴾.

ويجب طاعة الوالدين حتى وإن كانا كافرين ، إلا إذا أمرا بمعصية فلا طاعة لمخلوق في معصية الخالق، قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَاۖ وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًاۖ وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَىَّۚ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾ ﴾[لقمان:١٥].

وروى البخاري ومسلم عَنْ أَسْمَاءَ بِنْتِ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَتْ :قَدِمَتْ عَلَيَّ أُمِّي وَهِيَ مُشْرِكَةٌ فِي عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَاسْتَفْتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قُلْتُ: وَهِيَ رَاغِبَةٌ، أَفَأَصِلُ أُمِّي؟ قَالَ :«**نَعَمْ صِلِي أُمَّكِ**».

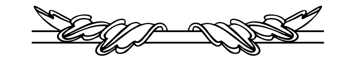
فينبغي اغتنام زمن الوالدين قبل وفاتهما، فبعض الناس ما ينتبه لهذه الفرصة إلا

(١)صحيح: قال الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٢ / ٣٢٧)(٢٤٨٥) (حسن صحيح)

بعد فواتها، فيتحسر ويندم على تقصيره في حقهما، ويتمنى لو أنه أحسن إليهما قبل وفاتهما، كما تقدم من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «**رَغِمَ أَنْفُ، ثُمَّ رَغِمَ أَنْفُ، ثُمَّ رَغِمَ أَنْفُ**»، قِيلَ: مَنْ؟ يَا رَسُولَ اللهِ قَالَ: «**مَنْ أَدْرَكَ أَبَوَيْهِ عِنْدَ الْكِبَرِ، أَحَدَهُمَا أَوْ كِلَيْهِمَا فَلَمْ يَدْخُلِ الْجَنَّةَ**» رواه مسلم.

فالوالدان نور للولد ودعاؤهما غنيمة له، لمن كان له عقل سليم.

وذُكر عن بعض السلف أنه لما ماتت أمه وقد كبرت في السن بكى، فقيل له أتبكي؟قال :لقد أغلق اليوم علي باب من أبواب الجنة! . ا هـ . بمعناه .



اغتنام صلة الأرحام

الأرحام هم الأقارب من جهة الوالدين وإن علوا، ومن جهة الأولاد وإن نزلوا، ذكورًا كانوا أوإناثًا، والإناث أشد حاجة إلى الصلة لضعفهن .

وهم :الإخوة والأخوات، والأجداد والجدات، والأعمام والعمات، والأخوال والخالات، والأبناء والبنات وأولادهم.

فقد أمر الله بصلتهم، ويكون ذلك بزيارتهم، ومواساتهم وإعانتهم ، والاتصال بهم، فإن لم يجد مايصلهم به فبالكلمة الطيبة، فقد رتب الله على صلتهم أجورا عظيمة، ومنافع دنيوية ، وتوعد على قطيعتهم وهجرهم بالعقوبة العاجلة والآجلة، وجعلها من كبائر الذنوب.

فمن وصلهم وصله الله بخيره وبره وإحسانه ، وبارك له في رزقه وعمره، ومن قطعهم قطعه الله من خيره وإحسانه، ولا يبارك له في رزقه وعمره ، ويستحق اللعن والإبعاد من رحمته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

قَالَ تَعَالَىٰ : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴿١﴾ ﴾ [النساء : ١] .

قال المفسر ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ ﴾ أي: واتقوا الله بطاعتكم إياه ، قال إبراهيم ومجاهد والحسن: ﴿ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَ ﴾ أي: كما يقال: أسألك بالله وبالرَّحِم.

وقال الضحاك رَحِمَهُ ٱللَّهُ: واتقوا الله الذي به تعاقدون وتعاهدون، واتقوا الأرحام أن تقطعوها، ولكن بروها وصِلُوها ». اهـ .

فصلة الأرحام من خصال الإيمان لما روى البخاري ومسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : **«مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ»** .

وروى البخاري ومسلم عن أَبِي هُرَيْرَةَ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- « **إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ الْخَلْقَ حَتَّى إِذَا فَرَغَ مِنْهُمْ قَامَتِ الرَّحِمُ فَقَالَتْ: هَذَا مَقَامُ الْعَائِذِ مِنَ الْقَطِيعَةِ. قَالَ : نَعَمْ أَمَا تَرْضَيْنَ أَنْ أَصِلَ مَنْ وَصَلَكِ وَأَقْطَعَ مَنْ قَطَعَكِ قَالَتْ : بَلَى. قَالَ : فَذَاكِ لَكِ** ».

ثُمَّ قَالَ : رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- « اقْرَءُوا إِنْ شِئْتُمْ ﴿ **فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوٓا۟ أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰٓ أَبْصَـٰرَهُمْ ﴿٢٣﴾** ﴾[محمد:٢٢-٢٣] .

وعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ : قَالَ : رَسُولُ اللهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- « **الرَّحِمُ مُعَلَّقَةٌ بِالْعَرْشِ تَقُولُ مَنْ وَصَلَنِى وَصَلَهُ اللَّهُ وَمَنْ قَطَعَنِى قَطَعَهُ اللَّهُ** ».متفق عليه

وعن أَنَس بْن مَالِك ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ : « مَنْ أَحَبَّ أَنْ يُبْسَطَ لَهُ فِي رِزْقِهِ وَيُنْسَأَ لَهُ فِي أَثَرِهِ فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ ».متفق عليه

ومعنى : «وَيُنْسَأَ لَهُ فِي أَثَرِهِ» :أي يؤخر في أجله فيطول عمره أو يبارك له فيه ، فيوفقه ويسدده في دينه ودنياه، وهذا كله بتقدير الله تعالى لا يخرج عن علمه المسبق وكتابته في اللوح المحفوظ.

وعن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال لها : «إنه من أعطي حظه من الرفق ؛ فقد أعطي حظه من خير الدنيا والآخرة ، وصلة الرحم ، وحُسن الخلق ، وحُسن الجوار يعمران الديار؛ ويزيدان في الأعمار»(١).

---

(١)صحيح: رواه ابن ماجه والنسائي واللفظ له والحاكم وقال الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٢ / ٣٢٧)(٢٤٨٥) (حسن صحيح) .

وروى البيهقي عن أبي هريرة ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ قال قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : «ليس مما عصي الله به هو أعجل عقابا من البغي ، وما من شيء أطيع الله فيه أسرع ثوابا من الصلة، واليمين الفاجرة تدع الديار بلاقع»(١). أي مشتتة ممزقة بلا سكنى.

فإن لم يجد العبد مايصلهم به ، فإن الكلمة الطيبة من الصلة للأرحام، وكذلك تفقد الأحوال ، ولين الجانب والتواضع لهم قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ٱبْتِغَآءَ رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُل لَّهُمْ قَوْلًا مَّيْسُورًا ﴿٢٨﴾ ﴾ [الإسراء : ٢٨].

قال السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ في تفسيره لهذه الآية «أي: تعرض عن إعطائهم إلى وقت آخر ترجو فيه من الله تيسير الأمر ﴿ فَقُل لَّهُمْ قَوْلًا مَّيْسُورًا ﴾ أي: لطيفًا برفق ووعد بالجميل عند سنوح الفرصة واعتذار بعدم الإمكان في الوقت الحاضر لينقلبوا عنك مطمئنة خواطرهم كما قَالَ تَعَالَى: ﴿ ۞ قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَآ أَذًى ﴾. اهـ.

وقطيعة الأرحام تحل بصاحبها العقوبات العاجلة والآجلة في الدنيا والآخرة.

فقد روى أبو داود عن أَبِي بَكْرَةَ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ قَالَ : قَالَ رَسُولُ الله – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – «**مَا مِنْ ذَنْب أَجْدَرُ أَنْ يُعَجِّلَ اللهُ تَعَالَى لِصَاحِبِهِ الْعُقُوبَةَ فِي الدُّنْيَا – مَعَ مَا يَدَّخِرُ لَهُ فِي الآخِرَةِ – مِثْلُ الْبَغْي وَقَطِيعَةِ الرَّحِم**»(٢).

وعن جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِم ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ عَنِ النَّبِيِّ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – قَالَ : «**لا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ قَاطِعٌ**». قَالَ ابْنُ أَبِي عُمَرَ :قَالَ : سُفْيَانُ :يَعْنِي قَاطِعَ رَحِم.متفق عليه.

أي أنه يؤخر عن دخول الجنة فلا يكون مع أول الداخلين إن كان من أهلها، أما من استحل قطيعة الأرحام فإنه كافر لا يدخل الجنة مطلقًا ولا يشم ريحها نسأل الله العافية والسلامة.

---

(١)حسن:انظر السلسلة الصحيحة (٢ / ٧٠٦) (٩٧٨)

(٢)صحيح:صححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٢ / ٦٢٣) (٩١٨) ، وحسنه الوادعي في الصحيح المسند(١ / ٥٣٦)(٤٢١) وهو عند ابن ماجه والترمذي وابن حبان والحاكم.

اغتنام كفالة الأيتام والإحسان إليهم

اليتيم هو: من مات أبوه ولم يبلغ سن الرشد، ومن مات أبوه وأمه فهو يتيم من باب أولى ، فالواجب على المسلمين نحو اليتامى التلطف بهم والإحسان إليهم ، ونصرتهم ممن ظلمهم وقضاء حوائجهم وتسليتهم وعدم انتهارهم ، وإعطاؤهم حقهم مما ترك آباؤهم.

فإن الله تعالى رتب أجورًا عظيمة على الإحسان إلى اليتامى؛ لضعفهم ، وعدم استطاعتهم الدفاع عن أنفسهم ، ولأنهم يتعرضون للظلم من غيرهم، وجعل الله كافل اليتيم رفيقا للنبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الجنة، وتوعد الله الذين يظلمون اليتامى أو يأكلون حقهم بعواقب وخيمة.

قَالَ تَعَالَىٰ : ﴿ ۞ وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنٗا وَبِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ ﴾الآية [النساء : ٣٦]. أي :وأحسنوا إلى اليتامى.

و قَالَ تَعَالَىٰ :﴿ فَلَا ٱقۡتَحَمَ ٱلۡعَقَبَةَ ﴿١١﴾ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡعَقَبَةُ ﴿١٢﴾ فَكُّ رَقَبَةٍ ﴿١٣﴾ أَوۡ إِطۡعَٰمٞ فِي يَوۡمٖ ذِي مَسۡغَبَةٖ ﴿١٤﴾ يَتِيمٗا ذَا مَقۡرَبَةٍ ﴿١٥﴾ أَوۡ مِسۡكِينٗا ذَا مَتۡرَبَةٖ ﴿١٦﴾ ﴾[البلد:١١-١٦] .

بين الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أن من اقتحام هذه العقبة ، الإحسان إلى اليتيم ، لا سيما إذا كان من ذوي القرابة، فإن حقه يكون آكد.

وروى البخاري عن سَهْلٍ ـ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ ـ قَالَ: قال:رَسُولُ الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:« **أَنَا وَكَافِلُ الْيَتِيمِ فِي الْجَنَّةِ هَكَذَا وَأَشَارَ بِالسَّبَّابَةِ وَالْوُسْطَى وَفَرَّجَ بَيْنَهُمَا شَيْئًا**». رواه البخاري.

ونهى الله عن قهر اليتيم لضعفه وقلة حيلته، فقال تعالى : ﴿ فَأَمَّا ٱلۡيَتِيمَ فَلَا تَقۡهَرۡ ٩ ﴾[الضحى : ٩] .

وألْحقَ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الحرج بالذي يضيع حق اليتيم، فقد روى أحمد عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: «اللَّهُمَّ إِنِّي أُحَرِّجُ حَقَّ الضَّعِيفَيْنِ: الْيَتِيمِ، وَالْمَرْأَةِ»[1]

وذم الله تعالى الذي يقسو على اليتامى ، فقال سبحانه:﴿ أَرَءَيۡتَ ٱلَّذِي يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ ١ فَذَٰلِكَ ٱلَّذِي يَدُعُّ ٱلۡيَتِيمَ ٢ ﴾[الماعون:١-٢]

ففي هذه الآية وعيد لمن يسيء إلى اليتيم، فذكره هنا على سبيل الذم لغلظته وشدته على اليتامى.

قال المفسر السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ﴿ فَذَٰلِكَ ٱلَّذِي يَدُعُّ ٱلۡيَتِيمَ ٢ ﴾ أي: يدفعه بعنف وشدة، ولا يرحمه لقساوة قلبه، ولأنه لا يرجو ثوابًا، ولا يخشى عقابًا. اهـ.

وتوعد الذين يأكلون أموال اليتامى بأنهم سيأكلون في بطونهم نارا يوم القيامة قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ أَمۡوَٰلَ ٱلۡيَتَٰمَىٰ ظُلۡمًا إِنَّمَا يَأۡكُلُونَ فِي بُطُونِهِمۡ نَارٗاۖ وَسَيَصۡلَوۡنَ سَعِيرٗا ١٠ ﴾[النساء:١٠] .

قال السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ :في قوله تعالى:﴿ إِنَّمَا يَأۡكُلُونَ فِي بُطُونِهِمۡ نَارٗاۖ ﴾أي: فإن الذي أكلوه نار تتأجج في أجوافهم وهم الذين أدخلوها في بطونهم. ﴿وَسَيَصۡلَوۡنَ سَعِيرٗا ﴾ أي: نارًا محرقة متوقدة. وهذا أعظم وعيد ورد في الذنوب، يدل على شناعة أكل أموال اليتامى وقبحها، وأنها موجبة لدخول النار، فدل ذلك أنها من أكبر الكبائر. نسأل الله العافية. اهـ.

---

(١)حسن:حسنه الألباني في السلسلة الصحيحة (٣ / ١٢)(١٠١٥)وهوعند ابن حبان والحاكم وابن ماجه.

اغتنام عيادة المريض



زيارة المرضى قربة عظيمة يترتب عليها أجور كثيرة، لكن تساهل بها كثيرمن المسلمين لجهل الكثير منهم في فضل عيادة المرضى.

والزيارة حق للمسلم على أخيه المسلم، فمن فضائلها أن الزائر ترافقه الملائكة وتستغفر له وتدعو له، ويتبوأ في الجنة منزلاً.

وفي الزيارة للمريض منافع عديدة :

منها: أنه يتذكر نعمة الصحة والعافية.

ومنها: أنه يصبِّر المريض ويذكره بما أعد الله للمرضى من الأجور وتكفير السيئات.

ومنها: أنه يعلمه بعض الأحكام في صفة الصلاة والوضوء والتيمم حال مرضه.

ومنها: أنه يدخل عليه السرور.

ومنها: أنه يدعو له، وغير ذلك .

وعلى الزائر أن يتحين الوقت المناسب لزيارة المريض ، فلا يشق عليه بكثرة الجلوس ، وطول المحادثة، والتكلف في استضافته ونحوذلك.

فقد روى البخاري ومسلم عن أَبِي هُرَيْرَةَ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : «**حَقُّ الْمُسْلِم عَلَى الْمُسْلم خَمْسٌ: رَدُّ السَّلاَمِ ، وَعِيَادَةُ الْمَرِيضِ ، وَاتِّبَاعُ الْجَنَائِزِ ، وَإِجَابَةُ الدَّعْوَةِ ، وَتَشْمِيتُ الْعَاطِسِ**».

وعند مسلم عنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ أَنَّ رَسُولَ اللَّه ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ قَالَ : « حَقُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ سِتٌّ ».قِيلَ مَا هُنَّ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ : « **إِذَا لَقِيتَهُ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ ،**

وَإِذَا دَعَاكَ فَأَجِبْهُ ، وَإِذَا اسْتَنْصَحَكَ فَانْصَحْ لَهُ ، وَإِذَا عَطَسَ فَحَمِدَ اللَّهَ فَشَمِّتْهُ ، وَإِذَا مَرِضَ فَعُدْهُ ، وَإِذَا مَاتَ فَاتَّبِعْهُ ».

وزيارة المريض من أسباب دخول الجنة:

لما روى مسلم عَنْ ثَوْبَانَ مَوْلَى رَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- عَنْ رَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ : « **مَنْ عَادَ مَرِيضًا لَمْ يَزَلْ فِي خُرْفَةِ الْجَنَّةِ** ». قِيلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا خُرْفَةُ الْجَنَّةِ قَالَ : « جَنَاهَا ». أى اجتناء ثمر الجنة.

وروى الترمذي عن أبي هريرة ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ قال : قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : «**من عاد مريضا أو زار أخا في الله ناداه مناد أن طبت وطاب ممشاك وتبوأت من الجنة منزلاً** » [١] .

وعن أبي سعيد ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ أنه سمع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول : «**خمس من عملهن في يوم كتبه الله من أهل الجنة، من عاد مريضًا، وشهد جنازة، وصام يومًا، وراح إلى الجمعة، وأعتق رقبة**»[٢].

وزيارة المريض من أسباب نزول الرحمة على العبد وصحبة الملائكة ودعائهم له:

فقد روى الإمام أحمد عن جابر بن عبد الله ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ـ قال قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : «**من عاد مريضًا لم يزل يخوض في الرحمة حتى يجلس ، فإذا جلس اغتمس فيها**» [٣].

---

(١)صحيح :صححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب - (٣/ ١٩٦)(٣٤٧٤). وهو عند ابن ماجه وابن حبان.

(٢)صحيح: صححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٣ / ٢١)(١٠٢٣) وهو عند أبي يعلى وابن حبان .

(٣)صحيح: انظرصحيح الترغيب والترهيب - (٣ / ١٩٧)(٣٤٧٧)ورواه مالك بلاغا والبزار وابن حبان .

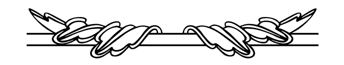
وروى أبو داود عن علي ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ قال سمعت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: **« ما من مسلم يعود مسلما غدوة إلا صلى عليه سبعون ألف ملك حتى يمسي وإن عاد عشية إلا صلى عليه سبعون ألف ملك حتى يصبح وكان له خريف في الجنة »**(١).

وجاء عَنْ عَلِيٍّ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ موقوفا قَالَ: **« مَا مِنْ رَجُلٍ يَعُودُ مَرِيضًا مُمْسِيًا إِلاَّ خَرَجَ مَعَهُ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَك يَسْتَغْفِرُونَ لَهُ حَتَّى يُصْبِحَ وَكَانَ لَهُ خَرِيفٌ فِي الْجَنَّةِ وَمَنْ أَتَاهُ مُصْبِحًا خَرَجَ مَعَهُ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ يَسْتَغْفِرُونَ لَهُ حَتَّى يُمْسِيَ وَكَانَ لَهُ خَرِيفٌ فِي الْجَنَّةِ »**(٢).

ومن الأدعية للمريض:

ماجاء عن ابن عباس ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عن النَّبِيِّ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ قَالَ: **« مَنْ عَادَ مَرِيضًا لَمْ يَحْضُرْ أَجَلُهُ فَقَالَ: عِنْدَهُ سَبْعَ مِرَارٍ: أَسْأَلُ اللَّهَ الْعَظِيمَ رَبَّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ أَنْ يَشْفِيَكَ إِلاَّ عَافَاه اللَّهُ مِنْ ذَلِكَ الْمَرَضِ »**(٣).

وروى البخاري عَن ابْنِ عَبَّاس ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ـ قال: كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا دَخَلَ عَلَى مَرِيضٍ يَعُودُهُ قَالَ: **« لاَ بَأْسَ طَهُورٌ إِنْ شَاءَ اللَّهُ »** الحديث.



(١) صحيح: رواه أبو داود وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٣/ ١٩٧)(٣٤٧٦).

(٢) صحيح: رواه أبو داود والحاكم وأحمد وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب - (٣/ ١٩٧) (٣٤٧٦).

(٣) صحيح: رواه أبو داود والترمذي والنسائي وابن حبان والحاكم وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب - (٣/ ١٩٨)(٣٤٨٠).

اغتنام الزيارات في الله

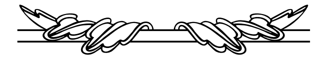
الزيارات إذا كانت لله ومن أجل الله ، ليست من أجل دنيا، فإنها من القربات العظيمة التي يترتب عليها أجور عظيمة، وهي من أسباب محبة الله للعبد.

وفي الزيارات في الله منافع عديدة ، منها:المناصرة والمؤازرة والتثبيت على الحق، ومنها: المناصحة والتعاون على الخير، وغير ذلك من المقاصد الشرعية.

فقد روى الإمام مسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ عَنِ النَّبِيِّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- « **أَنَّ رَجُلاً زَارَ أَخًا لَهُ فِي قَرْيَةٍ أُخْرَى فَأَرْصَدَ اللَّهُ لَهُ عَلَى مَدْرَجَتِهِ مَلَكًا فَلَمَّا أَتَى عَلَيْهِ قَالَ: أَيْنَ تُرِيدُ قَالَ : أُرِيدُ أَخًا لِي فِي هَذِهِ الْقَرْيَةِ. قَالَ : هَلْ لَكَ عَلَيْهِ مِنْ نِعْمَةٍ تَرُبُّهَا قَالَ: لاَ، غَيْرَ أَنِّي أَحْبَبْتُهُ فِي اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ. قَالَ : فَإِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكَ بِأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَبَّكَ كَمَا أَحْبَبْتَهُ فِيهِ** ».

ومعنى مدرجته : أي طريقه.ومعنى تَرُبّها : أي تحفظها وتراعيها.

وروى الطبراني عن معاذ بن جبل ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ قال سمعت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: « **قال الله تبارك وتعالى وجبت محبتي للمتحابين فيَّ ، وللمتجالسين فيَّ ، وللمتزاورين فيِّ ، وللمتباذلين فيَّ** » . [1]



(١)صحيح:صححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب - (٢ / ٣٤٩)(٢٥٨١). وهو عند أحمد والحاكم والبيهقي.

اغتنام الجليس الصالح



حث النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على مجالسة الصالحين، ومجانبة السيئين، لما في ذلك من المصالح العظيمةالدينيةوالدنيوية، فإن الجليس يتأثر بجليسه، ويتصف ببعض صفاته، ويعمل بأعماله، وكما قيل:(الصاحب ساحب والمجالس مجانس)، وفي الحديث : «المرء على دين خليله»وسيأتي.

فلذلك ينبغي مجالسة العلماء والصالحين، فإنهم يأخذون بيد العبد إلى كل خير، ويحجزونه عن كل شر، ويجب الابتعاد عن الفاسدين والزائغين، فإنهم يكونون سببا لضلال العبد كما ضل أبوطالب بسبب جلسائه، ومات على ملة الشرك كما سيأتي .

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴿٢٨﴾ ﴾ [الكهف : ٢٨] .

قال المفسر ابن كثير- رَحِمَهُ اللَّهُ -: أَيْ: اجْلِسْ مَعَ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللهَ وَيُهَلِّلُونَهُ، وَيَحْمَدُونَهُ وَيُسَبِّحُونَهُ وَيُكَبِّرُونَهُ، وَيَسْأَلُونَهُ بُكْرَةً وَعَشِيًّا مِنْ عِبَادِ اللهِ، سَوَاءً كَانُوا فُقَرَاءَ أَوْ أَغْنِيَاءَ أَوْ أَقْوِيَاءَ أَوْ ضُعَفَاءَ. ا هـ.

﴿ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾ أي: لا تتحول عنهم إلى غيرهم، وتجالس الأغنياء والشرفاء لأجل أموالهم وجاههم» ا هـ . .

وقال البغوي - رَحِمَهُ اللَّهُ - : ﴿ وَلَا تَعْدُ ﴾، أَيْ: لَا تَصْرِفْ وَلَا تَتَجَاوَزْ، عَيْنَاكَ عَنْهُمْ، إِلَى غَيْرِهِمْ، ﴿ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾، تطلب مُجَالَسَةَ الْأَغْنِيَاءِ وَالْأَشْرَافِ وَصُحْبَةَ أَهْلِ الدُّنْيَا. ا هـ.

فالمؤمن يتولى المؤمنين ويناصرهم ويناصرونه،ويتعاون معهم على البر والتقوى، والدعوة إلى الله ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، قَالَ تَعَالَىٰ : ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾ ﴾ [التوبة : ٧١] .

والمنافقون والفاسدون يتعاونون على الإثم والعدوان ، والدعوة إلى الفساد قَالَ تَعَالَىٰ : ﴿ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ ۚ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْ ۗ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٦٧﴾ ﴾ [التوبة : ٦٧].

وروى البخاري ومسلم عَنْ أَبِي مُوسَى ـ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ ـ عَنِ النَّبِيِّ -صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ: « **إِنَّمَا مَثَلُ الْجَلِيسِ الصَّالِحِ وَالْجَلِيسِ السَّوْءِ كَحَامِلِ الْمِسْكِ ، وَنَافِخِ الْكِيرِ فَحَامِلُ الْمِسْكِ إِمَّا أَنْ يُحْذِيَكَ ، وَإِمَّا أَنْ تَبْتَاعَ مِنْهُ ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ مِنْهُ رِيحًا طَيِّبَةً، وَنَافِخُ الْكِيرِ إِمَّا أَنْ يُحْرِقَ ثِيَابَكَ ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ رِيحًا خَبِيثَةً** ».

وروى الإمام أحمد عن أبي هريرة ـ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ ـ قال قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : «المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالط «وفي رواية لأحمد: « من يخالل»[(١)]

قال شمس الحق أبو الطيب محمد العظيم آبادي: «أي على عادة صاحبه وطريقته وسيرته فمن رضي دينه وخلقه خالله ـ أي صاحبه وجالسه- ومن لا، تجنبه فإن الطباع سراقة» اهـ .[(٢)]

وقال المباركفوري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:(مَنْ يُخَالِلْ) مِنْ الْمُخَالَّة وَهِيَ الْمُصَادَقَةُ وَالْإِخَاءُ ، فَمَنْ رَضِيَ دِينَهُ وَخُلُقَهُ خَالَلَهُ وَمَنْ لا تَجَنَّبُهُ ، فَإِنَّ الطِّبَاعَ سَرَّاقَةٌ وَالصُّحْبَةُ مُؤَثِّرَةٌ

(١)حسن:حسنه الألباني في السلسلة الصحيحة (٢ / ٦٣٣)(٩٢٧) وهو عند أبي داود والترمذي والحاكم .
(٢)عون المعبود- (٩ / ٢١١٦).

فِي إِصْلَاح الْحَال وَإِفْسَاده . قَالَ الْغَزَالِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ : مُجَالَسَةُ الْحَرِيص وَمُخَالَطَتُهُ تُحَرِّكُ الْحِرْصَ وَمُجَالَسَةُ الزَّاهِد وَمُخَالَطَتُهُ تُزْهِدُ فِي الدُّنْيَا ؛ لِأَنَّ الطِّبَاعَ مَجْبُولَةٌ عَلَى التَّشَبُّهِ وَالِاقْتِدَاءِ بَلْ الطَّبْعُ يَسْرِقُ مِنْ الطَّبْعِ مِنْ حَيْثُ لَا يَدْرِي» ا هـ . [1].

وما أحسن ما قيل:

عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه فكل قرين بالمقارن يقتدي

وقال بعض السلف: «من خفيت علينا بدعته لم تخفَ علينا ألفته» أو كما قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

ومن فضائل مجالسة الصالحين :

أن جليسهم يحظى ببركتهم ، ويصيبه من الخير ما أصابهم ، وربما غفرله بسببهم، ويشفعون له يوم القيامة، (هم القوم لا يشقى بهم جليسهم).

فقدروى البخاري ومسلم واللفظ لمسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ـ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ ـ عَن النَّبِيِّ ـ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ قَالَ : « **إِنَّ للهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى مَلَائِكَةً سَيَّارَةً فُضُلاً يَتَتَبَّعُونَ مَجَالِسَ الذِّكْرِ فَإِذَا وَجَدُوا مَجْلِسًا فِيهِ ذِكْرٌ قَعَدُوا مَعَهُمْ وَحَفَّ بَعْضُهُمْ بَعْضًا بِأَجْنِحَتِهِمْ حَتَّى يَمْلَئُوا مَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ السَّمَاءِ الدُّنْيَا فَإِذَا تَفَرَّقُوا عَرَجُوا وَصَعِدُوا إِلَى السَّمَاءِ – قَالَ : – فَيَسْأَلُهُمُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ وَهُوَ أَعْلَمُ بِهِمْ مِنْ أَيْنَ جِئْتُمْ فَيَقُولُونَ جِئْنَا مِنْ عِنْدِ عِبَادٍ لَكَ فِي الأَرْضِ يُسَبِّحُونَكَ وَيُكَبِّرُونَكَ وَيُهَلِّلُونَكَ وَيَحْمَدُونَكَ وَيَسْأَلُونَكَ.**

قَالَ :وَمَاذَا يَسْأَلُونِي قَالُوا يَسْأَلُونَكَ جَنَّتَكَ. قَالَ :وَهَلْ رَأَوْا جَنَّتِي قَالُوا لاَ أَيْ رَبِّ. قَالَ : فَكَيْفَ لَوْ رَأَوْا جَنَّتِي قَالُوا وَيَسْتَجِيرُونَكَ. قَالَ : وَمِمَّ يَسْتَجِيرُونَنِي قَالُوا مِنْ نَارِكَ يَا رَبِّ. قَالَ : وَهَلْ رَأَوْا نَارِي قَالُوا لاَ. قَالَ : فَكَيْفَ لَوْ رَأَوْا نَارِي قَالُوا وَيَسْتَغْفِرُونَكَ – قَالَ :– فَيَقُولُ قَدْ غَفَرْتُ لَهُمْ فَأَعْطَيْتُهُمْ مَا سَأَلُوا وَأَجَرْتُهُمْ مِمَّا اسْتَجَارُوا – قَالَ : – فَيَقُولُونَ رَبِّ فِيهِمْ فُلاَنٌ عَبْدٌ خَطَّاءٌ إِنَّمَا مَرَّ فَجَلَسَ مَعَهُمْ قَالَ :

(١)تحفة الأحوذي – (٦ / ١٦٤).

فَيَقُولُ: وَلَهُ غَفَرْتُ هُمُ الْقَوْمُ لاَ يَشْقَى بِهِمْ جَلِيسُهُمْ ».

قال الحسن: «استكثروا من الأصدقاء المؤمنين فإن لهم شفاعة يوم القيامة»[1].

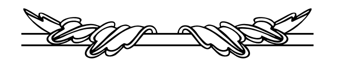
وقال الشاعر :

أخاكَ أخاكَ إنّ من لا أخَا له كساعٍ إلى الهيجا بغيرِ سلاحِ

ومن أضرار مجالسة السيئين والفاسدين أن العبد قد يشقى بسببهم ، بل قد يموت على الكفر والضلال بسبب جلساء السوء.

قَالَ تَعَالَى : ﴿ وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾ يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِى لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾ لَّقَدْ أَضَلَّنِى عَنِ ٱلذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَآءَنِى ۗ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِلْإِنسَٰنِ خَذُولًا ﴿٢٩﴾ ﴾[الفرقان : ٢٧ - ٢٩].

وروى البخاري ومسلم عن سَعِيد بْن الْمُسَيِّب، عَنْ أَبِيه ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَنَّهُ أَخْبَرَهُ: أَنَّهُ لَمَّا حَضَرَتْ أَبَا طَالِب الْوَفَاةُ جَاءَهُ رَسُولُ اللَّهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَوَجَدَ عِنْدَهُ أَبَا جَهْلِ بْنَ هِشَام، وَعَبْدَ اللهِ بْنَ أَبِي أُمَيَّةَ بْنِ الْمُغِيرَة، قَالَ : رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لأَبِي طَالِبٍ: « **يَا عَمِّ، قُلْ: لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، كَلِمَةً أَشْهَدُ لَكَ بِهَا عِنْدَ اللَّهِ** » . (وفي رواية) : « **كلمةً أُحَاجُّ لَكَ بِهَا عِنْدَ اللهِ** » فَقَالَ : أَبُو جَهْلٍ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي أُمَيَّةَ: يَا أَبَا طَالِب أَتَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ عَبْد الْمُطَّلِب؟ فَلَمْ يَزَلْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَعْرِضُهَا عَلَيْهِ، وَيَعُودَانِ بِتِلْكَ الْمَقَالَةِ حَتَّى قَالَ أَبُو طَالِبٍ آخِرَ مَا كَلَّمَهُمْ: هُوَ عَلَى مِلَّةِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ.. الحديث.



(١)انظر تفسير البغوي - (٦ / ١٢٠).

اغتنام الصحة والفراغ



الصحة والفراغ نعمتان عظيمتان ينبغي على العبد المحافظة عليهما، واغتنامهما في طاعة الله ، فإذا اجتمع للعبد هاتان النعمتان، وتكاسل عن فعل الطاعات والمسابقة في الخيرات ، فإنه سيندم عليها يوم القيامة ويتحسر ، ويزيد ندمه وحسرته إذا قضاهما في اللهو واللعب والمعاصي.

فقد روى البخاري عَن ابْنِ عَبَّاس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ، قَالَ : قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**نِعْمَتَانِ مَغْبُونٌ فِيهِمَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ؛ الصِّحَّةُ وَالْفَرَاغ**».

قال المباركفوري رَحِمَهُ اللَّهُ : «أَيْ صِحَّةُ الْبَدَنِ وَفَرَاغُ الْخَاطِرِ بِحُصُولِ الْأَمْنِ وَوُصُولِ كِفَايَةِ الْأَمْنِيَّة . وَالْمَعْنَى لَا يَعْرِفُ قَدْرَ هَاتَيْنِ النِّعْمَتَيْنِ كَثِيرٌ مِنْ النَّاسِ حَيْثُ لَا يَكْسِبُونَ فِيهِمَا مِنْ الْأَعْمَالِ كِفَايَةَ مَا يَحْتَاجُونَ إِلَيْهِ فِي مَعَادِهِمْ فَيَنْدَمُونَ عَلَى تَضْيِيعِ أَعْمَارِهِمْ عِنْدَ زَوَالِهَا ، وَلَا يَنْفَعُهُمْ النَّدَمُ قَالَ : تَعَالَى ﴿ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلتَّغَابُنِ ﴾ وَقَالَ : صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « **لَيْسَ يَتَحَسَّر أَهْلُ الْجَنَّة إِلَّا عَلَى سَاعَةٍ مَرَّتْ بِهِمْ وَلَمْ يَذْكُرُوا اللَّهَ فِيهَا** » [١].

وَفِي حَاشِيَة السُّيُوطِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ قَالَ : الْعُلَمَاءُ : مَعْنَاهُ أَنَّ الْإِنْسَانَ لَا يَتَفَرَّغُ لِلطَّاعَة إِلَّا إِذَا كَانَ مَكْفِيًّا صَحِيحَ الْبَدَن فَقَدْ يَكُونُ مُسْتَغْنِيًا وَلَا يَكُونُ صَحِيحًا ، وَقَدْ يَكُونُ صَحِيحًا وَلَا يَكُونُ مُسْتَغْنِيًا فَلَا يَكُونُ مُتَفَرِّغًا لِلْعِلْمِ وَالْعَمَلِ لِشُغْلِهِ بِالْكَسْبِ ، فَمَنْ حَصَلَ لَهُ الْأَمْرَانِ وَكَسِلَ عَنِ الطَّاعَةِ فَهُوَ الْمَغْبُونُ أَيْ الْخَاسِرُ فِي التِّجَارَةِ مَأْخُوذٌ مِنْ الْغَبْنِ فِي الْبَيْعِ» اهـ . [٢] .

(١) الحديث ضعيف ؛ ضعفه الألباني في الصحيحة برقم (٤٩٨٦) ، وضعيف الترغيب رقم (٩١٠) ، وقد جاء حديث صحيح بمعناه ذكرناه في هذا الكتاب ، سيأتي قريبًا .
(٢)تحفة الأحوذي – (٦ / ٨٩) .

والغبن : هو الندم والأسف، كحال رجل غبن في سلعة، إما لأنه باعها بأبخس الأثمان، ثم تبين له أنها كانت بأغلى مما باعها بأضعاف أضعاف ذلك، فيغبن فيها، أو لأنه اشتراها بأغلى الأثمان ، ثم تبين له أنها كانت أرخص مما اشتراها به بكثير، فيصاب بالغبن ، وهو الندم والحسرة، وهكذا العبد يتحسر يوم القيامة ويغبن على صحته وفراغه الذي ضيعه في الحياة الدنيا ، ولم يغتنمه فيما ينفعه في الآخرة، ولذلك سمى الله يوم القيامة بيوم التغابن كما قَالَ تَعَالَىٰ : ﴿ يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ ٱلْجَمْعِ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلتَّغَابُنِ ﴾ [التغابن : ٩].

قال المفسر البغوي في قوله تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلتَّغَابُنِ ﴾ وهو تفاعل من الغبن وهو فوت الحظ، والمراد بالمغبون من غُبِن عن أهله ومنازله في الجنة، فيظهر يومئذ غبن كل كافر بتركه الإيمان، وغبن كل مؤمن بتقصيره في الإحسان» اهـ.

ألا ترى إلى أهل الدنيا كيف يتحسرون على فوات دنياهم ، وعلى ضياع أيامهم التي لم يغتنموها في التجارات والأعمال الدنيوية؟.

ألا فإن أعظم غبن يوم القيامة هو أن يُغبن العبد عن الجنة إذا حرمها، فإذا كان العبد يندم على سلعة دنيوية فانية بدريهمات قليلة ، فكيف بأعظم سلعة أخروية وهي جنة عرضها السماوات والأرض ألا إن سلعة الله غالية.

روى الترمذي عن أبي هريرة ـ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ ـ قال : قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : «من خاف أدلج ومن أدلج بلغ المنزل ألا إن سلعة الله غالية ألا إن سلعة الله الجنة»[1].

قال ابن القيم ـ رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ:

ياسلعة الرحمن لست رخيصة ... بل أنت غالية على الكسلان

يا سلعة الرحمن ليس ينالها ... في الألف إلا واحد لا اثنان

يا سلعة الرحمن ماذا كفؤها ... إلا أولو التقوى مع الإيمان

(١) حسن: انظر السلسلة الصحيحة للألباني رقم (٥ / ٤٤٢) (٢٣٣٥) وهو عند الحاكم .

يا سلعة الرحمن سوقك كاسد بين الأراذل سفلة الحيوان

يا سلعة الرحمن أين المشتري فلقد عرضت بأيسر الأثمان

ياسلعة الرحمن هل من خاطب فالمهر قبل الموت ذوإمكان

ياسلعة الرحمن كيف تصبر الـ خطاب عنك وهم ذوو إيمان

يا سلعة الرحمن لولا أنها حجبت بكل مكاره الإنسان

ما كان عنها قط من متخلف وتعطلت دار الجزاء الثاني

لكنها حجبت بكل كريهة ليصد عنها المبطل المتواني

وتنالها الهمم التي تسمو إلى رب العلى بمشيئة الرحمن[1] اهـ .

قال ابن الجوزي ـ رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ: «فمن استعمل فراغه وصحته في طاعة الله فهو المغبوط ومن استعملهما في معصية الله فهو المغبون لأن الفراغ يعقبه الشغل والصحة يعقبها السقم ولو لم يكن إلا الهرم». اهـ .[2]

والمغبوط: هو الرجل الذي أنعم الله عليه بنعمة فغبطه الناس، أي: يتمنون أن يكون لهم مثل هذه النعمة دون تمني زوالها كحديث: « **لاَ حَسَدَ إِلَّا فِي اثْنَتَيْنِ: رَجُلٌ آتَاه الله الْقُرْآنَ فَهُوَ يَتْلُوهُ آنَاءَ اللَّيْلِ وَآنَاءَ النَّهَارِ، وَرَجُلٌ آتَاه الله مَالاً فَهُوَ يُنْفِقُهُ آنَاءَ اللَّيْلِ وَآنَاءَ النَّهَارِ** » متفق عليه عن ابن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا.

وقال ابن القيم ـ رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ :«من لم يجعل وقته كله لله فالموت خير له من الحياة» اهـ .

فالوقت ثمين ونعمة سيحاسب عليه كل إنسان، وسيندم ويغبن إن فرط فيه

---

(١)متن النونية: (١ / ٣٥٤ـ٣٥٥) .

(٢)انظر فتح الباري – ابن حجر – (١١ / ٢٣٠) .

ولم يغتنمه بذكر الله وطاعته وطاعة رسوله والصلاة عليه ، فقد روى أبو داود والترمذي واللفظ له عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: **«مَا جَلَسَ قَوْمٌ مَجْلِسًا لَمْ يَذْكُرُوا الله فِيهِ، وَلَمْ يُصَلُّوا عَلَى نَبِيِّهِمْ، إِلاَّ كَانَ عَلَيْهِمْ تِرَةً، فَإِنْ شَاءَ عَذَّبَهُمْ وَإِنْ شَاءَ غَفَرَ لَهُمْ»**(١) .

وروى أبو داود عن أبي هريرة ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«مَنْ قَعَدَ مَقْعَدًا لَمْ يَذْكُرِ الله فِيهِ كَانَتْ عَلَيْهِ مِنَ الله تِرَةٌ، وَمَنْ قَامَ مَقَامًا لَمْ يَذْكُرِ الله فِيهِ كَانَتْ عَلَيْهِ مِنَ الله تِرَةٌ، وَمَنِ اضْطَجَعَ مَضْجَعًا لَمْ يَذْكُرِ الله فِيهِ كَانَتْ عَلَيْهِ مِنَ الله تِرَةٌ»** (٢) .

ومعنى ترة: أي :خسارة ونقص أو تبعة وحسرة.

وفي الحديث إشارة إلى اغتنام الأوقات حال القيام والقعود والسير والاضطجاع.

ولهذا امتدح الله أولي الألباب بأنهم يغتنمون أوقاتهم حال قيامهم وقعودهم ورقودهم وفي جميع أحوالهم فقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿ **إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٩١﴾** ﴾[آل عمران: ١٩٠-١٩١] .

وإن أهل الجنة يوم القيامة ليتحسرون على الأوقات التي لم يغتنموها وإن دخلوا الجنة، فقد روى أحمد عن أبي هريرة ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : **«ما قعد قوم مقعدا لم يذكروا الله عَزَّ وَجَلَّ فيه ويصلون على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلا كان عليهم حسرة يوم القيامة وإن دخلوا الجنة للثواب»** . (٣)

---

(١) صحيح: انظر صحيح الترغيب والترهيب - (٢ / ١٠٠) (١٥١٢) ورواه النسائي وأحمد وابن أبي الدنيا وابن حبان .

(٢) صحيح: انظر صحيح الترغيب والترهيب - (٢ / ١٠٠) (١٥١٢) و السلسلة الصحيحة (١ / ١١٧) (٧٨) ورواه أحمد وابن أبي الدنيا والنسائي وابن حبان .

(٣) صحيح: انظر صحيح الترغيب والترهيب (٢ / ١٠٠) (١٥١٣) وهو عند الحاكم وابن حبان.

اغتنام الشباب

إن مرحلة الشباب من المراحل التي سيسأل عنها العبد يوم القيامة، فإن اغتنمها في طاعة الله فاز وأفلح ، وإن ضيعه في الملاهي وسماع الأغاني والانغماس في الشهوات وارتكاب المحرمات فقد خاب وخسر.

وقد تقدم في أول الكتاب حديث ابن عباس ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ـ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لرجل وهو يعظه: « **اغتنم خمسًا قبل خمس؛ شبابك قبل هرمك، وصحتك قبل سقمك، وغناك قبل فقرك، وفراغك قبل شغلك، وحياتك قبل موتك** »[1].

فينبغي على العبد أن يغتنم شبابه في الدنيا بما يعود عليه نفعه في الآخرة، قبل أن تأتي مرحلة الهرم والكبر فيضعف عن العمل فيتمنى أنه اغتنم شبابه بالصيام والقيام وتلاوة القرآن وغير ذلك من أعمال البر.

قال تعالى: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْقَدِيرُ ﴿٥٤﴾ ﴾ [الروم : ٥٤].

وقال تعالى: ﴿ وَمَن نُّعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِى ٱلْخَلْقِ أَفَلَا يَعْقِلُونَ ﴿٦٨﴾ ﴾ [يس : ٦٨].

قال المفسر السعدي ـ رَحِمَهُ اللَّهُ ـ : «أي: يعود إلى الحالة التي ابتدأ حالة الضعف، ضعف العقل، وضعف القوة. ﴿ أَفَلَا يَعْقِلُونَ ﴾ أن الآدمي ناقص من كل وجه، فيتداركوا قوتهم وعقولهم، فيستعملونها في طاعة ربهم» اهـ . .

فإن الشاب الصالح الذي نشأ في عبادة الله تعالى يظله الله يوم القيامة، لما روى البخاري ومسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ عَنِ النَّبِيِّ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ قَالَ : « **سَبْعَةٌ**

---

(١) صحيح: صححه الإمام الألباني ـ رَحِمَهُ اللَّهُ ـ في صحيح الترغيب والترهيب (٣/ ١٦٨)(٣٣٥٥) وهو عند البيهقي.

يُظِلُّهُمُ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لاَ ظِلَّ إِلاَّ ظِلُّهُ؛ الإِمَامُ الْعَادِلُ ، وَشَابٌّ نَشَأَ بِعِبَادَةِ اللَّهِ، وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ فِي الْمَسَاجِدِ ، وَرَجُلاَنِ تَحَابَّا فِي اللَّهِ اجْتَمَعَا عَلَيْهِ وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ ، وَرَجُلٌ دَعَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ فَقَالَ : إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ، وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ فَأَخْفَاهَا حَتَّى لاَ تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ ، وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللَّهَ خَالِيًا فَفَاضَتْ عَيْنَاه ».

فكل إنسان سيقف بين يدي الله عَزَّوَجَلَّ ويكلمه بلا ترجمان ، ولا تتحرك قدمه لا إلى الجنة ولا إلى النار حتى يُسأل عن أربعة أسئلة، كما روى الترمذي عن معاذ بن جبل ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ قال قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: « **لن تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن أربع خصال ، عن عمره فيما أفناه، وعن شبابه فيما أبلاه، وعن ماله من أين اكتسبه وفيما أنفقه، وعن علمه ماذا عمل فيه**»[1] .

الشاهد قوله : «وعن شبابه فيما أبلاه» .

وجاء عن أبي برزة ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ بلفظ «وَعَنْ جِسْمِهِ فِيمَا أَبْلَاهُ » .

فإذا ذهب شباب العبد فلا يستطيع أن يتداركه.

قال الشاعر:

ألا ليت الشباب يعود يومًا ... فأخبره بما فعل المشيب

(١)صحيح:صححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٣/ ٢٢٧)(٣٥٩٣) ورواه الطبراني والبزار والبيهقي .

اغتنام الحياة

إن العاقل اللبيب هو الذي ينظر إلى هذه الحياة الدنيا بعين البصيرة ، ويتفكر في نفسه ما هي الحكمة من وجوده في هذه الحياة، متدبرا معنى قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ ﴿٢﴾ ﴾ [الملك : ٢].

فإذا عرف أن الحكمة من خلق الناس هي كما بينه سبحانه في كتابه بقوله: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴿٥٨﴾ ﴾ [الذاريات : ٥٦ - ٥٨] ، وجب عليه أن يحقق هذه الغاية التي من أجلها خلقه الله ، وأن يغتنم هذه الحياة الزائلة للحياة الباقية الحقيقية وهي الدار الآخرة كما قال تعالى: ﴿ وَمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ ۚ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٦٤﴾ ﴾ [العنكبوت : ٦٤] .

قال المفسر السعدي ـ رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ: «يخبر تعالى عن حالة الدنيا والآخرة، وفي ضمن ذلك، التزهيد في الدنيا والتشويق للأخرى، فقال: ﴿ وَمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ ﴾ في الحقيقة ﴿ إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ ۚ ﴾ تلهو بها القلوب، وتلعب بها الأبدان، بسبب ما جعل الله فيها من الزينة واللذات، والشهوات الخالبة للقلوب المعرضة، الباهجة للعيون الغافلة، المفرحة للنفوس المبطلة الباطلة، ثم تزول سريعا، وتنقضي جميعا، ولم يحصل منها محبها إلا على الندم والحسرة والخسران.

وأما الدار الآخرة، فإنها دار ﴿ ٱلْحَيَوَانُ ﴾ أي: الحياة الكاملة، التي من لوازمها، أن تكون أبدان أهلها في غاية القوة، وقواهم في غاية الشدة، لأنها أبدان وقوى خلقت للحياة، وأن يكون موجودا فيها كل ما تكمل به الحياة، وتتم به اللذات،

من مفرحات القلوب، وشهوات الأبدان، من المآكل، والمشارب، والمناكح، وغير ذلك، مما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر ﴿لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ﴾ لما آثروا الدنيا على الآخرة، ولو كانوا يعقلون لما رغبوا عن دار الحيوان، ورغبوا في دار اللهو واللعب، فدل ذلك على أن الذين يعلمون، لا بد أن يؤثروا الآخرة على الدنيا، لما يعلمونه من حالة الدارين» اهـ..

وقال تعالى: ﴿وَجِاْىٓءَ يَوْمَئِذٍۭ بِجَهَنَّمَ ۚ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَـٰنُ وَأَنَّىٰ لَهُ ٱلذِّكْرَىٰ ﴿٢٣﴾ يَقُولُ يَـٰلَيْتَنِى قَدَّمْتُ لِحَيَاتِى ﴿٢٤﴾﴾ [الفجر: ٢٣ - ٢٤].

قال المفسر ابن كثير ـ رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ: «وقوله: ﴿يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَـٰنُ﴾ أي: عمله وما كان أسلفه في قديم دهره وحديثه، ﴿وَأَنَّىٰ لَهُ ٱلذِّكْرَىٰ﴾ أي: وكيف تنفعه الذكرى؟ ﴿يَقُولُ يَـٰلَيْتَنِى قَدَّمْتُ لِحَيَاتِى ﴿٢٤﴾﴾ يعني: يندم على ما كان سلف منه من المعاصي -إن كان عاصيا- ويود لو كان ازداد من الطاعات -إن كان طائعًا- كما قال الإمام أحمد بن حنبل: حدثنا علي بن إسحاق، حدثنا عبد الله -يعني ابن المبارك- حدثنا ثور بن يزيد، عن خالد بن معدان، عن جبير بن نفير، عن محمد بن أبي عَمِيرة - وكان من أصحاب رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ- قال: لو أن عبدًا خر على وجهه من يوم ولد إلى أن يموت هَرِمًا في طاعة الله، لَحَقِرَه يوم القيامة، ولودَّ أنه يُرَدَّ إلى الدنيا كيما يزداد من الأجر والثواب»[1] اهـ.

وقال المفسر السعدي ـ رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ: «وفي الآية دليل على أن الحياة التي ينبغي السعي في أصلها وكمالها، وفي تتميم لذاتها، هي الحياة في دار القرار، فإنها دار الخلد والبقاء» اهـ..

فينبغي على العبد اغتنام هذه الحياة القصيرة للحياة الطويلة، وذلك بتحقيق الحكمة من وجوده في هذه الحياة، ولهذا أخبر النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ أن الإنسان في هذه

(١) صححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٣٥٩٧).

الدنيا غريب أو ابن سبيل ، وكان ابن عمر ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا يوصي بأن يغتنم العبد حياته لما بعد الموت.

فقد روى البخاري عَنْ عَبْدِ الله بْنِ عُمَرَ ، رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا ، قَالَ : أَخَذَ رَسُولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِمَنْكِبِي فَقَالَ : « **كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ ، أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ** » ، وَكَانَ ابْنُ عُمَرَ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ـ يَقُولُ : إِذَا أَمْسَيْتَ فَلاَ تَنْتَظِرِ الصَّبَاحَ ، وَإِذَا أَصْبَحْتَ فَلاَ تَنْتَظِرِ الْمَسَاءَ وَخُذْ مِنْ صِحَّتِكَ لِمَرَضِكَ وَمِنْ حَيَاتِكَ لِمَوْتِكَ.

وتقدم حديث ابن عباس ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ـ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لرجل وهو يعظه: « اغتنم خمسًا قبل خمس شبابك قبل هرمك وصحتك قبل سقمك وغناك قبل فقرك وفراغك قبل شغلك وحياتك قبل موتك»[1].

الشاهد قوله : «**وحياتك قبل موتك**».

ولهذا كان من دعاء النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:(اللهم أحيني ما كانت الحياة خيرًا لي).

كما عند النسائي عن عمار بن ياسر ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ أنه دعا في صلاته بدعاء سمعه من رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : «اللهم بعلمك الغيب وقدرتك على الخلق أحيني ما علمت الحياة خيرًا لي، وتوفني إذا علمت الوفاة خيرًا لي، اللهم وأسألك خشيتك في الغيب والشهادة، وأسألك كلمة الحق في الرضا والغضب، وأسألك القصد في الفقر والغنى، وأسألك نعيماً لا ينفد، وأسألك قرة عين لا تنقطع ، وأسألك الرضا بعد القضاء، وأسألك برد العيش بعد الموت، وأسألك لذة النظر إلى وجهك، والشوق إلى لقائك، في غير ضراء مضرة، ولا فتنة مضلة، اللهم زينا بزينة الإيمان واجعلنا هداة مهتدين»[2] .

(١)تقدم تخريجه قريبًا.
(٢)(صحيح) انظر حديث رقم : (١٣٠١) في صحيح الجامع ، وهوعند الحاكم وأحمد والبزار وابن حبان .

وكان من دعائه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: « **اللهم اجْعَلِ الْحَيَاةَ زِيَادَةً لِي فِي كُلِّ خَيْرٍ وَاجْعَلِ الْمَوْتَ رَاحَةً لِي مِنْ كُلِّ شَرٍّ**».

كما روى مسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ قَالَ : كَانَ رَسُولُ اللَّه –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– يَقُولُ : « **اللَّهُمَّ أَصْلِحْ لِي دِينِيَ الَّذِى هُوَ عِصْمَةُ أَمْرِى وَأَصْلِحْ لِي دُنْيَاىَ الَّتِى فِيهَا مَعَاشِى وَأَصْلِحْ لِي آخِرَتِى الَّتِى فِيهَا مَعَادِى وَاجْعَلِ الْحَيَاةَ زِيَادَةً لِي فِي كُلِّ خَيْرٍ وَاجْعَلِ الْمَوْتَ رَاحَةً لِي مِنْ كُلِّ شَرٍّ** ».

فإذا لم يجعل العبد حياته لله ويغتنمها بطاعته فإن الموت خير له.

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ :«من لم يجعل وقته كله لله فالموت خير له من الحياة» اهـ.

فحياة العبد هي رأس ماله ، فإذا فرط العبد في هذه الحياة فإنه سيندم غاية الندم، وأول مايتمنى بعد موته أن يرجع إلى الدنيا ليستعتب ويعمل الصالحات، ولكن دون جدوى، فحري بالعبد أن يرجع من الآن فيعمل الصالحات؟ ، وحري به أن يجعل نفسه في مقام ذلك الذي مات ، ثم تمنى الرجوع إلى الدنياليعمل صالحا.

قَالَ تَعَالَىٰ : ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّيٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُۚ كَلَّآۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَاۖ وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٠٠﴾ ﴾

[المؤمنون : ٩٩ – ١٠٠].

و قَالَ تَعَالَىٰ : ﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُواْ عَلَى ٱلنَّارِ فَقَالُواْ يَٰلَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٧﴾ ﴾ [الأنعام : ٢٧].

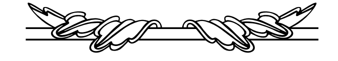
فهنيئًا لمن طال عمره وحسن عمله، وهنيئًا لمن عُمِّر في الإسلام في طاعة مولاه وذكره وشكره.

فقد روى الترمذي عن أبي بكرة ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ أن رجلاً قال :يا رسول الله، أي الناس خير؟ ، قال: « **من طال عمره وحسن عمله**» ، قال: فأي الناس شر؟ ، قال:

« من طال عمره وساء عمله» [١] .

وروى أحمد عن طلحة ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ قَالَ : قال رَسُولُ اللَّهِ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: « **ليس أحد أفضل عند الله من مؤمن يعمر في الإسلام ، لتسبيحه وتكبيره وتهليله**» [٢] .

قال ابن القيم ـ رَحِمَهُ اللَّهُ تعالى ـ «فمن كان مشغولا بالله وبذكره ومحبته في حال حياته وجد ذلك أحوج ما هو إليه عند خروج روحه إلى الله، ومن كان مشغولًا بغيره في حال حياته وصحته، فيعسر عليه اشتغاله بالله وحضوره معه عند الموت ما لم تدركه عناية من ربه ، ولأجل هذا كان جديرًا بالعاقل أن يلزم قلبه ولسانه ذكر الله حيثما كان لأجل تلك اللحظة التي إن فاتت شقي شقاوة الأبد ، فنسأل الله أن يعيننا على ذكره وشكره وحسن عبادته» اهـ . [٣] .



(١)صحيح: رواه الترمذي والطبراني والحاكم والبيهقي ، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب – (٣/ ١٧٠)(٣٣٦٣)

(٢)حسن: أخرجه أحمد وحسنه الألباني في «السلسلة الصحيحة(٢ / ٢٥٧) (٦٥٤)

(٣)طريق الهجرتين وباب السعادتين – (١ / ٤٥٩)

اغتنام طلب العلم والجلوس في حلق الذكر

طلب العلم الشرعي من أفضل الأعمال وأحبها إلى الله، وهو طريق عظيم إلى الجنة ومن أعظم أسباب دخولها؛لأن العالم أو المتعلم أعرف الناس بربه ، فيعبده على بصيرة، ويعرف حق الخلق فيتقي الله فيهم، فينبغي على المسلم أن يتعلم أمور دينه، وأن يغتنم هذه الشعيرة التي شرفها الله ورفع أهلها درجات في الدنيا والآخرة، وفضل العلماء والمتعلمين على غيرهم.

وطالب العلم بمنزلة المجاهـد في سبيل الله، إذ إن الجهاد جهادان :جهاد بالسيف والسنان، وجهاد بالحجة والبرهان، وهذا القسم هو الأصل، إذ يقوم عليه القسم الثاني، فإن العالم يحتاج إلى علمه المجاهـد والعابد والفلاح والطبيب والحاكم وغيرهم.

طالب العلم له أجرالحاج لبيت الله الحرام :

قَالَ تَعَالَىٰ :﴿ يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١١﴾ ﴾[المجادلة : ١١] .

و قَالَ تَعَالَىٰ : ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾

[الزمر : ٩] .

وجاء عن أبي الدرداء ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّه –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– يَقُولُ: **« مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَطْلُبُ فِيهِ عِلْمًا سَلَكَ اللَّهُ بِهِ طَرِيقًا مِنْ طُرُقِ الْجَنَّة، وَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ لَتَضَعُ أَجْنِحَتَهَا رِضًا لِطَالِبِ الْعِلْمِ، وَإِنَّ الْعَالِمَ لَيَسْتَغْفِرُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الأَرْضِ، وَالْحِيتَانُ فِي جَوْفِ الْمَاءِ ،وَإِنَّ فَضْلَ الْعَالِمِ عَلَى الْعَابِدِ كَفَضْلِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ**

الْبَدْر عَلَى سَائِر الْكَوَاكب، وَإِنَّ الْعُلَمَاءَ وَرَثَةُ الأَنْبيَاء، وَإِنَّ الأَنْبيَاءَ لَمْ يُوَرِّثُوا دِينَارًا وَلاَ دِرْهَمًا ، وَرَّثُوا الْعِلْمَ، فَمَنْ أَخَذَهُ أَخَذ بِحَظٍّ وَافِرٍ » [(١)] .

وروى الترمذي عن أبي أمامة ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ قال ذُكر لرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رجلان أحدهما عابد والآخر عالم فقال عليه أفضل الصلاة والسلام : «فضل العالم على العابد كفضلي على أدناكم» ثم قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : **«إن الله وملائكته وأهل السموات والأرض؛ حتى النملة في جحرها، وحتى الحوت ليصلون على معلم الناس الخير»** [(٢)].

وأهل العلم سالمون من اللعن والإبعاد :

إذ إن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ استثناهم بقوله: **«الدنيا ملعونة ملعون ما فيها إلا ذكر الله وما والاه ، وعالمًا ومتعلمًا »** . [(٣)]

وطالب العلم له أجر الحاج :

فقد روى الطبراني عن أبي أمامة ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال :**« من غدا إلى المسجد لا يريد إلا أن يتعلم خيرًا أو يعلمه،كان له كأجر حاج تامًا حجته »** . [(٤)]

طلب العلم بمنزلة الجهاد في سبيل الله:

قَالَ تَعَالَىٰ : ﴿ فَلَا تُطِعِ ٱلْكَـٰفِرِينَ وَجَـٰهِدْهُم بِهِۦ جِهَادًا كَبِيرًا ﴿٥٢﴾ ﴾

[الفرقان : ٥٢] .

---

(١)حسن: رواه أبو داود والترمذي وابن ماجه وابن حبان والبيهقي، وحسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب - (١ / ١٧)(٧٠) .

(٢)حسن:حسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب - (١ / ١٩)(٨١).

(٣)حسن: رواه الترمذي وابن ماجه والبيهقي عن أبي هريرة ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة (٦ / ٧٠٣) (٢٧٩٧) .

(٤)حسن صحيح: انظر صحيح الترغيب والترهيب - (١ / ٢٠)(٨٦).

قال ابن كثير والسعدي وغيرهما :أي: جاهـدهم بالقرآن. ا هـ .

وقال تعالى : ﴿ ۞ وَمَا كَانَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةٗۚ فَلَوۡلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرۡقَةٖ مِّنۡهُمۡ طَآئِفَةٞ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِي ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوۡمَهُمۡ إِذَا رَجَعُوٓاْ إِلَيۡهِمۡ لَعَلَّهُمۡ يَحۡذَرُونَ ١٢٢ ﴾

[التوبة : ١٢٢] .

قال المفسر السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «يقول تعالى: - منبها لعباده المؤمنين على ما ينبغي لهم - ﴿ وَمَا كَانَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةٗ ﴾ أي: جميعا لقتال عدوهم، فإنه يحصل عليهم المشقة بذلك، وتفوت به كثير من المصالح الأخرى، ﴿ فَلَوۡلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرۡقَةٖ مِّنۡهُمۡ ﴾ أي: من البلدان، والقبائل، والأفخاذ ﴿ طَآئِفَةٞ ﴾ تحصل بها الكفاية والمقصود لكان أولى.

ثم نبه على أن في إقامة المقيمين منهم وعدم خروجهم مصالح لو خرجوا الفاتتهم، فقال: ﴿ لِّيَتَفَقَّهُواْ ﴾ أي: القاعدون ﴿ فِي ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوۡمَهُمۡ إِذَا رَجَعُوٓاْ إِلَيۡهِمۡ ﴾ أي. ليتعلموا العلم الشرعي، ويعلموا معانيه، ويفقهوا أسراره، وليعلموا غيرهم، ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم.

ففي هذا فضيلة العلم، وخصوصا الفقه في الدين، وأنه أهم الأمور، وأن من تعلم علما، فعليه نشره وبثه في العباد، ونصيحتهم فيه فإن انتشار العلم عن العالم، من بركته وأجره، الذي ينمى له.

وأما اقتصار العالم على نفسه، وعدم دعوته إلى سبيل الله بالحكمة والموعظة الحسنة، وترك تعليم الجهال ما لا يعلمون، فأي منفعة حصلت للمسلمين منه؟ وأي نتيجة نتجت من علمه؟ وغايته أن يموت، فيموت علمه وثمرته، وهذا غاية الحرمان، لمن آتاه الله علما ومنحه فهما» ا هـ . .

وروى ابن ماجه عن أبي هريرة ـ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ ـ قال : سمعت رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

يقول: « من جاء مسجدي هذا لم يأته إلا لخير يتعلمه أو يعلمه فهو بمنزلة المجاهدين في سبيل الله ومن جاء بغير ذلك فهو بمنزلة الرجل ينظر إلى متاع غيره» (١).

وروى الترمذي عن أنس ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « من خرج في طلب العلم فهو في سبيل الله حتى يرجع » . (٢)

ومن فضائل حلق العلم والذكر أن : الملائكة تحف أهلها وتدعو لهم، ويباهي بهم الله ملائكته، ويظلهم الله في ظله ويجعلهم على منابر من نور يوم القيامة:

فقدروى البخاري ومسلم واللفظ لمسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ عَنِ النَّبِيِّ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ قَالَ : « **إِنَّ لِلَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى مَلاَئِكَةً سَيَّارَةً فُضْلاً يَتَتَبَّعُونَ مَجَالِسَ الذِّكْرِ فَإِذَا وَجَدُوا مَجْلِسًا فِيهِ ذِكْرٌ قَعَدُوا مَعَهُمْ وَحَفَّ بَعْضُهُمْ بَعْضًا بِأَجْنِحَتِهِمْ حَتَّى يَمْلَئُوا مَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ السَّمَاءِ الدُّنْيَا فَإِذَا تَفَرَّقُوا عَرَجُوا وَصَعِدُوا إِلَى السَّمَاءِ – قَالَ : – فَيَسْأَلُهُمُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ وَهُوَ أَعْلَمُ بِهِمْ مِنْ أَيْنَ جِئْتُمْ فَيَقُولُونَ جِئْنَا مِنْ عِنْدِ عِبَادٍ لَكَ فِي الأَرْضِ يُسَبِّحُونَكَ وَيُكَبِّرُونَكَ وَيُهَلِّلُونَكَ وَيَحْمَدُونَكَ وَيَسْأَلُونَكَ.**

قَالَ : وَمَاذَا يَسْأَلُونِي قَالُوا يَسْأَلُونَكَ جَنَّتَكَ. قَالَ : وَهَلْ رَأَوْا جَنَّتِي قَالُوا لاَ أَيْ رَبِّ. قَالَ : فَكَيْفَ لَوْ رَأَوْا جَنَّتِي قَالُوا وَيَسْتَجِيرُونَكَ. قَالَ : وَمِمَّ يَسْتَجِيرُونَنِي قَالُوا مِنْ نَارِكَ يَا رَبِّ. قَالَ : وَهَلْ رَأَوْا نَارِي قَالُوا لاَ. قَالَ : فَكَيْفَ لَوْ رَأَوْا نَارِي قَالُوا وَيَسْتَغْفِرُونَكَ – قَالَ :– فَيَقُولُ قَدْ غَفَرْتُ لَهُمْ فَأَعْطَيْتُهُمْ مَا سَأَلُوا وَأَجَرْتُهُمْ مِمَّا اسْتَجَارُوا – قَالَ : – فَيَقُولُونَ رَبِّ فِيهِمْ فُلاَنٌ عَبْدٌ خَطَّاءٌ إِنَّمَا مَرَّ فَجَلَسَ مَعَهُمْ قَالَ: فَيَقُولُ: وَلَهُ غَفَرْتُ هُمُ الْقَوْمُ لاَ يَشْقَى بِهِمْ جَلِيسُهُمْ ».

وروى الإمام مسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ عَنِ النَّبِيِّ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – قَالَ :

(١) صحيح :صححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب – (١ / ٢٠)(٨٧) وهوعند البيهقي.
(٢) حسن: حسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب – (١ / ٢٠)(٨٨).

« مَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ في بَيْت مِنْ بُيُوت اللَّه تَعَالَى يَتْلُونَ كتَابَ اللَّه وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ إلاَّ نَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ وَحَفَّتْهُمُ الْمَلاَئِكَةُ وَذَكَرَهُمُ اللَّهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ ».

وعن أبي الدرداء ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ قال قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **« ليبعثن الله أقوامًا يوم القيامة في وجوههم النور على منابر اللؤلؤ يغبطهم الناس ليسوا بأنبياء ولا شهداء »** ، قال: فجثا أعرابي على ركبتيه ، فقال يا رسول الله: جَلِّهم لنا نعرفهم قال: **« هم المتحابون في الله من قبائل شتى وبلاد شتى يجتمعون على ذكر الله يذكرونه »**.[1]

وعن عمرو بن عبسة ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ قال : سمعت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: **«عن يمين الرحمن ـ وكلتا يديه يمين ـ رجال ليسوا بأنبياء ولا شهداء يغشى بياض وجوههم نظر الناظرين يغبطهم النبيون والشهداء بمقعدهم وقربهم من الله عَزَّ وَجَلَّ»**، قيل يا رسول الله: من هم ؟، قال: **« هم جماع من نوازع القبائل يجتمعون على ذكر الله فينتقون أطايب الكلام كما ينتقي آكل التمر أطايبه »** .[2]

وهناك مسائل يجب على كل مسلم تعلمها، بل تعلمها فريضة كالفرائض والواجبات من التوحيد والصلاة ونحوذلك، لما روى ابن ماجه وغيره عن أنس ابن مالك ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ قال : قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : **«طلب العلم فريضة على كل مسلم »** .[3]

فينبغي اغتنام الفرص في طلب العلم قبل أن يشغل العبد بشيء، أو يعرض له عارض، أو يحول بينه وبين طلب العلم شيء.

قَالَ:عُمَرُـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ«تَفَقَّهُوا قَبْلَ أَنْ تُسَوَّدُوا» رواه البخاري تعليقًا مجزومًا بصحته.

ومعناه ، تعلموا قبل أن تشغلوا بسيادة أو مسئولية ونحوها.

(١)صحيح: رواه الطبراني وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب – (٢ / ٩٩)(١٥٠٩).
(٢)حسن: رواه الطبراني، وحسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب – (٢ / ٩٩)(١٥٠٨).
(٣)صحيح :صححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب – (١ / ١٧)(٧٢) وهوعند البزار وأبي يعلى.

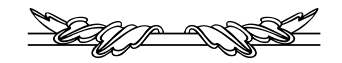
وطلب العلم من أفضل القربات لمن أخلص فيه لله وأراد أن يتبصر في دينه.

قال الشافعي ـ رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ: «طلب العلم أفضل من نوافل العبادات». ا هـ .

وقال الإمام أحمد ـ رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ: «ليس شيء أفضل من طلب العلم لمن صلحت نيته ، فلما قيل له، قال :أن ينوي بذلك رفع الجهل عن نفسه ومجتمعه» . ا هـ .

قال معاذ ـ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ ـ لما أن حضره الموت : « اللهم إني قد كنت أخافك، فأنا اليوم أرجوك ، اللهم إن كنت تعلم أني لم أكن أحب الدنيا وطول البقاء فيها لكري الأنهار ولا لغرس الشجر، ولكن لظمأ الهواجر، ومكابدة الساعات، ومزاحمة العلماء بالركب عند حلق الذكر» ا هـ .[١]

فمن أراد الله به الخير وفقه لطلب العلم ، لما روى البخاري ومسلم عن مُعَاوِيَةَ بْنَ أَبِي سُفْيَانَ ـ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا قال سَمعْتُ رَسُولَ اللَّهِ –صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– يَقُولُ : « **مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ ، وَإِنَّمَا أَنَا قَاسِمٌ وَيُعْطِي اللَّهُ** » .



(١)انظر الزهد لأحمد بن حنبل ٢٤١ - (١ / ١٨٠) .

اغتنام الدعوة إلى الله

مقام الدعوة مقام عظيم ، وهي مقام الأنبياء والمرسلين ، وأتباعهم الصالحين، إذ به يقوم الدين ، وتنكسر شوكة أهل الزيغ والمبطلين، وأهل الشرك الضالين.

وهذا الفضل منحصر فيمن دعا إلى الكتاب والسُّنَّة ، وكان مخلصًا لربه متابعا لنبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وكان قدوة لغيره بأن يعمل بما يدعوإليه فلا يخالف أقواله بأفعاله، ويزيد أجر الداعية وتنتشر دعوته ويستجيب الناس إليه إذا كانت دعوته بالحكمة والموعظة الحسنة، فيضع الأمور في مواضعها ويبدأ بالأهم فالأهم، فيدعو إلى التوحيد والسُّنَّة، ثم الذي يليهما وييسرولا يعسر، ويبشر ولا ينفر، ويكون مفتاح خير مغلاق شر.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [فصلت : ٣٣]

قال ابن كثير ـ رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ : «يقول تعالى: ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ ﴾ أي: دعا عباد الله إليه، ﴿ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾ ﴾ أي: وهو في نفسه مهتد بما يقوله، فنفعه لنفسه ولغيره لازم ومُتَعَدٍّ، وليس هو من الذين يأمرون بالمعروف ولا يأتونه، وينهون عن المنكر ويأتونه، بل يأتمر بالخير ويترك الشر، ويدعو الخلق إلى الخالق تبارك وتعالى. وهذه عامة في كل من دعا إلى خير، وهو في نفسه مهتد، ورسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أولى الناس بذلك » اهـ..

وقال السعدي ـ رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ في قوله تعالى: ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾ ﴾ : «هذا استفهام بمعنى النفي المتقرر

أي: لا أحد أحسن قولا. أي: كلامًا وطريقة وحالة ﴿ مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ ﴾ بتعليم الجاهلين، ووعظ الغافلين والمعرضين، ومجادلة المبطلين، بالأمر بعبادة الله، بجميع أنواعها،والحث عليها، وتحسينها مهما أمكن، والزجر عما نهى الله عنه، وتقبيحه بكل طريق يوجب تركه، خصوصًا من هذه الدعوة إلى أصل دين الإسلام وتحسينه، ومجادلة أعدائه بالتي هي أحسن، والنهي عما يضاده من الكفر والشرك، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر.

ومن الدعوة إلى الله، تحبيبه إلى عباده، بذكر تفاصيل نعمه، وسعة جوده، وكمال رحمته، وذكر أوصاف كماله، ونعوت جلاله.

ومن الدعوة إلى الله، الترغيب في اقتباس العلم والهدى من كتاب الله وسُنَّة رسوله، والحث على ذلك، بكل طريق موصل إليه، ومن ذلك، الحث على مكارم الأخلاق، والإحسان إلى عموم الخلق، ومقابلة المسيء بالإحسان، والأمر بصلة الأرحام، وبر الوالدين.

ومن ذلك، الوعظ لعموم الناس، في أوقات المواسم، والعوارض، والمصائب، بما يناسب ذلك الحال، إلى غير ذلك، مما لا تنحصر أفراده، مما تشمله الدعوة إلى الخير كله، والترهيب من جميع الشر.

ثم قال تعالى: ﴿ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ﴾ أي: مع دعوته الخلق إلى الله، بادر هو بنفسه، إلى امتثال أمر الله، بالعمل الصالح، الذي يُرْضي ربه» اهـ..

وقال تعالى: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾ ﴾

[النحل: ١٢٥].

قال المفسر السعدي ـ رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ: «أي: ليكن دعاؤك للخلق مسلمهم وكافرهم

إلى سبيل ربك المستقيم المشتمل على العلم النافع والعمل الصالح ﴿ بِٱلْحِكْمَةِ ﴾ أي: كل أحد على حسب حاله وفهمه وقوله وانقياده.

ومن الحكمة الدعوة بالعلم لا بالجهل والبداءة بالأهم فالأهم، وبالأقرب إلى الأذهان والفهم، وبما يكون قبوله أتم، وبالرفق واللين، فإن انقاد بالحكمة، وإلا فينتقل معه بالدعوة بالموعظة الحسنة، وهو الأمر والنهي المقرون بالترغيب والترهيب.

إما بما تشتمل عليه الأوامر من المصالح وتعدادها، والنواهي من المضار وتعدادها، وإما بذكر إكرام من قام بدين الله وإهانة من لم يقم به.

وإما بذكر ما أعد الله للطائعين من الثواب العاجل والآجل وما أعد للعاصين من العقاب العاجل والآجل، فإن كان [المدعو] يرى أن ما هو عليه حق. أو كان داعيه إلى الباطل، فيجادل بالتي هي أحسن، وهي الطرق التي تكون أدعى لاستجابته عقلاً ونقلاً.

ومن ذلك الاحتجاج عليه بالأدلة التي كان يعتقدها، فإنه أقرب إلى حصول المقصود، وأن لا تؤدي المجادلة إلى خصام أو مشاتمة تذهب بمقصودها، ولا تحصل الفائدة منها بل يكون القصد منها هداية الخلق إلى الحق لا المغالبة ونحوها» اهـ..

وقال المفسر ابن كثير ـ رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ: «يقول تعالى آمرًا رسوله محمدًا صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يدعو الخلق إلى الله ﴿ بِٱلْحِكْمَةِ ﴾.

قال ابن جرير: وهو ما أنزله عليه من الكتاب والسُّنَّة ﴿ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ﴾ أي: بما فيه من الزواجر والوقائع بالناس ذكرهم بها، ليحذروا بأس الله تعالى.

وقوله: ﴿ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ أي: من احتاج منهم إلى مناظرة وجدال، فليكن بالوجه الحسن برفق ولين وحسن خطاب» اهـ..

والداعي إلى الله مأجور في دعوته ، سواء استجاب الناس له أم لم يستجيبوا، فإن استجابوا له ووقعت نصائحه موقعها فله مثل أجور من استجاب له، وإلم يستجيبوا له، فله أجر النصح والتبليغ وتبرأ ذمته بذلك، ولعل دعوته تنفع ولوبعد حين.

فقد روى الإمام مسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ قَالَ : « **مَنْ دَعَا إِلَى هُدًى كَانَ لَهُ مِنَ الأَجْرِ مِثْلُ أُجُورِ مَنْ تَبِعَهُ ، لاَ يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئًا ،وَمَنْ دَعَا إِلَى ضَلاَلَةٍ ، كَانَ عَلَيْهِ مِنَ الإِثْمِ مِثْلُ آثَامِ مَنْ تَبِعَهُ، لاَ يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ آثَامِهِمْ شَيْئًا** ».

وفي الصحيحين عن سهل بن سعد ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ قَالَ: «**فَوَاللَّهِ لأَنْ يُهْدَى بِكَ رَجُلٌ وَاحِدٌ خَيْرٌ لَكَ مِنْ حُمْرِ النَّعَمِ**».

قال الحافظ ابن حجر ـ رَحِمَهُ اللَّهُ ـ :«قوله: (**حُمْرِ النَّعَم**) بسكون الميم من حمر وبفتح النون والعين المهملة وهو من ألوان الإبل المحمودة، قيل المراد خير لك من أن تكون لك فتتصدق بها وقيل تقتنيها وتملكها وكانت مما تتفاخر العرب بها» اهـ .[١]

فحمر النعم هي الإبل الحمر التي كانت العرب تتفاخر بها ، وهي بمثابة السيارات والطائرات وغيرها من المراكب التي يتفاخر بها الناس في هذا الزمان، والمعنى :لأن يهدي الله بالعبد رجلا واحدا في هذا الزمان خير له من السيارات والطائرات ، وهذه نعمة عظيمة تغافل عنها بل تكاسل عنها كثير من الناس ، وهي الدعوة إلى الله فلا يكاد الخطيب أن يخطب أو يحاضر المحاضر؛ إلا بشق الأنفس ـ إلا من رحم الله ـ، وهذا يخشى عليه من الإثم، لما روى ابن حبان عن أبي هريرة ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال : «**من كتم علما ألجمه الله يوم القيامة بلجام من نار**» .[٢]

---

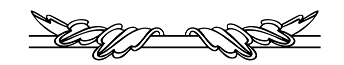
(١)الفتح (٧ / ٤٧٨)

(٢)صحيح : صحححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب - (١ / ٢٨)(١٢٠)وهو عندالحاكم وأبي داود وأحمد والبيهقي .

فلا ينبغي لطالب العلم والداعي إلى الله أن يفتر عن الدعوة وتعليم الناس الخير، ولا يترك المجال لأهل الزيغ والضلال من المشركين والملحدين والمبتدعة فيلبسوا على الناس، فإن هذا من الخذلان والله المستعان.

فلا يزهد الداعية عن الأجور في تعليم الناس دين الله، فإن كل شيء في الكون يدعو لمن يعلم الناس الخير.

فقد روى الترمذي عن أبي أمامة ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**إن الله وملائكته وأهل السموات والأرض حتى النملة في جحرها ، وحتى الحوت ، ليصلون على معلم الناس الخير**»[1].



(١) حسن: حسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب - (١ / ١٩)(٨١).

اغتنام الجهاد في سبيل الله



الجهاد في سبيل الله شعيرة من شعائر الدين ، وبه قوام الدين ، وتنكسر شوكة الكفر والملحدين، ورتب الله عليها درجات عظيمة في جنات النعيم، ويشفع الشهيد لسبعين من أقاربه ويؤمن من فتنة القبر، ويدخل الشهيدالجنة من لحظة موته.

فينبغي اغتنام هذه الشعيرة العظيمة عند سنوح الفرصة، وعندإعلان الجهاد ، إذا كان الجهاد شرعيا لا غبار عليه، وكان تحت راية شرعية صافية، ليس فيها مقاصد دنيوية أو أغراض حزبية أو حظوظ نفسية أو خلافات طائفية قبلية ، فإذا كانت كذلك ، وكان القتال بين طائفتين مسلمتين من أجل تلك الأغراض التي ذكرت آنفا، فإن القاتل والمقتول في النار.

وتعرف هذه المقاصد من خلال سؤال أهل العلم الربانيين الناصحين المتجردين للحق، الذين يربطون الناس بالدليل، الذين يصدرون عن كتاب وسنة، وفهم سلف الأمة، البعيدين عن الهوى والحزبية والأغراض الشخصية، فهؤلاء هم الذين يعرفون الفتنة قبل قدومها، فينبغي رد الأمور إليهم في مسائل الجهاد ، وليس كل من أفتى بالجهاد أو دعا إليه يؤخذ بقوله ، فإن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أمر بالرجوع إلى أهل العلم الذين تقدم ذكر بعض صفاتهم.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَإِذَا جَآءَهُمۡ أَمۡرٞ مِّنَ ٱلۡأَمۡنِ أَوِ ٱلۡخَوۡفِ أَذَاعُواْ بِهِۦۖ وَلَوۡ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنۡهُمۡ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسۡتَنۢبِطُونَهُۥ مِنۡهُمۡۗ وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ لَٱتَّبَعۡتُمُ ٱلشَّيۡطَٰنَ إِلَّا قَلِيلٗا ٨٣ ﴾ [النساء : ٨٣].

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَسۡـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ٤٣ بِٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِۗ وَأَنزَلۡنَآ

إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [النحل : ٤٣ - ٤٤].

ذكر الأدلة في فضائل الجهاد في سبيل الله

قال تعالى : ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ۚ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١١١﴾ ﴾ [التوبة : ١١١].

وقال تعالى : ﴿ ۞ فَلْيُقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يَشْرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا بِٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَمَن يُقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٧٤﴾ ﴾ [النساء : ٧٤].

وقال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱبْتَغُوٓا۟ إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ وَجَٰهِدُوا۟ فِى سَبِيلِهِۦ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾ [المائدة : ٣٥].

وقال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿١٠﴾ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١﴾ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٢﴾ ﴾ [الصف : ١٠ - ١٢].

وروى الإمام البخاري ومسلم عَنْ قَتَادَةَ قَالَ : سَمِعْتُ أَنَسَ بْنَ مَالِك ـ رضي الله عنه ـ يُحَدِّثُ عَنِ النَّبِيِّ – صلى الله عليه وسلم – قَالَ : « **مَا مِنْ أَحد يَدْخُلُ الْجَنَّةَ يُحِبُّ أَنْ يَرْجِعَ إِلَى الدُّنْيَا وَأَنَّ لَهُ مَا عَلَى الأَرْضِ مِنْ شَيْءٍ غَيْرُ الشَّهِيدِ فَإِنَّهُ يَتَمَنَّى أَنْ يَرْجِعَ فَيُقْتَلَ عَشْر مَرَّاتٍ لِمَا يَرَى مِنَ الْكَرَامَةِ** ».

وروى مسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ـ رضي الله عنه ـ قَالَ : قِيلَ لِلنَّبِيِّ – صلى الله عليه وسلم – مَا يَعْدِلُ الْجِهَادَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ قَالَ : « **لاَ تَسْتَطِيعُونَهُ** ». قَالَ : فَأَعَادُوا عَلَيْهِ مَرَّتَيْنِ أَوْ

ثَلاَثًا كُلُّ ذَلكَ يَقُولُ : « **لاَ تَسْتَطِيعُونَهُ** ». وَقَالَ : فِي الثَّالِثَةِ « مَثَلُ الْمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ الصَّائِمِ الْقَائِمِ الْقَانِتِ بِآيَاتِ اللَّهِ لاَ يَفْتُرُ مِنْ صِيَامٍ وَلاَ صَلاَةٍ حَتَّى يَرْجِعَ الْمُجَاهِدُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ تَعَالَى ».

وروى البخاري عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ــ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ قَالَ :قَالَ رَسُولُ الله صلى الله عليه : « **إِنَّ فِي الْجَنَّةِ مِئَةَ دَرَجَةٍ أَعَدَّهَا اللَّهُ لِلْمُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ مَا بَيْنَ الدَّرَجَتَيْنِ كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ فَإِذَا سَأَلْتُمُ اللَّهَ فَاسْأَلُوهُ الْفِرْدَوْسَ فَإِنَّهُ أَوْسَطُ الْجَنَّةِ وَأَعْلَى الْجَنَّةِ أُرَاهُ فَوْقَهُ عَرْشُ الرَّحْمَنِ وَمِنْهُ تَفَجَّرُ أَنْهَارُ الْجَنَّةِ**» . قَالَ : مُحَمَّدُ بْنُ فُلَيْحٍ ، عَنْ أَبِيهِ: « وَفَوْقَهُ عَرْشُ الرَّحْمَنِ» .

فضل الشهادة في سبيل الله:

الشهداء في سبيل الله أحياء عند ربهم يرزقون ، أرواحهم في الجنة في أجواف طير خضر تعلق من ثمار الجنة وأشجارها، ويشفعون يوم القيامة لمن شاءوا من أقاربهم، ويغفر لهم من أول قطرات دماء تخرج من أجسادهم ويؤمنون من فتنة القبر وسؤاله، ويؤمنون من الفزع الأكبر يوم القيامة ، ويزوجون من الحور العين في الجنة.

قَالَ تَعَالَى: ﴿ **وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا۟ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٧٠﴾ ۞ يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٧١﴾** ﴾ [آل عمران : ١٦٩ – ١٧١] .

وروى الترمذي عن كعب بن مالك ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**إن أرواح الشهداء في أجواف طير خضر تعلق من ثمر الجنة أو شجر الجنة**» (١).

وروى أبو داود عن أَبِي الدَّرْدَاءِ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ قال: قَالَ : رَسُولُ اللَّهِ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – :

(١)صحيح : صححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب – (٢ / ٦٥)(١٣٦٨) .

« يُشَفَّعُ الشَّهِيدُ فِي سَبْعِينَ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ » [(١)].

وروى الإمام أحمد عن قيس الجذامي ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ رجل كانت له صحبة قال: قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : «يعطى الشهيد ست خصال عند أول قطرة من دمه يكفر عنه كل خطيئة ويرى مقعده من الجنة ويزوج من الحور العين ويؤمن من الفزع الأكبر ومن عذاب القبر ويحلى حلة الإيمان»[(٢)].

حكم القتال إذا خرج عن المقاصد الشرعية:

إذا كان القتال بين طائفتين مسلمتين أو من أجل دنيا، أو كان من أجل الغنائم، أوكان فيه غلول، أوكان فيه رياء، أو خرج عن مقصوده الشرعي، أو قتل رجل نفسه كشأن المنتحرين ، فإنه ليس جهادا في سبيل الله، بل قد يكون في سبيل الشيطان ، وأصحابه متوعدون بالنار.

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا ۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُوا۟ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٩﴾ ﴾ [الحجرات : ٩].

وروى البخاري ومسلم واللفظ للبخاري عن أبي بكرة ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ قال سَمِعْتُ رَسُولَ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : « إِذَا الْتَقَى الْمُسْلِمَانِ بِسَيْفَيْهِمَا فَالْقَاتِلُ وَالْمَقْتُولُ فِي النَّارِ» قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ هَذَا الْقَاتِلُ، فَمَا بَالُ الْمَقْتُولِ؟ قَالَ : « إِنَّهُ كَانَ حَرِيصًا عَلَى قَتْلِ صَاحِبِهِ».

وروى مسلم عن أَبِي بَكْرَةَ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ : «إِنَّهَا سَتَكُونُ فِتَنٌ أَلاَ ثُمَّ تَكُونُ فِتْنَةٌ الْقَاعِدُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ الْمَاشِى فِيهَا وَالْمَاشِى فِيهَا

---

(١)صحيح: صححه الألباني في صحيح أبي داود - (٧ / ٢٨١)(٢٢٧٧) وهو عند ابن حبان والبزار .

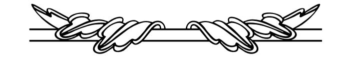
(٢)حسن:انظر السلسلة الصحيحة للالباني(٣٢١٣)وهو عند الترمذي وأحمد وابن ماجه.

خَيْرٌ مِنَ السَّاعِى إِلَيْهَا أَلاَ فَإِذَا نَزَلَتْ أَوْ وَقَعَتْ فَمَنْ كَانَ لَهُ إِبِلٌ فَلْيَلْحَقْ بِإِبِلِه وَمَنْ كَانَتْ لَهُ غَنَمٌ فَلْيَلْحَقْ بِغَنَمِه وَمَنْ كَانَتْ لَهُ أَرْضٌ فَلْيَلْحَقْ بِأَرْضِه ». قَالَ : فَقَالَ : رَجُلٌ يَا رَسُولَ اللهِ أَرَأَيْتَ مَنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ إِبِلٌ وَلاَ غَنَمٌ وَلاَ أَرْضٌ قَالَ : « يَعْمِدُ إِلَى سَيْفِه فَيَدُقُّ عَلَى حَدِّه بِحَجَرٍ ثُمَّ لِيَنْجُ إِنِ اسْتَطَاعَ النَّجَاءَ اللَّهُمَّ هَلْ بَلَّغْتُ اللَّهُمَّ هَلْ بَلَّغْتُ اللَّهُمَّ هَلْ بَلَّغْتُ ». قَالَ : فَقَالَ : رَجُلٌ يَا رَسُولَ اللهِ أَرَأَيْتَ إِنْ أُكْرِهْتُ حَتَّى يُنْطَلَقَ بِي إِلَى أَحَدِ الصَّفَّيْنِ أَوْ إِحْدَى الْفِئَتَيْنِ فَضَرَبَنِي رَجُلٌ بِسَيْفِهِ أَوْ يَجِيءُ سَهْمٌ فَيَقْتُلُنِى قَالَ : « يَبُوءُ بِإِثْمِهِ وَإِثْمِكَ وَيَكُونُ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ ».

وروى مسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ عَنِ النَّبِيِّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أَنَّهُ قَالَ : «مَنْ خَرَجَ مِنَ الطَّاعَةِ وَفَارَقَ الْجَمَاعَةَ فَمَاتَ مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً وَمَنْ قَاتَلَ تَحْتَ رَايَةٍ عُمِّيَّةٍ يَغْضَبُ لِعَصَبَةٍ أَوْ يَدْعُو إِلَى عَصَبَةٍ أَوْ يَنْصُرُ عَصَبَةً فَقُتِلَ فَقِتْلَةٌ جَاهِلِيَّةٌ، وَمَنْ خَرَجَ عَلَى أُمَّتِى يَضْرِبُ بَرَّهَا وَفَاجِرَهَا وَلاَ يَتَحَاشَ مِنْ مُؤْمِنِهَا وَلاَ يَفِي لِذِي عَهْدٍ عَهْدَهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَلَسْتُ مِنْهُ ».

وروى البخاري ومسلم واللفظ له عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ قَالَ : خَرَجْنَا مَعَ النَّبِيِّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- إِلَى خَيْبَرَ فَفَتَحَ اللهُ عَلَيْنَا فَلَمْ نَغْنَمْ ذَهَبًا وَلاَ وَرِقًا، غَنِمْنَا الْمَتَاعَ وَالطَّعَامَ وَالثِّيَابَ ثُمَّ انْطَلَقْنَا إِلَى الْوَادِى وَمَعَ رَسُولِ اللهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- عَبْدٌ لَهُ وَهَبَهُ لَهُ رَجُلٌ مِنْ جُذَامٍ يُدْعَى رِفَاعَةَ بْنَ زَيْدٍ مِنْ بَنِي الضُّبَيْبِ فَلَمَّا نَزَلْنَا الْوَادِىَ قَامَ عَبْدُ رَسُولِ اللهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يَحُلُّ رَحْلَهُ فَرُمِىَ بِسَهْمٍ فَكَانَ فِيهِ حَتْفُهُ فَقُلْنَا هَنِيئًا لَهُ الشَّهَادَةُ يَا رَسُولَ اللهِ. قَالَ : رَسُولُ اللهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- « كَلاَّ وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِه إِنَّ الشَّمْلَةَ لَتَلْتَهِبُ عَلَيْهِ نَارًا أَخَذَهَا مِنَ الْغَنَائِمِ يَوْمَ خَيْبَرَ لَمْ تُصِبْهَا الْمَقَاسِمُ ». قَالَ : فَفَزِعَ النَّاسُ. فَجَاءَ رَجُلٌ بِشِرَاكٍ أَوْ شِرَاكَيْنِ. فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللهِ أَصَبْتُ يَوْمَ خَيْبَرَ. فَقَالَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- « شِرَاكٌ مِنْ نَارٍ أَوْ شِرَاكَانِ مِنْ نَارٍ ».

وروى البخاري ومسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ قَالَ : شَهِدْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- حُنَيْنًا فقَالَ : لِرَجُلٍ مِمَّنْ يُدْعَى بالإسْلاَمِ « هَذَا مِنْ أَهْلِ النَّارِ » فَلَمَّا حَضَرْنَا الْقِتَالَ قَاتَلَ الرَّجُلُ قتالاً شَدِيدًا فَأَصَابَتْهُ جِرَاحَةٌ فَقِيلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ الرَّجُلُ الَّذِى قُلْتَ لَهُ آنِفًا « إِنَّهُ مِنْ أَهْلِ النَّارِ » فَإِنَّهُ قَاتَلَ الْيَوْمَ قتالاً شَدِيدًا وَقَدْ مَاتَ. فَقَالَ : النَّبِيُّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- « إِلَى النَّارِ » فكَادَ بَعْضُ الْمُسْلِمينَ أَنْ يرْتَابَ فَبَيْنَمَا هُمْ عَلَى ذَلِكَ إِذْ قِيلَ إِنَّهُ لَمْ يَمُتْ وَلَكِنَّ بِهِ جِرَاحًا شَدِيدًا فَلَمَّا كَانَ مِنَ اللَّيْلِ لَمْ يَصْبِرْ عَلَى الْجِرَاحِ فَقَتَلَ نَفْسَهُ فَأُخْبِرَ النَّبِيُّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بِذَلِكَ فَقَالَ : « اللَّهُ أَكْبَرُ أَشْهَدُ أَنِّي عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ ». ثُمَّ أَمَرَ بِلاَلاً فَنَادَى فِي النَّاسِ « إِنَّهُ لاَ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ إِلاَّ نَفْسٌ مُسْلِمَةٌ وَإِنَّ اللَّهَ يُؤَيِّدُ هَذَا الدِّينَ بِالرَّجُلِ الْفَاجِرِ ».



اغتنام التواصل والمواصلات



إن مما أنعم الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ على الناس في هذا الزمان من النعم التي لم تكن في أسلافهم ، لهي نعمة التواصلات والمواصلات ولكن أكثر الناس لا يشكرون.

فيجب على العباد أن يشكروا ربهم على هذه النعم لتبقى وتدوم ويزيد الله شاكرها من فضله.

ويكون شكرها بصرفها في طاعته ونسبتها إليه لا إلى غيره، والإقرار بها بالقلب والثناء عليه باللسان، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴿٧﴾ ﴾ [إبراهيم : ٧].

فمن هذه النعم :نعمة الجوالات بما فيها من اتصالات ومراسلات، وتواصلات اجتماعية، فتغتنم في طاعة الله ، من النصائح والتوجيهات، ومواصلة الأرحام وتفقدهم ، وتسلية المصابين ، والتفريج عن المكروبين، وسؤال أهل العلم عما أشكل في الدين، وغير ذلك من المقاصد الشرعية، والحذر من استخدام هذا الجهاز في المعاصي والمخالفات، كسماع الأغاني ، وتصوير ذوات الأرواح، ومراسلة الفاسقين والفاسقات، فإن هذا من كفر نعمة الجوال، فإن الجوال سلاح ذو حدين، فإما أن يكون في ميزان الحسنات أو في ميزان السيئات.

ومن هذه النعم:نعمة المواصلات من المراكب البرية والبحرية والجوية، كالسيارات والسفن والطائرات، فينبغي شكر الله عليها، واستعمالها في مرضاته، وفيما أباح الله، فينبغي اغتنامها في فعل الخير ، فيحمل عليها المحتاج ، والمعسر، والمرضى، وطلاب العلم والدعاة إلى الله ، والكتب الدينية والمصاحف ، وبعض

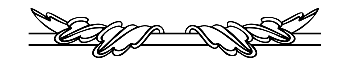
أثاث المساجد والمنشئات الخيرية، وغير ذلك.

ولا يحمل عليها الفسقة والمعاصي، والأدوات والسلع المحرمة كأجهزة الدشوش ونحوها وشجرة القات والسجائر ومن يتعاملون بالمحرمات ونحو ذلك.

قال تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢﴾﴾ [المائدة: ٢].

وقال تعالى: ﴿وَمَا تَكُونُ فِى شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا۟ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ ۚ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرَ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٦١﴾﴾ [يونس: ٦١].

وقال تعالى: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴿٨﴾﴾ [الزلزلة: ٧ – ٨].



المسابقة في فعل الخيرات عموما



ينبغي على العبد اغتنام فعل الخيرات، فيسابق إلى كل خير ، وإلى كل عمل يحبه الله فيعمله ، لأنه لا يدري ما هو العمل الذي يقربه إلى الله ويدخله الجنة ويباعده عن النار، ولا يدري العبد ما هو العمل الذي يكون خالصًا لوجه الله ، فلذا ينبغي الإكثار من أفعال الخير، ليكون من المفلحين ، فإن فعل الخيرات هي عنوان السعادة وعلامة الفلاح، والفلاح هو الفوز بالمطلوب والنجاة من المرهوب، ورأس ذلك دخول الجنة والنجاة من النار.

قال تعالى: ﴿ وَٱفْعَلُوا۟ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [الحج : ٧٧] .

و قَالَ: الله تَعَالَى : ﴿ فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ ﴾ [البقرة : ١٤٨] .

وَقالَ تَعالَى : ﴿ ۞ وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ﴾ [آل عمران : ١٣٣] .

و قال تعالى: ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴿٨﴾ ﴾ [الزلزلة : ٧ - ٨] .

فكل خير صغير أو كبير فإنه يدخل تحت هذه الآية الفاذة الجامعة كما سماها النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بذلك ، كما في الصحيحين عن أبي هريرة - رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ - ومثقال الذرة أصغر الأشياء ، تأتي يوم القيامة في موازين العبد.

قال المفسر البغوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسير قوله تعالى: ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ﴾

وزن نملة صغيرة أصغر ما يكون من النمل. ﴿ خَيْرًا يَـرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْـمَلْ مِثْقَـالَ ذَرَّةٍ شَـرًّا يَـرَهُۥ ۝٨ ﴾ .

قال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: « ليس مؤمن ولا كافر عمل خيرًا أو شرًا في الدنيا إلا أراه الله إياه يوم القيامة ، فأما المؤمن فيرى حسناته وسيئاته فيغفر الله سيئاته ، ويثيبه بحسناته، وأما الكافر فتردُّ حسناته ويعذبه بسيئاته» اهـ . .

وقال تعالى: ﴿ وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ فَلَا تُظْـلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَـالَ حَبَّـةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَـا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَـٰسِبِينَ ۝٤٧ ﴾[الأنبياء:٤٧].

وروى البخاري ومسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– قَالَ : « **مَنْ أَنْفَقَ زَوْجَيْنِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ نُودِىَ فِي الْجَنَّةِ يَا عَبْدَ اللَّهِ هَذَا خَيْرٌ. فَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصَّلاَةِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الصَّلاَةِ وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الْجِهَادِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الْجِهَادِ وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصَّدَقَةِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الصَّدَقَةِ وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصِّيَامِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الرَّيَّانِ** ». قَالَ : أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا عَلَى أَحَدٍ يُدْعَى مِنْ تِلْكَ الأَبْوَابِ مِنْ ضَرُورَةٍ فَهَلْ يُدْعَى أَحَدٌ مِنْ تِلْكَ الأَبْوَابِ كُلِّهَا قَالَ : رَسُولُ اللَّهِ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– « **نَعَمْ وَأَرْجُو أَنْ تَكُونَ مِنْهُمْ** ».

ومعنى :(من أنفق زوجين):أي شيئين ، كدرهمين أو فرسين أو نحوذلك. وقوله: (في سبيل الله):أي في باب الجهاد ، أو في باب الخير.

وروى مسلم عن عَائِشَةَ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– قَالَ : « **إِنَّهُ خُلِقَ كُلُّ إِنْسَانٍ مِنْ بَنِي آدَمَ عَلَى سِتِّينَ وَثَلاَثِمِائَةِ مَفْصِلٍ فَمَنْ كَبَّرَ اللَّهَ وَحَمِدَ اللَّهَ وَهَلَّلَ اللَّهَ وَسَبَّحَ اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ اللَّهَ وَعَزَلَ حَجَرًا عَنْ طَرِيقِ النَّاسِ أَوْ شَوْكَةً أَوْ عَظْمًا عَنْ طَرِيقِ النَّاسِ وَأَمَرَ بِمَعْرُوفٍ أَوْ نَهَي عَنْ مُنْكَرٍ عَدَدَ تِلْكَ السِّتِّينَ وَالثَّلاَثِمِائَةِ**

السُّلاَمَى فَإِنَّهُ يَمْشِي يَوْمَئِذٍ وَقَدْ زَحْزَحَ نَفْسَهُ عَنِ النَّارِ ». قَالَ : أَبُو تَوْبَةَ وَرُبَّمَا قَالَ: « **يُمْسِي** ».

وروى البخاري ومسلم عن أَبِي هُرَيْرَةَ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ عَنْ مُحَمَّد رَسُولِ اللَّهِ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – قال:« **كُلُّ سُلاَمَى مِنَ النَّاسِ عَلَيْهِ صَدَقَةٌ كُلَّ يَوْمٍ تَطْلُعُ فِيهِ الشَّمْسُ** – قَالَ : – **تَعْدِلُ بَيْنَ الإِثْنَيْنِ صَدَقَةٌ وَتُعِينُ الرَّجُلَ فِي دَابَّتِهِ فَتَحْمِلُهُ عَلَيْهَا أَوْ تَرْفَعُ لَهُ عَلَيْهَا مَتَاعَهُ صَدَقَةٌ** – قَالَ : – **وَالْكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ صَدَقَةٌ وَكُلُّ خَطْوَةٍ تَمْشِيهَا إِلَى الصَّلاَةِ صَدَقَةٌ وَتُمِيطُ الأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ صَدَقَةٌ** ».

وروى مسلم أيضاعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – « مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمُ الْيَوْمَ صَائِمًا ». قَالَ : أَبُو بَكْرٍ أَنَا. قَالَ : « **فَمَنْ تَبِعَ مِنْكُمُ الْيَوْمَ جَنَازَةً** ». قَالَ : أَبُو بَكْرٍ أَنَا. قَالَ : « **فَمَنْ أَطْعَمَ مِنْكُمُ الْيَوْمَ مِسْكِينًا** ». قَالَ : أَبُو بَكْرٍ أَنَا. قَالَ : « **فَمَنْ عَادَ مِنْكُمُ الْيَوْمَ مَرِيضًا** ». قَالَ : أَبُو بَكْرٍ أَنَا. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – « **مَا اجْتَمَعْنَ فِي امْرِىءٍ إِلاَّ دَخَلَ الْجَنَّةَ** ».

قال القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ : «وقوله : « ما اجتمعن في امريء إلا دخل الجنة » ؛ ظاهـره : أن من اجتمع له فعل هذه الأبواب في يوم واحد دخل الجنة ؛ فإنَّه قال فيها كلها: اليوم، اليوم ، ولما أخبره أبو بكر ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ أنه فعل تلك الأمور كلها في ذلك اليوم بشَّره بأنه من أهل الجنة لأجل تلك الأمور ، والمرجو من كرم الله تعالى أن من اجتمعت له تلك الأعمال في عمره ، وإن لم تجتمع في يوم واحد أن يدخله الله الجنَّة بفضله ، ووعده الصَّادق» اهـ . [١] .

وسواء قصد اجتماع هذه الأربعة الأعمال في يوم واحد، أو عملها فاجتمعت بدون قصد، فيرجى أن يدخل ذلك في الحديث مادام أن العبد مريد للخير،

(١)المفهم – (٢٠ / ٣).

والتنافس في أعمال الخير مشروع، وكرم الله واسع، وفضله شامل.

وقال النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «قَالَ الْقَاضِي: مَعْنَاهُ دَخَلَ الْجَنَّة بلَا مُحَاسَبَةٍ وَلَا مُجَازَاة عَلَى قَبِيح الْأَعْمَال، وَإِلَّا فَمُجَرَّد الْإِيمَان يَقْتَضِي دُخُول الْجَنَّة بِفَضْلِ اللَّه تَعَالَى» اهـ.[1].

---

(١) شرح صحيح مسلم (٨/ ١٣٠).

الخاتمة



وفي الختام أحمد الله الذي بنعمته تتم الصالحات الذي يسر وأعان في إتمام هذا البحث وإكماله على هذا النحو الذي يسره لنا، وأسأله جل في علاه أن يتقبله منا، وأن يجعله خالصًا لوجهه الكريم، وأن ينفع به الإسلام والمسلمين، وأن يجعله في موازين حسناتنا، وأن يجعله حجة لنا لا علينا، وأن يجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

ولا أنسى أن أتقدم بالشكر لله فله الفضل أولاً وآخرًا، ثم لإخواني الذين أعانوني وشاركوني في نشره بالمراجعة والطباعة والنشر، فجزى الله خيرًا من كتب، ومن قرأ، ومن نشر، ومن أعان في نشر هذا الكتاب، ونشر الخير بين الناس.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم
وآخر دعوانا أنِ الحمد لله رب العالمين

كتبه الفقير إلى عفو ربه
أبو عبدالرحمن موفق بن أحمد بن علي الفاضلي
غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين
مسجد التوحيد/رداع/ اليمن.
تم الفراغ من كتابته في
٦/ من شهر ربيع الآخر/ ١٤٤٠هـ .
وتم مراجعته وتهذيبه في
يوم الجمعة ٥/جمادأول/١٤٤٠هـ .

فهرس

